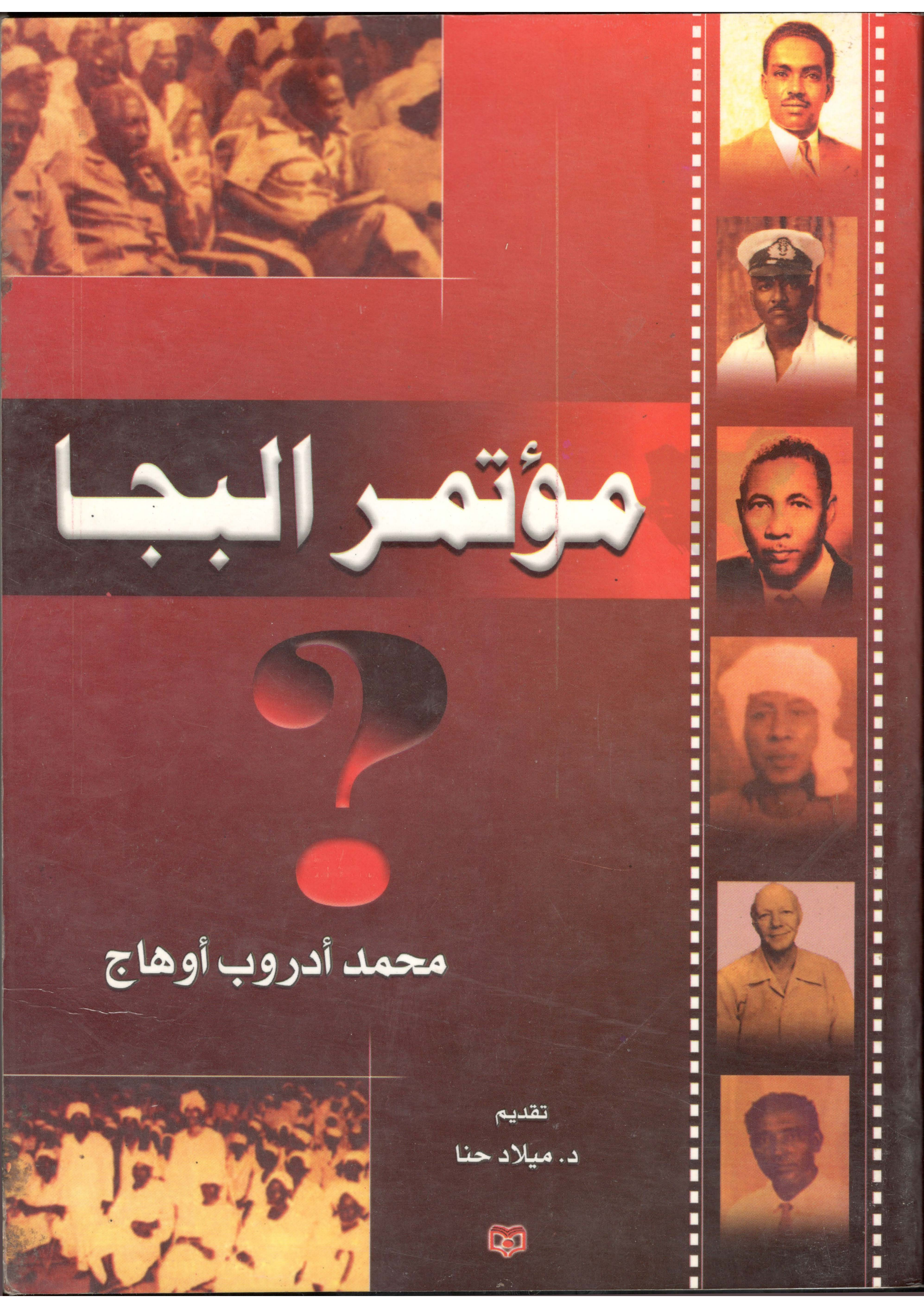


مؤتمر البجا

؟

محمد أدروب أوهاج

تقديم

د. ميلاد حنا



محمد أدروب أوهاج
■ دبلوم معهد المعلمين العالى - كلية التربية - جامعة الخرطوم ١٩٦٦م.
■ دبلوم معهد الخرطوم الدولى لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ١٩٧٨م - ماجستير ١٩٨٢م.
■ ماجستير اللغات السودانية - معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم ١٩٨٨م.
■ معلم بالتربية والتعليم بالسودان من ١٩٦٠-١٩٩٣م.
■ معلم منتدب بسلطنة عمان ١٩٨٨-١٩٩٣.
■ معلم متعاقد بالجمهورية اليمنية ١٩٩٦-٢٠٠٣م.
للمؤلف :
■ كتاب من تراث البجا الشعبى.
■ كتاب من تاريخ البجا - الكتاب الأول .
■ رواية السواكنى.
■ رواية المهرب .
دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان
ناشرون وموزعون ووكلاء دور نشر
الغلاف : جمال خليفة



مؤتمر البجا

الماضي والحاضر

١٩٥٨ - ٢٠٠٥

مؤتمر البجا

الماضي والحاضر

١٩٥٨ - ٢٠٠٥

محمد أدروب أوهاج

تقديم

د. ميلاد حنا



دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان

الكتاب : مؤتمر البجا الماضى والحاضر

المؤلف : محمد ادروب أوهاج

رقم الايداع : ١٥٢٢٦ / ٢٠٠٥ - السوان : ٣٦٠ / ٢٠٠٥

تاريخ النشر : ٢٠٠٦

ردمك : ٠٠٥٢ - ٥٤ - ٩٩٩٤٢

الناشر دار عزة للنشر والتوزيع

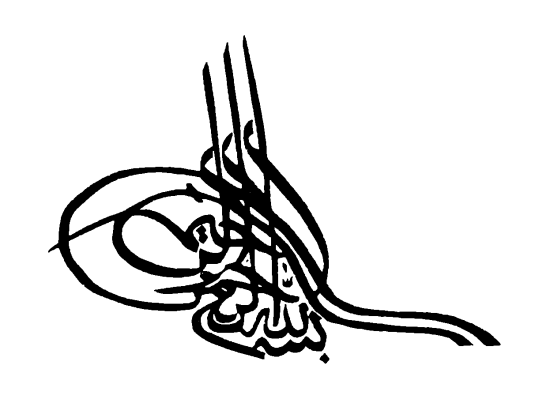
الإدارة : شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة .

ت : ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ - ٢٤٩ +)

التوزيع : دارعزة للنشر والتوزيع ت : ٨٣٧٨٧٢٠١

السودان - الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩

بريد إلكترونى azza ph @ yahoo.com



قال تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم؛ إلا من أمر بصدقة، أو معروف، أو إصلاح بين الناس ﴾

صدق الله العظيم

٢٠٠٥م

إهــداء

إلى الفقيد المرحوم الدكتور طه عثماني بليـة، ورفاقـه الأبـرار، الـذين قادوا البجا في مؤتمرهم العام سـنة ١٩٥٨. فحققـوا بـذلك انتصـاراً بـاهراً على الطائفية التي كانت تسوق الناس لتحقيق مصالحها هي دون مصالحهم هم.. فأشـاد بـذلك المـؤتمر كـل مـن حضـره. وأيقـن أن البجـا، في شـرق السودان، قـد اسـتيقظوا وأخـذوا يطـالبون بحقـوقهم المشـروعة. ثـم وقـع انقلاب عبود في ١٧/ ١١/ ١٩٥٨، بعد خمسة وثلاثين يوما من انتهاء ذلـك المؤتمر. وظل السودان، في قبضة ذلك النظام لست سـنوات حتـى خلصـته ثورة أكتوبر١٩٦٤ المجيدة.

• ثم إلى الذين قادوا حزب مؤتمر البجا، بعـد الثـورة، واسـتطاعوا أن يواصلوا روح ذلك المؤتمر، بحزب مستقل، التـف حولـه البجـا في الشـرق. وفاز بأحد عشر من النواب يمثلون مناطق البجا المختلفة..

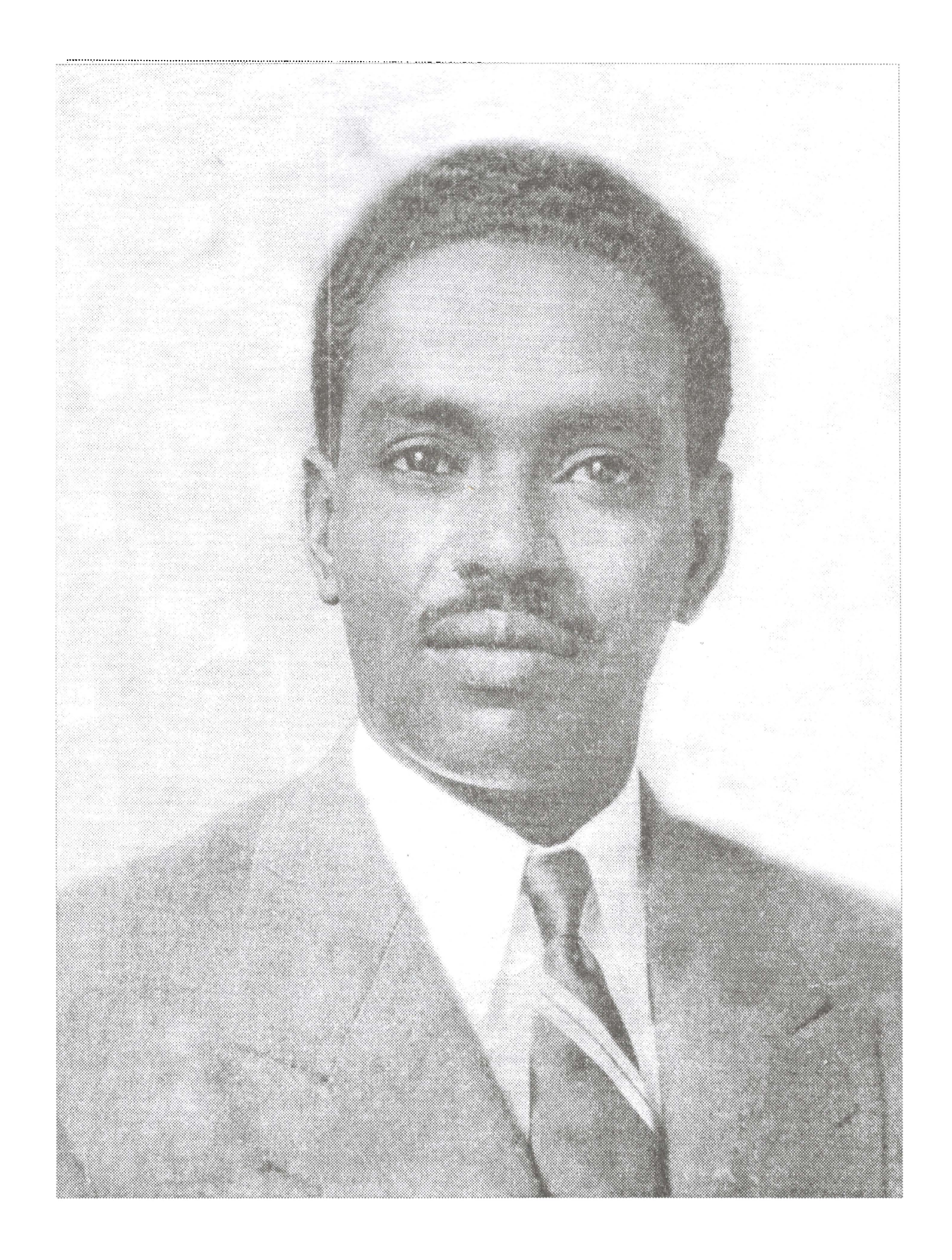
• ثم إلى شباب البجا، في الداخل والخـارج، الـذين يطـالبون بحقـوق البجا، المشروعة، التي طالب بها البجا في مؤتمرهم العام، ثم في حزب مؤتمر البجا. على رأسها، أن يكون الحكم فدراليا حقيقيـا. بـأن يتـولى أهـل كـل إقلـيم، حكـم إقلـيمهم. وأن يتولـوا إدارة إقلـيمهم في المجـالات المختلفـة. فتنتهي بذلك الوصاية المفروضة الـتي اسـتمرأتها كـل الحكومـات المتعاقبـة لتحقيق أغراضها هي. مهما ادعـت بأنها تعمل لصـالح الإقليـم، (فأهـل مكـة أدرى بشعابها)

كما يقولون..ثم الاشراك في السلطة المركزية، الاتحادية. دون أدنى وصاية أيضا.. بمعنى أن أهل الإقليم هم الذين يختارون حكامهم. ويختارون من يمثلونهم في الحكومة المركزية.. ثم أن يعطوا نصيبهم من الثروة.. كل هذه أمور بديهية لا تحتاج إلى كثير شرح وتفصيل.. ولكن الذي يحتاج إلى الشرح والتفصيل هو، أننا، حقيقة، تجاوزنا مرحلة الوصاية، من أية جهة كانت.. والطائفية منها، بصفة أخص.. وهو الشأن في كل السودان..

• ثم إلى البجاوي الذي ظل يعيش، مسلوب الإرادة والحقوق، طيلة الخمسين سنة الماضية في ظل الحكم الوطني منذ أن تشكلت أول حكومة وطنية. والذي تفننت الطائفية في سلبه هذه الحقوق في الماضي والحاضر، وأن تفرض عليه من يحققون أغراضها هي. وتحارب كل من يحاول المطالبة بهذه الحقوق. بل هي تدعي اليوم بأنها هي التي تنطق عنه وليس غيرها.. متجاهلة بذلك الكثير من الجهد الذي بذله البجا منذ مؤتمرهم العام، ليتولوا أمورهم وينقذوا البقية الباقية من هذا الشعب الذي توالت عليه المجاعات، التي لا يزال يعاني منها، في كثير من أريافه. فمات منهم، بسببها، ما يزيد عن نصف المليون نسمة، وما زالوا يموتون، في أريافهم. فلجأت السلطات إلى تلفيق أخبار من صنعها. وهددت كل من يحاول قول الحقيقة، من الصحفيين وغيرهم ، بالرغم مما نسمعه من الجعجعة التي يقصد منها تزكية من يتولون الأمور في الشرق .. فهل آن لك أن تتولى أمورك بنفسك؟ أم يتولاها عنك الآخرون! ثم تدفع، أنت الثمن، من أبنائك، فتحرم من كل شئ، حتى معرفة حقيقة ما يحدث لك ولهم ؟؟

• إلى كل هؤلاء، نهدي ثمرة جهدهم، وكفاحهم، لما يقارب الخمسين سنة، علّهم يذوقون بعضا مما عملوا له في صبر جم وأناة.. طيلة هذه السنوات. بعد أن خسروا الكثير، والكثير. وهم يدركون.لا يمنعهم إلا طبيعة الأناة التي جبلوا عليها، ويحسبها - من يجهلهم، وما أكثر من يجهلونهم ممن يعايشونهم بل ويحكمونهم - انه الضعف، وقلة الحيلة. حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.. يقول المثل :(المكتولة ما بتسمع الصيحة) ويقول المثل البجأوي :(T?AYAAT ?OOGBAYT KADAW KITMAASIW) التي من حظها أن تموت، لا تسمع الصوت الذي يحدثه اصطفاق الدرق.. وهو، عندهم، من أقوى الأصوات، ومن أقوى وسائل الإنذار..

****



المرحوم الدكتور طه عثماني بلية (١٩٢٠ – ١٩٦٠)

تمهيد

بدأت فكرة الكتابة عن تجربة (مؤتمر البجا)، بعد انتفاضة مارس/ أبريل المباركة التي خلصت السودان من حكم المشير جعفر النميري وأعوانه. عندما رأيت مجموعات من شباب البجا، يفدون إلى (نادي البجا)، ويعقدون اجتماعات هناك. يتدأولون فيها في أمر البجا وما يمكن أن يقدموه. فتذكرت، أننا، بعد ست سنوات، من حكم عبود، كانت الرؤية عندنا واضحة لمواصلة العمل في اتجاه (مؤتمر البجا) العام الذي عقد في أكتوبر ١٩٥٨ ثم وقع انقلاب عبود، في الشهر التالي، في ١٧ نوفمبر من نفس العام. ولم يستمر، نظام عبود إلا ست سنوات. بينما استمر نظام النميري، ست عشرة سنة. فرأيت أن يزّود أولئك الشباب بخلفية مناسبة عن التجربة التي عاصرناها نحن وعملنا فيها. ليبدؤوا، من حيث انتهينا نحن.

كانت تلك هي البداية. ثم طلب مني، في معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، أن أشترك في ندوة عن الفعاليات السودانية، بورقة عن(مؤتمر البجا). فقدمت تلك الورقة. فكانت هي النواة التي بدأت بها هذا العمل الذي واصلته، فيما بعد، في مدينة سنكات، حيث زودني المرحوم الدكتور محمد بدري أبو هدية، بدفتره الذي جمع فيه كل وقائع (مؤتمر البجا) العام، وبعض المراجع الأخرى، منها الصحف ومنها التقرير عن مشكلة الجنوب.

ثم انتدبت للعمل في سلطنة عمان في العام ١٩٨٨ فواصلت العمل فيه هناك حتى أنجزته في العام ١٩٨٩.

من أهم أغراض هذه الدراسة، اليوم، هو، التعريف بهذا المؤتمر في مرحلتيه - الأولى ١٩٥٨ (مؤتمر البجا العام). والثانية، بعد قيام ثورة أكتوبر ١٩٦٤ المجيدة... لأهميته، كإحدى الفعاليات الرائدة في تاريخ السودان المعاصر.. والتي نبهت إلى فساد، وعجز، الحكم الوطني... في سنواته الأولى.. وبأسلوب حضاري رفيع... وجد الكثير من التجاوب والاهتمام.. خاصة من جانب الإعلام. الذي كان حراً، في ذلك الوقت - الصحف بصفة خاصة - التي كانت سمع الحكومة، وبصرها.. لأنها كانت تبصرها، بكل الأمانة والصدق، بالأخطار التي تحدق بالبلاد.. كما كانت تنبه المواطنين، بنفس القدر، إلى القيام بواجبهم.. حسب قدرتها وعلمها.. فكانت بحق، سلطة رابعة مستقلة عن السلطات الثلاث الأخرى، التشريعية، القضائية، والتنفيذية.. كما كانت هذه، أيضا، مستقلة عن بعضها البعض، في ذلك الوقت.. تلك السنوات الأولى من الحكم الوطني.. وكذلك الجولة الثانية من المؤتمر، التي كانت حزبا مستقلا عن الطائفية وتحقيقا لشعار هام، من شعارات ثورة أكتوبر المجيدة، (لا زعامة للقدامى)..

الجولة الأولى (مؤتمر البجا) العام.. كانت ١٩٥٨عندما عقد (مؤتمر البجا) في الفترة (١١-١٣) أكتوبر ١٩٥٨م في مدينة بورتسودان، بعد أربع سنوات من قيام الحكومة الوطنية الأولى، لشعورهم بالتقصير في حقهم. والإهمال لشأنهم. من الحكومة المركزية. ومن المسئولين في الشرق. الذين

رفضوا استلام الشكوى، في العام السابق (١٩٥٧) وبعد النتيجة غير المرضية للانتخابات الثانية. وكانت الجولة الثانية (لمؤتمر البجا) في العام ١٩٦٤، بعد ثورة أكتوبر المجيدة، التي خلصت البلاد من الحكم العسكري الغاشم، الذي استولى على السلطة في ١٧ نوفمبر١٩٥٨، كان من اسبابه المباشرة، قيام مؤتمر البجا العام بتلك الصورة.. ثم كانت الجولة الثانية للمؤتمر، اعلانا لحزب سياسي مستقل، بهذا الاسم (مؤتمر البجا)، مباشرة، بعد ثورة أكتوبر وقد استمرت إلى العام ١٩٦٨. عندما اتجه المسئولون في الحزب، إلى تقويم تلك التجربة.. وقد كانت، هي الأخرى، تطبيقاً عملياً للخروج من إسار الطائفية، وتحقيقاً لشعار ثورة أكتوبر (لا زعامة للقدامى).. كان لها، إيجابياتها وسلبياتها. الأمر الذي يوضحه التقويم..

سوف تكون المقدمة، قسمة بين الحديث عن (مؤتمر البجا)، والمشكلات التي يعاني منها سكان الشرق بصفة عامة. والبجا بصفة خاصة. التي لمست بعضا منها لمساً مباشراً. وأنا أقوم بواجبي، في المجال الذي اخترته وتخصصت فيه منذ العام ١٩٦٦ وهو، التأريخ، واللغة والتراث البجأوي. وبين تجربة الحكم في السودان. منذ الحكومة الأولى إلى وقتنا الحاضر، الذي نعيشه. ثم رؤيتي الخاصة حول الحكم في السودان.. لأنه لا يمكن أن تستقيم أحوال الإقليم، مالم يستقم أمر الحكم في السودان.. وأن كثيرا مما نشكو منه في الإقليم الشرقي، وفي الأقاليم الأخرى، هو من فشل الحكومات، وفسادها. الذي يمثله المسئولون في هذه الأقاليم. لأنهم ظل لتلك الحكومات، ولأنهم اختيارها، ولأنهم يسعون لإرضائها هي، في

المقام الأول، ولا بـأس مـن تضـرر مـن يكونـون مسـئولين عـنهم في هـذه الأقاليم.. كان هذا، ديدن الكثيرين، في الماضـي، ولا يـزال. سـواء كانـت، تلك الحكومات، حكومات حزبية، أو حكومـات شموليـة.. إلا مـن رحـم ربك..

وسوف يرد الكثير، مـن التـداخل، بـين الموضـوعات، هنـا وهنـاك.. كالحديث عن الفترة الانتخابية الثانية، أثناء الحديث عن المرحلة الثانية من (مؤتمر البجا)، وغير ذلك.. في هذه المقدمة..

****

تقديم

عندما أنشأنا رابطة الطلبة العرب فى لندن عام ١٩٥٠ وتفاعلنا مع بعضنا البعض إذ بنا نكتشف نحن أهل مصر أن أقرب مجموعة عربية اقتربنا منها واقتربت منا كانت هى مجموعة الدارسين القادمين من السودان.
وتأكدنا مع الممارسة أن أهل السودان هم الأقرب إلى وجداننا وفكرنا وثقافتنا وحتى لكنة اللغة العربية.

ووقتها كنا نحن الشباب قد هتفنا فى مرحلة الثلاثينيات عند توقيع معاهدة عام ٣٦ ثم فى الأربعينيات عند مفاوضات صدقى بيرم "من أجل مطالبتنا باستكمال استقلال مصر" وكنا نهتف عاشت وحدة مصر مع السودان. عاد كل منا إلى وطنه ولكن استمرت العلاقات من خلال المراسلات بالبريد "فوقتها لم نكن نعرف الفاكس أو البريد الإليكترونى أو الهاتف الدولى".
ويعود الفضل فى استمرار هذه العلاقة إلى أخى وصديقى المرحوم السيد عبد الله السيد والذى كان يمر علينا كل سنة فى الصيف فى طريقه من الخرطوم إلى أوروبا لدعم الاتصال مع الشركات التي كان يتعامل معها كوكيل لها فى السودان، ضمن شركة المقاولات التي أسسها بعد أن ترك الخدمة فى وزارة الرى.

وفى حقبة الستينيات وعندما كثرت اضرابات الطلبة فى الجامعات المصرية وكانت تعلق الدراسة كنت أشد الرحال إلى الخرطوم وأقيم فى المضيفة كجزء من البيت الكبير الذى كان يقطن فيه السيد عبد الله السيد فى الخرطوم بحرى خلف الأشغال العسكرية، وإذ بالبيت والحديقة تعج بالأصدقاء والمعارف والجيران فاقتربت أكثر فأكثر بالشخصية السودانية وقد أعجبت كثيرا بالبساطة والشجاعة فى التعبير عن الرأى السياسى وكنت أحس بأن للسودان طبيعة خاصة اكتسبها من خلال عبارة "الخلا" وهي أن السودان قارة كله مفتوح ويمكن لأى مواطن أن يترك بلده أو قريته أو منطقته ويهاجر إلى أى بلد آخر يسير المسافات عبر الصحاري والسهول الممتدة شرقا وغربا.

وفى عام ١٩٦٨ قامت "شركة ريقوا" المتخصصة فى دق آبار المياه وبالتعاون مع شركة المقاولات التابعة للمهندس السيد عبد الله السيد بتنفيذ مشروع مكافحة العطش فى أنحاء متفرقة من السودان، وقام مكتبى الاستشارى بتصميم الطلمبة والقائم الذى يحملها والخزان المائى والمسقى لشرب الإنسان والحيوان، وقد أعطيت هذا المشروع اهتمام كبير وصممته فى أجزاء صغيرة يمكن أن تنقل على الجمال وأن تركب فى موقعها وأن تساهم فى احتياجات البشر والحيوان فى الأشهر التي

تسبق هطول الأمطار فى نحو شهر أغسطس والذى يسمونه فى السودان بعبارة: الخريف.
ومن خلال هذا المشروع رحلت إلى باقى أجزاء السودان ورتب لى لكى أسافر إلى مدينة واو وإذ بى وتدريجياً أتعرف على باقى أنحاء السودان والتي كنت متوهماً أننى أعرفها من خلال زياراتى إلى العاصمة المثلثة وإلي ود مدنى وإذ بى خلافا لرؤية باقى زملائى المصريين المهتمين بالشأن السودانى أدرك بأن السودان هو بالفعل قارة ويختلف كثيرا عن التركيبة المصرية المتجانسة والمحصور أغلب سكانها فى الرقعة الخضراء فى الدلتا وحول مجرى النيل.
فى ديسمبر عام ١٩٦٨ تصادف أن جاء عيد إفطار رمضان المبارك مواكب لعيد الميلاد فى الغرب ودعانا السيد عبد الله مع كل أسرته وأصدقائه لنقضى يوماً فى منطقة الجريف حيث كان يمتلك أرض زراعية، وجلسنا نتسامر فى شؤون مصر والسودان وكان حاضر معنا الأخ فاروق أبو الحسن والدكتور سيد أحمد الجمال والمرحوم السيد أمين الشبلى فضلاً عن أشقائه أحمد السيد عبد الله وعبد القادر السيد عبد الله. صاح الأطفال مطالبين لأن ينزلوا ليسبحوا فى مياه النيل الأزرق، وخافت الأمهات علي أطفالهن فأجابوا سينزل معنا عمو ميلاد وهو ما كان، ولم أكن متصوراً أنني وفى أواخر ديسمبر حيث البرودة الشديدة فى مصر بأنى سوف استمتع بسباحتى فى مياه النيل الأزرق حيث نعرف كمصريين أنه هو شريان الحياة للفيضانات التي تحمل الطمي الذى كون خصوبة الأرض الزراعية فى مصر قبل إنشاء السد العالى.
وفى ٢٥ مايو ١٩٦٩ وفيما أنا أستمع إلى أخبار الانقلاب الذى كان يتزعمه جعفر نميرى إذ بى اكتشف أن معظم من كانوا معي فى هذا اليوم فى الجريف هم من قيادات انقلاب مايو.
هكذا وعبر سنوات توطدت علاقتى بالسودان سنة تلو أخرى وأعجبت كثيرا بالديمقراطية السودانية والشفافية والجرأة التي يتمتع بها المثقفون السودانيون، وتوهمت أن رياح الديمقراطية ستصل إلى مصر قادمة من الجنوب وليس من الشمال كما كنا نتوهم، وعندما وقع الانقلاب المسمى بحكومة الإنقاذ فى ٣٠ يونيو ١٩٨٩ حزنت حزنا شديدا لهذه النكسة التي أصابت السودان وأن يحكم حكم دينى بقيادة د. حسن الترابى والذى كان يتصور أنه سيبنى حكم إسلامي سُنى عام ١٩٨٩ لكي يتآزر ويتعاون ويتحالف مع حكم الإمام الخمينى الشيعى فى إيران والذى قام عام ١٩٧٩.
طوال هذه السنوات الطويلة كانت أخبار ومشاغل ومشاكل السودان تملأ وجدانى وإذا بالحزن يتزايد عندما بدأت الحرب الأهلية بين الجنوب والشمال فى مايو

١٩٨٣، ولكن متابعة الأخبار شيء والمبادرة بالعمل شكل آخر.

وهكذا وخلال عام ١٩٩٧ اجتمعنا نحن مجموعة مثقفين من مصر مع بعض رجال الأعمال من السودان والذين هربوا أيضا من بطش وقسوة نظام الإنقاذ في أولى سنواته، وأمكننا أن نقيم جمعية أهلية مصرية سودانية (متجاوزين القوانين والقواعد الصادرة فى وزارة الشئون الاجتماعية لإنشاء الجماعات الأهلية) وهكذا تكونت في مصر جمعية أسرة وادى النيل وكان يرأسها عند تأسيسها د. محمد صبحى عبد الحكيم رئيس مجلس الشورى السابق فى مصر وكنت أخترت لاكون نائبا الرئيس، وهكذا عادت اتصالاتى لتكون أكثر قوة مع السودان.

قدم إلينا هاربا الإمام الصادق المهدى وتعرفت به وصرنا أصدقاء كما قدم لزيارتى مولانا السيد محمد عثمان المرغينى وأزوره كثيرا فى قصره بشارع الخرطوم بحى مصر الجديدة فى شمال القاهرة. وقدم إلى مصر جون قرنق وتعرفت معه ومع رجاله عام ١٩٩٧ وساهمت فى كتابة مقدمة لمؤلفه عن زيارته لمصر. كما تعرفت على العديد من زعماء السودان وأدركت أننا فى مصر لم نكن نعرف عن السودان إلا عاصمته ووادى حلفا وود مدنى وبلاد النوبة السودانية.

ناضلت علي قدر ما أستطيع بالكلمة والخطابات العقلانية والكلمات الثورية في اجتماعات أسرة وادى النيل كما ناضلت بالكلمة المكتوبة في مقالى الاسبوعى بجريدة الأهرام أو بمقالات أخرى فى جريدة الحياة.

وعندما دعيت لأن يخصص منبر خاص وبرنامج تليفزيونى في قناة دريم طورت هذا البرنامج المسمى صالون دريم وحولته إلى ما أسميته "ونسه سودانية" وقد انتشر هذا البرنامج فى كل من مصر والسودان - فكان أن تكون رأى عام مصرى يتكون من جديد ليعرف بأن مشاكل مصر الرئيسية وهي البطالة والتفجر السكانى لن تحل إلا من خلال علاقة خاصة مع السودان كما وأن معظم زعماء السودان قد أدركوا أيضا بأن المشاركة المصرية فى بناء السلام بالسودان ستكون أحد عوامل الاستقرار السياسى لهذا السودان الكبير المتسع.

كان الصراع الرئيسى بين حكومة الخرطوم وحركة تحرير السودان وجيشها والذى يرأسه د. جون قرنق وامتدت الحرب لسنوات طويلة دون طائل إلى أن أنهكت هذه الحرب الضروس كل من طرفى النزاع المسلح، فكان الوقت ناضج لأن تدخلت أربعة دول غربية أطلقت على نفسها عبارة شركاء الإيقاد "وهى مجموعة دول وحكومات شرق أفريقيا التي تتعاون من أجل مكافحة التصحر".

وكانت هذه المجموعة هى الرابطة التي ترعي مباحثات السودان بين حكومة الخرطوم وحركة جون قرنق. ومن عجبى أن مصر لم تشارك فى هذه المباحثات وذلك لأسباب ليست هذا موقعها،،، وفى ٩ يناير ٢٠٠٥ كان لى الشرف بأن

حضرت فى أحد ساحات كرة القدم الكبيرة فى نيروبى احتفال بتوقيع اتفاقيات السلام وهي حزمة كبيرة معقدة ليست لها سابقة فى تاريخ معاهدات المصالحة... إذ دخلت فى تفاصيل كثيرة من أهمها تقسيم الثروة والسلطة فى هذه القارة المتسعة فقد اكتشفت شعوب السودان أن السلطة والثروة متمركزة فى منطقة وسط السودان حول العاصمة الخرطوم، فلديهم العلم والسلطة والجيش والشرطة كما لديهم الثروة، وأن أقاليم السودان الأخرى مهمشة فكان ذلك هو صلب الصراع وعدم الاستقرار فى السودان.

علي أن توقيع معاهدة السلام بين الشمال والجنوب لم يحسم الصراع علي باقى الجهات المهمشة وطفت علي السطح مشكلة دارفور التى هزت ضمير العالم لأنها كانت متضمنة مأساة بشرية فى عدد القتلى وعدد من تضرر واضطر إلى الهجرة القسرية إلى تشاد أو غيرها.

وهكذا وتدريجيا انتقلت عدوى النضال بل عدوى رفع السلاح إلى مناطق أخرى فقد قال أحد رموز النظام فى الخرطوم أنه لا يتفاوض إلا مع من يحمل السلاح.

وهكذا كان لابد لشعب السودان أن يتذوق ويعانى داخل بوتقة الانصهار – فمديريات الجنوب الثلاثة... أعالي النيل ... بحر الغزال الاستوائية... قد دفعت ثمن غال لحصولها على حق تقرير المصير ولو بعد ست سنوات ويقال أن عدد القتلى والشهداء يصل إلى مليونيين وأن عدد من هاجروا هجرة قسرية إلى مناطق أخرى فى السودان أو إلى خارج السودان قد وصلوا إلى نحو أربعة ملايين.

تمسكت حكومة الانقاذ بالسلطة تمسك شديدا وأتقنت لعبة المفاوضات وهي من المركز فى الخرطوم قامت بمفاوضات مضنية مع حركة د. قرنق ابتداء من مشاكوس ثم نيفاشا وغيرها من مدن مختلفة فى جمهورية كينيا حيث اتقنوا لعبة الكر والفر وصاروا خبراء فى فن التفاوض والتسويف والتعطيل والالتفاف حول الإيقاد وشركاء الايقاد والضغوط الدولية واللعب بورقة البترول والثروة . فلم تعد الحكومة فقيرة كما كانت فى السابق وصار لها ايدولويجيتين ومنهجين... الايدولوجيا والمنهج الأول هو لعامة الشعب من خلال النصوص والفقه وعلم الكلام.. بل لعلهم أساتذة فقه علم الكلام.

أما المنهج الثانى فهو منهج براقماتى أمريكى ولتبسيط هذه العبارة لمن لا يدرك أبعادها أقول أنه يتأثر وينفذ المقولة الشعبية فى كل من مصر والسودان (اللى تغلبو العبو).

ويؤكد هذه الازدواجية فى الإيدولوجيا والمنهج هو أن معظم رموز النظام فى السودان يرتدون أحيانا الزى السودانى الممثل فى الجلباب الأبيض والعمامة البيضاء... وفى أحيان أخرى تعودنا أن نراهم داخل السودان بأنهم يرتدون إما الزى العسكرى أو البدلة الأفرنجية أما القميص والكرافت (رباط العنق) فهي فى

الأغلب الأعم من (كرستيان ديور).

وفى هذا المقام تلح عليَّ أسطورة مدونة فى الأدب العالمي وهي أن كان هنالك غابة وأعشاب يعيش بها الأرنب فى هدوء وسعادة ولكنه رغب فى أن يكون ملك الغابة بأكملها فذهب إلى الشمال ووجد الأسد وسأله هل أنت ملك الغابة فأجاب الأسد بالايجاب، فقال الأرنب: لا بل أنا ملك الغابة سأعطيك طرف الحبل وسأذهب أنا إلى بيتى فى الأحراش ومعى الطرف الآخر من الحبل، وعندما استعد أصفر وتقوم أنت بشد الحبل ومن يشد الآخر يصبح ملك الغابة. وذهب الأرنب إلى الطرف الجنوبى من الغابة ودار بينه وبين الفيل حوار مماثل لما دار مع الأسد ثم أعطى الفيل الطرف الآخر من الحبل وعاد الأرنب إلى الوسط داخل الأحراش حيث بيته ثم صفر فقام الأسد بشد الحبل من الشمال وقام الفيل بشد الطرف الآخر من الحبل فى الجنوب ودهش كل من الفيل والأسد من أين أتى الأرنب بهذه القوة وعندما أنهكا كل من الفيل والأسد قطع الحبل وصار الأرنب هو ملك الغابة.

وها هى حكومة الإنقاذ بالخرطوم قد أنقذت نفسها من الانهيار وأمكنها أن توقع الاتفاق مع الجنوب وأن تدير حواراً مع دارفور فى أبوجا ويبدو أنه سيصل إلى اتفاق سلام... وها هى الأنظار تتوجه إلى الشرق والصراع لم يحسم لأنه لا توجد هنالك قوة عسكرية كافية لأن تجبر الحكومة المركزية علي أن تفاوضها.

وها هى حركة البجا تلتف حول تنظيم أسمته مؤتمر البجا. والذين قاموا بالحضور إلى منزلى بحى المهندسين لكى أكتب تقديم لهذا المؤلف المتخصص.

إن السلام في السودان لن يكتمل ويعم كل السودان إلا بعمل اتفاق مع مؤتمر البجا وحركة الأسود الحرة وهما حركتان لهم جذور تاريخية مختلفة ولكن لهما طموحات مستقبلية متوازية.

لم يكن ممكن للسودان أن يتوحد إلا من خلال بوتقة الانصهار وها هو قد دفع ثمنا غاليا لهذه العملية التاريخية ولكن هذا الانصهار لن يعيش فى توافق إلا إذا مارست كل الأطراف مبدأ قبول نظرية وفكر ومنهج قبول الآخر وهو عنوان مؤلف كتبته عام ١٩٩٧ وترجم إلى لغات أجنبية كثيرة.

وكان مصدر سعادتى أن كل من الإمام الصادق المهدى والدكتور جون قرنق قالا عبارتين متشابهتين: قالها الإمام الحبيب باللغة العربية وقالها د. جون قرنق بالإنجليزية وفى مناسبتين مختلفتين تماما وهي أن مشاكلنا فى السودان لن تحل إلا إذا انتشر وعم فكر وثقافة قبول الآخر.

إن حركة البجا فى شرق السودان حركة قديمة بدأت عام ١٩٥٨ كما هو وارد تفصيله فى هذا المؤلف حول قيادات ضحت ورحلت ولكن حركة التاريخ ستظل ولادة لقيادات جديدة، وقد تصادف أن حضر إلى منزلى ربما عام ٢٠٠٢ الشيخ

عمر رئيس مؤتمر البجا فى ذلك الوقت، ورتبت له زيارة لمنطقة الأهرامات، وقبل مغادرته القاهرة شرفنى بالمنزل وقال: إننا فى السودان كله نحبك ولقد أعطيتنا الكثير ولا أملك إلا أن أعطيك الزى والرداء الشعبى لشعب البجا وبالفعل قمت بخلع ملابسى فيما عدا الملابس الداخلية ثم تكرم والبسنى لبس البجا قطعة قطعا فصرت الآن بيجاويا وهو أمر أعتز به كثيرا.

سوف يستمتع القارئ بتفاصيل ما الذى جرى لحركة البجا منذ أن أنشئت مؤتمرها وحتي الان وهي قصة نضال طويلة، ولكنني ألمس أن شعب البجا لديه بالفطرة ثقافة ونهج قبول الآخر، ولذا فأنني على يقين بأنه لن يحدث أى خلاف أو صراع أو صدام بين شعب البجا والذى دفعته الظروف لكى يكون قيادته لتبلور ثقافته ولغته وعاداته وقيمه ومفاهيمه، ولكنه مرحب ومتعاون ومتعايش مع كل القبائل الأخرى فى شرق السودان والتي لا تنتمى إلى البجا، ذلك لأن مؤلفى القادم سيكون غالبا بعنوان الوحدة من خلال التنوع.

فلينتمى أى منا إلى قبيلته أو إلى شعبه وليكن لكل منا عاداته وقيمه ولغته ومفاهيمه فهذا هو الانتماء الثانى العام بعد الانتماء إلي القبيلة.

ولذا فإنه لا مفر من أن يكون للسودان حكم فدرالى وقد اقترحت فى كتاباتى ومنذ سنوات طويلة بأن السودان كله سيتمسك بوحدة التراب السودانى، ولكن من خلال نظام فدرالى يصل بنا إلى الولايات المتحدة السودانية.

أختم فاكرر بان السودان يمر حاليا بمرحلة دقيقة جداً من تاريخه المعاصر وتدل ظواهر الأمور علي أن السودان لن يتفكك ولكنه يحتاج إلى سنوات لمحو آثار الجراح التي عاناها طوال فترة الانصهار الوطنى والبحث عن الهوية الجذرية وربما كانت هي الأسرة الصغيرة أو القبيلة الأكبر وهذا هو الانتماء الأول الاقوى ثم يأتى الانتماء الثاني وهو إلى الجهة أو المنطقة شرقا أو غربا أو شمالا أو جنوبا أو وسطا أينما يكون التقسيم ولكن هذا الانتماء الثانى ينبغى أن يكون أيضا قوياً ومتماسكاً من خلال قبول الآخر.

أما الانتماء الثالث والذى لا أمل عن تكراره فهو الانتماء إلى الوطن الأكبر وهو السودان.. لأنه بدون هذا الانتماء ربما يتعرض السودان.. إلى هزات أو صراعات نتيجة إلى خلافات بين القبائل.

لقد بلغت من العمر ٨١ عام (يوم ٢٤ يونيه ٢٠٠٥) وأتمني من العلى القدير أن يطيل فى عمرى ولو لسنوات قليلة لكى تتغير الأحوال الثقافية فى السودان فهو أكبر وطن عربى أفريقى فى العالم به عدد هائل من القادة والزعماء، وكان ذلك أحد مميزاته فلم يستطيع أى انقلاب عسكرى أن يستمر عسكريا لوقت طويل، ولكنه أيضا وللأسف الشديد أحد مشاكل السودان فالرجال كثير وهنالك زعامات رائعة من

النساء فى السودان وهنالك شيوخ عاصروا الحركة الوطنية التي تدمرت لأنها لم تدرك مشكلة المركز والمحيط الذى يعيش على التهميش والفقر والجهل والمرض.

وأتوقع فى السنوات القليلة القادمة أن تتعود هذه الزعامات بأن تنتقل تدريجيا من الكلام فى السياسة والتحزب للقبيلة أو الطائفة أو المنطقة أو الجهة، أقول سوف يتحول تدريجيا للكلام عن التنمية والمياه والعمران والمدخرات والبحث عن مصادر الثروة وبناء خدمات جديدة لمدن جديدة لأن السودان ملئ بالخيرات.

وقد يحتاج إلى ١٥ عاما أى فى عام ٢٠٢٠ ستكون الولايات المتحدة السودانية أكبر قوة فى كل من العالم العربى وعالم افريقيا جنوب الصحراء، ولكن ذلك كله يتوقف على الكياسة واختيار الألفاظ بدقة والتى لا تثير حساسيات لدى الطرف الآخر وتبحث عن الأرض المشتركة الثقافية ثم المصالح المشتركة الاقتصادية ثم بناء الوطن الكبير الملئ بالخيرات وفى انتظار ماذا سوف يفعل شعب السودان بهذه الخيرات.

أما وقد شرفنى الشيخ عمر بالجنسية البيجاوية فإنني أتطلع لزيارة شرق السودان لأري فى غضون خمسة سنوات شبكة طرق وخزانات مياه واستصلاح أراضى وبناء تجمعات سكنية جديدة وتنمية الثقافة البيجاوية بدون طغيان حق جمهور شرق السودان فى أن يكون أيضا له خصوصيته الثقافية، وأعد بأننى سوف أزور شرق السودان بعد أن يكتمل السلام فى ربوع السودان بأكمله ومن خلال حكومة مركزية ائتلافية تنمي الوحدة من خلال التنوع والتنمية قبل السياسة والأرضية المشتركة قبل النزاعات القبلية .

فالسودان دولة عظيمة سيعمل لها كل الحساب فى العالم العربى وافريقيا ولكن الأمر مرهون بكياسات وحسن تقدير زعماء السودان فى الماضى والزعامات الواعدة فى المستقبل وعلي الله قصد السبيل.

مع تحياتى لشعب البجا ومن خلاله سيتم السلام الكامل فى كل ربوع السودان

ميلاد حنا

مواطن مصرى بسيط

ومحب للسودان

٢٤/ ٦ / ٢٠٠٥

المقدمة

أ- مؤتمر البجا : بين الأمس واليوم

عقد (مؤتمر البجا) العام، في مدينة بورتسودان، في الفترة (١١-١٣) أكتوبر ١٩٥٨م بقيادة وزعامة الدكتور طه عثماني بلية ورفاقه الأبرار. وأيده الكثيرون من غير أبناء البجا.. وأما أبناء البجا، فكان تأييدهم شاملا. فقد حضر كل من استطاع الحضور. وكان على رأسهم زعماء القبائل، من النظار، والعمد، أومن يمثلونهم. فقدر عدد الحضور بخمسة عشر ألفاً وقدر بأكثر من ذلك.. وحضرته حكومة السودان، في ذلك الوقت، ممثلة في رئيس الوزراء، السيد عبد الله خليل، ووزير الداخلية، السيد علي عبد الرحمن وعدد من الوزراء. كما حضره سياسيون من مختلف الأحزاب، وحضره الصحفيون وغيرهم. وأرسل البعض برقيات التأييد والمباركة من داخل السودان ومن خارجه... فكان تظاهرة حضارية عظيمة.. أشاد بها من أشاد.. من الصحفيين وغيرهم. وانشغلوا بها بعض الوقت... يناقشون التوصيات التي انتهى إليها المؤتمر، الذي قدمت فيه كثير من البحوث. في المجالات المختلفة.. قدمها متخصصون، كل في مجاله. وكان على رأس هؤلاء، الدكتور طه عثماني بليه، الطبيب. بعد آن افتتح المؤتمر بكلمته الجامعة المانعة..

طلب السيد رئيس الوزراء، عبد الله خليل، أن يلقي كلمته.. ولكنهم اعتذروا له.. ثم سلموه تلك التوصيات، التي وعد بدراستها!!

ولاشك، آن ما حدث أمامه في ذلك المؤتمر، وما استمع إليه، ثم اعتذارهم عن مشاركته. كل ذلك أشعره بخطورة الموقف! مما شجعه على تسليم السلطة للعسكريين. مع وجود أسباب أخرى.. منها النزاع بين الحزبين الموسعين، حزب الأمة، والحزب الشعبي الديمقراطي. ومنها أيضاً، المشاورات بين السيد الصديق المهدي والسيد إسماعيل الأزهري.. لتأليف حكومة جديدة! ومنها أيضا، التقارب بين جناحي الحزب الوطني الاتحادي القديم. الحزب الوطني الاتحادي، وحزب الشعب الديمقراطي. وغير ذلك.. من الأسباب... على كل حال، فقد تم تسليم السلطة للعسكريين في ١٧نوفمبر ١٩٥٨.. بعد شهر واحد، تقريبا، من قيام ذلك المؤتمر.. الآمر الذي أصاب الجميع في مقتل!! وهم ينتظرون عهدا جديدا يحقق بعض الذي أمّلوا.. ومما زاد الطين بله،، كما يقولون، ذلك الاستقبال الغريب الذي استقبل به الفريق إبراهيم عبود زواره من البجا في أر كويت، يرجون منه خيرا.. فقال لهم :(آن الثورة مستعدة لضرب كل من يقف في طريقها!) فأدركوا، أنهم المعنيون بذلك!! لان جهات مناوئة لذلك المؤتمر، كانت قد أوحت إليه بذلك.. هذا، بعد، نقل المسئولين من البجا من الشرق، السيد محمد مختار مصطفي ورفاقه، في الميناء، الذين نقلوا إلى عطبرة، وعلى جناح السرعة.. وكانوا من قيادات المؤتمر. ونقل الدكتور محمد عثماني الجرتلي، إلى الجنوب. كما نقل السيد حامد علي شاش وغيرهم! مما يدل على أن

قيام (مؤتمر البجا)، بتلك الصورة التي قام بها، كان من أسباب تسليم تلك السلطة.. وكاد الموقف في الشرق ينفجر، لولا اللطف الإلهي، وحكمة القيادة! فقد حاول بعض الشباب، ممن حضروا مقابلة الفريق عبود في أر كويت، أن يشعلوها ثورة مسلحة على عبود ونظامه. ومنذ ذلك اليوم، ظلت فكرة الثورة المسلحة، تراود الشباب العاملين في هذا المجال. وقد كان يدفعهم إلى ذلك، اتجاهات الأنظمة الشمولية، إلى القهر، وإلى التهديد، وإلى ممارسة العنف، في كثير من الأحيان، على البريء، وعلى المذنب.

لقد كنا حينذاك، عندما انعقد مؤتمر ١٩٥٨م، طلابا بمدرسة بورتسودان الثانوية. وكان دورنا الحضور، والمشاركة المحدودة، والاستماع لما قيل. وخاصة تلك الكلمة القوية، الموزونة، الجامعة، المانعة. التي ألقاها المرحوم الدكتور طه عثماني بليه. ثم كلمة السيد أبو موسى علي، السكرتير العام لذلك المؤتمر، القوية، بأدائه اللغوي المتميز، الذي عرف به. ثم كلمة الأستاذ محمد دين احمد إسماعيل، الذي عرف (بالبجأوي) والذي كان يتميز بقدراته الخطابية. ثم تلك القصيدة الرائعة التي ألقاها الدكتور محمد عثماني الجرتلي. والتي كانت هي الأخرى، جامعه مانعه.. ثم كلمه النائب علي حسين المليك التي تضمنت اقتراحا باستقرار الرحل، على غرار ما تم في الاتحاد السوفيتي. بأن فرض على الرحل الاستقرار، بوسائله. ثم تلك الترجمة، الحية، الرائعة، التي كان يقوم بها الأستاذ أبو علي كرار وزملاؤه، من البجأوية، والتقرية، إلى العربية. وغير ذلك. مما كان مثار إعجابنا وفرحتنا في تلك الأيام القليلة التي حرصنا كل الحرص على

حضورها... وكنا قبل، نعقد الندوات في نادي البجا، للتوعية العامة. فجاء دور توعيتنا نحن. فكان ذلك المؤتمر مدرسة، بالنسبة لنا.. وظل صداه في نفوسنا. وقد سرّنا كثيرا، اهتمام الصحف به بصفة عامه. ولكن ما كتبته صحيفة الزمان، على قصره، كان تقريظا رائعا لما تم. ثم كلمة السيد نصر الدين السـ [illegible] ادقة، عن البجا، ومؤتمر البجا والتي نشرت في جريدة (العلم).. ثم ما كتبه الأستاذ بشير محمد سعيد في جريدة (الأيام). وغيره كثير.. ولكن انقلاب عبود، كما كان يسمى، كان له وقع أليم في نفوسنا نحن الطلاب. فقد فقدنا الحرية التي كنا نعتز بها، ونمارس في ظلها، مختلف أنواع النشاط الثقافي والسياسي. ولأنه أجهض سعي البجا في المطالبة بحقوقهم، وهم يقدمونها في ذلك المؤتمر، الرائع...

انقضى عهد عبود، كما كان يسمى، بخيره وشره، بقيام ثورة أكتوبر المجيدة.. التي فرح بها الشعب السوداني فرحة عارمة. وشارك فيها الجميع، كبارًا وصغارًا، رجالا ونساءً. وعلى قلب رجل واحد. وفي كل أنحاء السودان. حتى أن صداها، مازال يتردد في النفوس. وقد مضى عليها (٤٠) عاما، فعادت الحرية بعودتها، وعادت الأحزاب، كما كانت، أو ربما أسوأ. بالرغم من أن الثوار كانوا يرددون: (لا زعامة للقدامى) فعاد القدامى، وعاد معهم زعماء جدد، لم يكونوا. خيرا بل كان بعضهم، كارثة وشرًا مستطيراً، في ذلك الوقت، وفي مقبل الأيام. حتى فقد السودان والسودانيون، الكثير مما كانوا يتميزون به. وعرضوه لكثير من المصائب. ليس أقلها التدخل الأجنبي، الذي يدعون رفضه، ولأسباب موضوعية. هي العجز التام عن حل مشكلاته!! في تلك الأيام، عقد الكثيرون

من البجا، الموجودين في مدينة بورتسودان، اجتماعًا عامًا في المدينة، في ساحة واسعة، قريبة من المكان الذي عقد فيه ذلك المؤتمر. في حي (ديم العرب). يتداولون في أمرهم.

فقر رأيهم على إعلان (مؤتمرا لبجا) حزبًا سياسيا مستقلاً. فوجد ذلك الأمر القبول من الجميع. وبدأ العمل بنظام دقيق. بتكوين مكتب تمثل فيه كل القبائل الرئيسية. وانتخبت السكرتارية المسئولة. وسار العمل على قدم وساق. وبكل القوة. مما سيرد تفصيله في البحث في موضعه..

كنا، نحن، طلابا بالجامعات والمعاهد العليا، في ذلك الوقت. فاشتركنا في لجان العاصمة، وكتبنا في الصحف، نؤيد ونوجه، ما أمكننا ذلك. فكان، كل واحد منا، كأنه، وحدة، هو المسئول عن نجاح ذلك المؤتمر. وتحقيقه أهدافه. حل مشكلات البجا المزمنة منذ الاستقلال. بالرغم من الاختلاف بيننا، في التوجهات الفكرية، والسياسية، الأخرى.. بعضنا لم يحدد لنفسه توجهاً فكرياً أو سياسيا معيناً لأنه كان مستغرقاً فيما هو فيه. وكنت من هذا البعض، مع بعض الميل نحو اليمين..

فاز (مؤتمر البجا) بأحد عشر من النواب! في أول انتخابات عقدت بعد ثورة أكتوبر.. ولاشك أن مقاطعة، حزب الشعب الديمقراطي، لتلك الانتخابات، كان لها الأثر الإيجابي للفوز بذلك العدد! ولكن قيام (مؤتمر البجا) بصورته تلك، كان من أسباب هذه المقاطعة. مع أسباب أخرى... منها أن الحزب، كان مؤتلفاً مع حكومة عبود. وقد قدم مذكرة (كرام المواطنين).. فكان في حاجه إلى أن ينظم صفوفه من جديد!

ولكن الفترة السياسية بعد ثوره أكتوبر المجيدة، (من اكتوبر١٩٦٤ إلى قيام ثوره مايو ١٩٦٩) كانت من أسوأ الفترات السياسية التي مرّ بها السودان. منذ الحكومة الأولى التي شكلها الأستاذ سر الختم الخليفة من جبهة الهيئات. تلك الجبهة، التي تولت أمر الإضراب السياسي الذي كان قاصمة الظهر، لنظام عبود. هذا بالإضافة إلى الثورة في كل مكان... فرفض ممثلو الأحزاب تلك الحكومة. بحجة أنها حكومة يسارية!! فكون حكومته الثانية، بالصورة التي ارتضتها الأحزاب.. ثم قامت الانتخابات. وعادت إلى السلطة. مره أخرى.. وتكونت الجمعية التأسيسية. وكان من أولى واجباتها، وضع الدستور الدائم. الذي فشلت في وضعه الفترة السياسية الأولى.. ولكنهم، بدلا من ذلك، اتجهوا إلى تعديل الدستور الموجود. الدستور المؤقت، لأسباب حزبيه، وشخصيه... وكان من أولى التعديلات أن يصبح السيد إسماعيل الأزهري رئيساً دائماً لمجلس السيادة!! ثم لإلغاء مجلس الشيوخ. ثم جاءت الحالقة. وهي التعديل لمنع الحزب الشيوعي، ولطرد نوابه من الجمعية التأسيسية. بتعديل المادة (٥/ ٢) التي تنص على، حرية الاعتقاد، والتنظيم..

رفع الشيوعيون الأمر، إلى المحكمة العليا. فحكمت المحكمة ببطلان التعديل! ولكن السيد رئيس الوزراء، الصادق المهدي، رئيس السلطة التنفيذية، قال عن حكم المحكمة، إنه تقريري. وصمم السادة النواب، على إلا يسمحوا بعودة النواب الشيوعيين إلى الجمعية.. (محكومة).. وأصدر مجلس السيادة بيانا يقول فيه، إن الجمعية التأسيسية تملك الحق في إجراء أي

تعديل، وأن الحكم الذي أصدره قاضي المحكمة العليا، حكم خاطئ، من وجهة النظر القانونية.. وقال السيد إسماعيل الأزهري، رئيس مجلس السيادة، إنه سوف يجعل القضاء الشرعي فوق القضاء المدني. وغير ذلك من صور التعدي على القضاء. والاستهانة بأمره. مما حمل رئيس القضاء السيد بابكر عوض الله، على الاستقالة.. وقد جاء في استقالته تلك، أنه لم توجه إلى القضاء السوداني إهانة كالتي وجهت إليه في ذلك الوقت..

هذا ما كان من أمر القضاء.. ولكن الفوضى في ذلك العهد لم تقف في حدود محددة وإنما اتجه الحزبان المؤتلفان، الحزب الوطني الاتحادي، وحزب الأمة، جناح السيد الهادي المهدي، إلى حل الجمعية التأسيسية نفسها. عندما شعروا بأن السيد الصادق المهدي، والمتحالفين معه، سوف يسعون إلى إسقاط الحكومة.. وكان شعارهم، في ذلك الوقت، (الحل.. في الحل). يعني، حل الأشكال، وهو صوت الثقة في الحكومة، في حل الجمعية.

وبالفعل جعلوا عددا من النواب يستقيل من الجمعية، لتفقد الجمعية أهليتها. فاستقالوا.

وبذلك تم حل الجمعية. فلجأ السيد الصادق المهدي إلى القضاء، الذي قال عن حكمه بأنه تقريري، فلم يجد عنده الحل. ثم لجأ إلى الجيش، فلم يسعفه الجيش ..

هذا ما كان من أمر الجمعية التي تم حلها ولما ينته أجلها. وأنها، بطبيعة الحال، لم تتجه إلى أمر الدستور، الذي تكونت من أجله. كسابقتها، التي حلها عبود ورفاقه، والتي لم تنجز مهمتها.

وأما نواب (مؤتمر البجا) العشرة، فقد بدؤوا أول المشوار، بأن أعلنوا انضمامهم لحزب الأمة. ثم، لم ينالوا ما وعدوا به، وهو الوزارة. الأمر الذي جعل السكرتارية في موقف حرج، وعرّض المؤتمر إلى صراع داخلي، بين القياديين فيما بينهم، وبين القيادة والقاعدة. ثم جاءتهم مشكلة التعديل وطرد النواب الشيوعيين من الجمعية. وما تلا ذلك من المشكلات التي لفت البلاد في ثوبها الأسود. وكان نصيب البجا و(مؤتمر البجا) منها، نصيب الأسد..

أما التعديل، فأيده ثمانيية من نواب مؤتمر البجا، وعارضه اثنان. هما النائب هاشم بامكار، الذي لم يكتف بالمعارضة، وإنما طالب بحل جبهة الميثاق الإسلامي... والنائب محمد الأمين محمد طاهر باكاش، الذي تحرج من تأييد ذلك التعديل، لأن بين النواب الشيوعيين أستاذه في المرحلة المتوسطة، الأستاذ حسن الطاهر زروق..

هذا ما كان من أمر النواب، واختلاف مواقفهم من ذلك التعديل. فقد اختار كل منهم الموقف الذي رآه. وتحمل مسئوليته. وقد تعرض بعضهم، للوم من قبل من كانوا يعارضون موقفه من بعض القيادات، في لجنة العاصمة. كالذي حدث للأستاذ عبد القادر أوكير. فقد جاءه بعضهم وقالوا له، لابد أن تكون مع (المثقفين). الأمر الذي أنكره عليهم... ولكن الذي أصاب المؤتمر، ككل.. فلا أكون مبالغا، لو قلت، إنه حل، مع حل الحزب الشيوعي. فقد انقسمت القيادات، واللجان في المركز، والعاصمة، والأقاليم. بين مؤيد للتعديل، ويرى أنه من واجب المؤتمر، أن يؤيد ذلك.

وبين معارض لذلك التعديل، ويرى أنه من واجب المؤتمر، أن يعارض ذلك. ولم يكن هناك مرجعية لتحكم بين الفريقين المختلفين المتعاركين..

ثم حلت الجمعية بالصورة التي حلت بها. وعاد الحزب الوطني الاتحادي إلى شقه الآخر، كما يرى البعض. أو عاد إليه شقه الآخر، كما يرى آخرون، باسم (الحزب الاتحادي ديمقراطي).

ذلك الاسم الذي علق عليه أحد حكماء البجا، وهو المرحوم الشيخ حمد عادلي، فقال، إن الحزب، عندما عاد، لم يجد غير عبارتين تدلان على أن، كلا منهما لم يجد غير العبارة التي لا معنى لها عنده. فجاء الحزب الوطني الاتحادي بعبارة (الاتحاد) التي تخلى عنها. وترك كلمة (الوطني) التي له فيها نصيب. وجاء، حزب الشعب الديمقراطي، بكلمة (الديمقراطية) التي ليس له منها نصيب، لأنه حزب طائفي، لا علاقة له بالديمقراطية. وترك كلمة (الشعب) التي تعبر عن واقع الحزب.

ثم، فاز مرشح هذا الحزب، السيد محمد عبد الجواد، على مرشح (مؤتمر البجا) الأستاذ أبو موسى علي، السكرتير العام للمؤتمر، في مدينة بور تسودان، الدائرة الغربية.. ولم يفز (مؤتمر البجا) في تلك الانتخابات، الثانية بعد ثورة أكتوبر، إلا بنائب واحد، أو نائبين. وكان قد فاز بأحد عشر من النواب، في الانتخابات الماضية.. فتكونت لجنة من مجموعة اختيرت من القياديين لتقويم كل ذلك. في نفس ذلك العام ١٩٦٨.

ولقد كنت، والمرحوم محمد عثماني إبراهيم، مقررين لتلك اللجنة، التي واصلت اجتماعاتها، بصوره مكثفة، حتى وضعت تقويمها. وهوا لخاتمه لهذا العمل الذي أقدمه اليوم.. والذي يهمنا، في هذه المقدمة، هو

اتفاقنا على أنه، لا يمكن أن يقوم حزب سياسي، مهما تكن دوافعه، ما لم يتفق أعضاؤه، في فكرهم، وتصورهم في القضايا، في مجال السياسة والاقتصاد والإجماع وغير ذلك!! فهل أحزابنا التقليدية التي تنادي بعدم شرعية هذه الأحزاب الإقليمية، كمؤتمر البجا، تراعي شيئاً من ذلك ؟! أم هي أحزاب طائفية تضم اليمين إلى اليسار. وتحاول سوقهم في الاتجاه الذي تريد! وبذلك تورد البلاد والعباد موارد الهلاك ؟!

ويسير المتعلمون خلفها.. بل يدينون، ويلومون، غيرهم ممن لم ينضم إليهم، من المتعلمين، ممن ينتمون إلى أحزاب عقائدية، وغيرها. بحجة أن أحزابهم هي أحزاب الوسط!! وليست هي أحزاب الوسط. لأنها لا تملك الفكرة التي تبقيها في الوسط، الذي يجمع الطرفين. اليمين، واليسار.. ولكنها وسط، لأنها لا تحمل فكرا واحدا. وإنما لكل واحد منهم فكره. يميناً أو يساراً.. وأنهم جميعا، يسيرون تحت مظلة الزعيم الطائفي، أو شبه الطائفي.. إضافة إلى ذلك، ليس المطلوب من أي حزب من الأحزاب، أن يكون وسطاً أو طرفا. وإنما المطلوب، أن يكون للحزب رؤية واضحة، مفصلة، عن كيف سيحكم البلاد. بأي رؤية. وعلى ضوء ذلك يستقطب من يستقطب. حتى يستطيع من ينضم إليه، من المثقفين وغيرهم، أن يقف مع حزبه إذا التزم الحزب برؤياه. فيقومه، ويعارضه إذا حاد عنها.. ولكننا، نحن في السودان، اكتفينا بأن نقول هذا حزب طائفي. وذلك حزب غير طائفي، حزب وسط.. هذه المقاييس، المتواضعة، ربما كانت كافية، في الماضي، ولكنها اليوم، ونحن نتجه إلى بناء سودان جديد، غير كافية البتة..

والدرس الهام جدا الذي استنفدناه نحن، البجا، من هذه التجربة،

تجربة أن يكون (مؤتمر البجا) حزبا سياسيا، كان درسا في غاية الأهمية، نتمنى تعميمه. لأننا وجدنا أحزابنا التقليدية لا تختلف عن تجربتنا في حزب (مؤتمر البجا). فاتجهنا، من ثم إلى الأحزاب العقائدية وغيرها حتى لا نكرر تلك التجربة في حزب آخر، وسط، أو غير وسط.. فكان للحزب الشيوعي نصيبه. وكان للحزب الجمهوري نصيبه. ولكن الاتجاه الإسلامي، بصفة عامة، جبهة الميثاق الإسلامي، ثم الجبهة القومية الإسلامية، كان له نصيب الأسد. ولكن تجربة حكم الإنقاذ بصفة عامة، ثم الانشقاق الذي حدث فيها، كل ذلك كان له أثره السلبي..

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن حركة (مؤتمر البجا)، في مرحلتيها.. الأولى في العام ١٩٥٨ عندما عقد (مؤتمر البجا) العام، بقيادة المرحوم الدكتور طه عثماني بلية ورفاقه الأبرار.. والثانية عندما أصبح(المؤتمر) حزبا سياسيا، بعد ثورة أكتوبر المجيدة عام ١٩٦٤، وفاز بأحد عشر من النواب، في أول انتخابات بعد الثورة، ثم لم يفز إلا بمرشح واحد، أو اثنين، قي الانتخابات التالية عام ١٩٦٨ فقام المسئولون بتقويم التجربة. وكان أهم ما خلصوا إليه، هو استحالة قيام حزب سياسي لا يتفق أعضاؤه في الفكر والقضايا الأساسية التي تنبثق عنه في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع وغير ذلك. وكانت التوصية بإقامة مؤتمر، على غرار (مؤتمر البجا) العام الذي عقد عام ١٩٥٨..

ولكن لعمق التجربة في النفوس، ولبقاء المشكلات التي دعت إلى ذلك، بل بتعقدها، وزيادتها بصورة كبيرة، نتيجة لفشل الأنظمة السياسية

المختلفة، في تفهم المشكلات التي تعاني منها هذه الأقاليم، الإقليم الشرقي، بصفة خاصة، وفي مطلبه الأساسي، وهو أن يكون حكامه ومسئولوه منه، وأن يكون لهم نصيبهم في الحكومة المركزية. ظل البجا متمسكين بهذا الشعار (مؤتمرا لبجا). الذي أخذ يتشكل حسب الظروف، وحسب ما يراه القائمون عليه.. وكم كنا نتمنى أن تحل هذه المشكلات التي يعاني منها البجا وغير البجا، من سكان الأقاليم. ليعمل السودانيون يدا واحدة لحل مشكلات السودان. هذا الوطن العزيز، الذي أصبح في ذيل القافلة بعد أن كان مرشحا للسير في المقدمة. لأنه من أولى البلاد الأفريقية التي تحررت من الاستعمار. ولكن بنيه، حبا في السلطة والتسلط، وما تضفي السلطة على صاحبها من هيبة، زائفة، وما تمكنه من العيش الرغد، الزائف، هو الآخر، والذي كثيرا ما يغري بأكل السحت، الذي يجر صاحبه إلى الهلاك بالسير في الطريق الهابط، ويحسب أنه في أمان.. وليس هناك أمان، حقيقة، إلا في اتباع قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ صدق الله العظيم

ومطالب البجا وغيرهم، هي في غاية البساطة والسهولة. وهي أنهم يطالبون بأن يحكموا أنفسهم ويكونوا شركاء في السلطة المركزية. ويكون لهم نصيبهم في الثروة..

ولقد تحقق قدر من ذلك في العام ١٩٨٠ عندما أصبح السيد حامد علي شاش حاكما للإقليم، وعندما أصبح المرحوم اللواء محمد عثماني حامد كرار، حاكما للإقليم. بعد الانتفاضة. في العهد الحزبي. ثم عادت

الصورة القديمة، في عهد الإنقاذ، بأن أصبح الحكام والمسئولون من خارج المنطقة. الأمر الذي حز في النفوس كثيرا. وصارت هناك ململة وتذمر. أحس بها المنتمون إلى الإنقاذ من أبناء البجا. وكانوا يتحينون الفرص للتنبيه إلى ذلك..

جاءت زيارة السيد الرئيس عمر البشير إلى بور تسودان، في ذلك الوقت، السنوات الأولى من الإنقاذ. فحاولوا التنبيه إلى ذلك في خطابهم. الذي أعدوه لاستقباله. والترحيب به.. فكان رد السيد الرئيس على ذلك: (إننا لا نولي إلا القوي الأمين.. وإننا لا نأتمر بأمر أحد..)

كان السيد الرئيس يعبر عن نهج الإنقاذ.. ولكن قوله ذلك كان قاصمة الظهر، وبصفة خاصة، على أهل الإنقاذ. الذين حاولوا التنبيه إلى ذلك، في خطابهم. وكانوا يرجون أن يسمعوا منه ما يهدئ الخواطر، ويطمئن النفوس.. فما كان منهم إلا أن عقدوا اجتماعا، في تلك الليلة. ليقرروا في الأمر..

كان من رأى بعضهم، الخروج عن الإنقاذ.. ولكنهم آثروا الحكمة وعدم التسرع. صاروا فريقين.. فريقا يقوده السيد محمد طاهر إيلا، مدير الميناء الأسبق، ووزير الطرق والجسور الاتحادي.. وفريقا يقوده السيد محمد آدم هاقاب، المسئول الأول عن الإنقاذ في ولاية البحر الأحمر.

وكان الفريق الأول أكثر تجاوبا مع الجماهير فكانت له الغلبة.. فجاءت وفود من قيادة الإنقاذ للتوفيق بين الفريقين فلم يفلحوا.. وكانت هناك انتخابات المجلس التشريعي في الإقليم. فكان حكمهم، أن الذي يفوز

في تلك الانتخابات، هو الذي يمثل الولاية. وكان واضحا أن الغلبة كانت لفريق السيد محمد طاهر إيلا، الذي اجتمعت له كل الفعاليات بما في ذلك التي تعارض الإنقاذ..

في ذروة ذلك الصراع بين الفريقين، جاء إعلان السيد محمد طاهر إيلا وزيرا للسياحة.. وبصورة مفاجئة..

كان الغرض واضحا من إعلان تلك الوزارة، وفي ذلك الوقت بالذات. قمة الصراع بين الفريقين فريق السيد محمد آدم هاقاب، المسئول الأول عن الإنقاذ في ولاية البحر الأحمر، وفريق السيد محمد طاهر إيلا مدير الميناء، في ذلك الوقت، الذي التفت حوله الجماهير..

كانت هناك مشاورات في أمر قبول الوزارة ؛ لوضوح الغرض منها، في ذلك الوقت فلم يكن، بطبيعة الحال إشراكه في الحكومة المركزية، و إنما لأبعاده عن الساحة. ثم وضعه تحت الرقابة.

وكان البجا يتوقعون اختيار مدير للميناء من أبناء المنطقة. لوجود الكفاءات منهم في الميناء وخارجها. وكان ممن تردد اسمهم، المهندس، إبراهيم الأمين أحمد إسماعيل. ولقد كان الكثيرون مرحبين بذلك، لمعرفتهم به، لكفاءته المهنية. أكثر من ذلك، لمعرفتهم بأنه يمكن أن يعيد العهد الذهبي لإدارة الميناء، عندما كان مديرها السيد محمد مختار مصطفي الذي كان ينصف الجميع، من نفسه ومن غيره. لأيمانه الصادق بالله، وبثقته في نفسه. لأن السيد إبراهيم الأمين من نفس تلك الطينة، التي يسميها أخونا وصديقنا، أبو آمنة حامد، بأولاد القبائل الذين يعدلون حفاظا لما

ورثوه من آبائهم وليس خوفا أو حرصا على البقاء في المنصب. لم يكن ترحيبهم به لمجرد أنه واحد من أبنائهم، فقط. وما أقل هؤلاء في وقتنا الحاضر الذي أذل فيه الحرص أعناق الرجال.. فجئ بالسيد عمر محمد محمد نور، ثم بالسيد حمزة محمد عثماني.

هذا ما كان من أمر المؤيدين للإنقاذ الذين تفرقوا إلى فئتين.. وأما الآخرون فقد اتجه فريق منهم إلى الثورة المسلحة باسم (مؤتمر البجا). واستقر ببعضهم الحال في إريتريا التي استجابت لذلك، لما قدمه فريق من أبناء البجا، للثورة الإريترية، في كفاحها الطويل.. فقد حاربوا معهم حتى انتصار الثورة وأعلنت دولة إريتريا الحرة المستقلة.. كانت إريتريا في ذلك الوقت على علاقة طيبة مع النظام في السودان. وكانت ترفض استقبال المعارضة، أو السماح لها بأي نشاط في أراضيها..

في نهاية العام ١٩٩٣، اتهمت إريتريا النظام السوداني بإرسال مخربين من جنسيات مختلفة إلى إريتريا.. ومن ثم ساءت العلاقات بين الدولتين، وفتحت إريتريا أبوابها للمعارضة السودانية حتى أصبحت هي المأوى وهي المنطلق.. ومن ثم جاء الإعلان عن وجود (مؤتمر البجا) المعارض في دولة إريتريا..وليس صحيحا القول، بأنهم جاءوا إلى إريتريا مع المعارضة.. أو أنهم خرجوا لان الوفود لم تجد مطالبها.. لأن تلك الوفود دعيت لمحاربتهم هم!! ولم تدع لمعرفة مطالب البجا، كما كان الأمر في ظاهره..

ما نريد أن نخلص إليه هو أن مطلب البجا و(مؤتمر البجا) الأساسي هو أن يكون حكامهم منهم، وأن يكون المسئولون من أبنائهم، ويكون لهم

نصيبهم في الحكومة المركزية.. هذه هي مطالب البجا ومؤتمر البجا، منذ ما يقارب نصف القرن.. هذا وقد نال الكثيرون من أبناء البجا حظوظهم من التعليم .والخبرة، مما جعلهم مؤهلين للقيام بذلك الدور.. ولاشك أن سياسة، فرض حكام ومسئولين على المنطقة من خارجها، هذه السياسة هي أس البلاء. وسبب الكثير من المفارقات الخطيرة التي سوف نذكر بعضا منها، في هذه المقدمة. لعل المسئولين يتنبهون لخطورة ذلك، ليس على الشرق وحده. ولكن على الوطن. السودان ككل.. في الحال والمآل..

ب – مفـارقـــات

أولى هذه المفارقات كانـت في العـام ١٩٦٦، في كسـلا، مـع المرحـوم السيد حسن دفع الله الذي كان محافظ محافظة كسلا في ذلك الوقت. وكنت حينذاك معلما بمدرسة كسلا الثانوية للبنين .

جاءنا طلاب من مدرسة الخرطوم التجارية، زائرين لكسلا والشـرق، للتعرف عليهما.. فذهبت معهم للقاء السـيد المحـافظ. فسـألوه عـن قبائـل البجا. فرد عليهم، وهو يستشعر كامل الثقة في معرفته بها. ثـم أخـذ يخلـط خلطا وبيلا بين القبائل الرئيسية والقبائل الفرعية..(الأمارأر، السمر أر...)

صححت تلك المعلومات، فيمـا بعـد، لأولئـك الطـلاب. وشـعرت بضرورة التعريف بالشرق وقبائله. لعـل المسـئولين وغيرهـم مـن الأخـوة، يريحوننا قليلا من هذا الخلط بين البجا والهد ندوة. الذي لا فرق بينهم فيه، بين العامة والمتخصصين من الكتاب ومن الصحفيين، وغيرهـم.. ونحـن لا نملك إلا أن نتقبـل ذلـك، لعلمنـا، أن المتحـدث إلينـا، أو الكاتـب، يجهـل ذلك.. وقد تسربت هذه العدوى، لشديد الأسف، إلى أبنائنا. فتجد الواحد منهم يبادل بين البجا والهدندوة..

فكتبت، فيما بعد، كتابي (من تأريخ البجـا) الكتـاب الأول في العـام ١٩٨٦، للتعريف بالبجا وقبائلهم الرئيسية، وهي، من الشمال إلى الجنوب،

البشاريون، الأمارأر، الأشراف، الكميلاب الأرتيقة، الهدندوة، الملهيتكناب، الحلنقة، البنوعامر، الحباب. ذلك الكتاب الذي انطوى أمر طباعته على مفارقة، سوف نذكرها في موقعها.. ولكن الأمر الذي ذكرني بتلك المفارقة التي مضى عليها سنوات طويلة، هو أنني سمعت، في السنوات الأخيرة، أن مسئولا كبيرا – وهو في رحلة إلى منطقة الشمال – رأى بيتا في الخلاء. فسأل مرافقه عن ذلك البيت. فقال له مرافقه، أن هذا البيت هم (الأمارأر)...

الأمارأر هي من أكبر قبائل البجا الموجودة في المنطقة. وكان واجب هذا المسئول الكبير إلا يسهل تضليله بهذه البساطة.. وهوا لذي يرجى ليعطي كل ذي حق حقه.. ولا يمكن أن يفعل ذلك إذا لم تكن له المعرفة بهذه القبائل.. لعله مشغول بالتدخل فيما لا يعنيه، من شئونهم الداخلية، الذين يرشحون في الدوائر الانتخابية، والذين يختارونهم للقيادة، في المجالات المختلفة، بكثير من عدم التوفيق، الذي يقود إليه، هذا الجهل بهم. وقديما قيل (أهل مكة أدرى بشعابها)..

ولاشك أن استغلال النفوذ، وإمكانيات الولاية، لتزييف الإرادة، وفرض عناصر قاصرة عاجزة، بدلا عن العناصر المسئولة، المقتدرة، سيكون له سوء العواقب على حياة من يرتكبون مثل هذه الجرائم في حق الشعوب التي يتولون أمورها.. الله ولي الغافلين..

هؤلاء، الحكام، الذين يجهلون ما ينبغي أن يعرفوه بالضرورة، كما يقولون، جاءوا بعد حكام، في عهد الاستعمار، لازلنا نستفيد مما كتبوه، عن

قبائل البجا، ولغة البجا، وعن الشرق بصفة خاصة، وعن السودان بصفة عامة، في مجالاته المختلفة. ثم دونوا ذلك في، (السودان، رسائل ومدونات Sudan Notes and Records) وغيره من المدونات والكتب التي خلفوها لنا.. ليس المطلوب من هؤلاء الحكام، أن يكونوا، بالضرورة، مثل أولئك، علما واهتماما بهذه الشئون. ولكن المطلوب، بالضرورة، إلا يعوقوا ذلك.. وهذه المفارقات، تتحدث عن هذا التعويق لمثل تلك الدراسات التي قام بها أولئك الحكام.. ونحن لا نعتقد، بطبيعة الحال، أنه إذا كان المسئولون عن المنطقة، من المنطقة، فأنهم سوف يهتمون بكل ما كان يهتم به الحكام في عهد الاستعمار، أو يقوموا بما قاموا به، وان كنا نرجو ذلك. وإننا بطبيعة الحال، إذا خيرنا في حكامنا، ومسئولينا، سوف نتوخى ذلك بقدر الإمكان. وذلك بأن نختار العلماء. فقد اختار السيد حامد علي شاش، عندما كان حاكما للإقليم الشرقي، المرحوم المهندس أوهاج إبراهيم موسى وزيرا للإسكان. وكان المرحوم مشهورا كعالم متميز في مجاله. واختار الدكتور محمد عبد الله علي، وزيرا للزراعة. ومن بعده، المرحوم الدكتور مصطفي بعشر. وكان وزير المالية السيد أحمد محمد الأمين ترك. وهو أيضا متخصص في مجاله. كان كل منهم متخصصا في مجاله..

هذه نماذج مما يمكن أن يكون عليه الحال، إذا كان الخيار عند أهل الشرق. وكان معروفا أن أهل الشرق، هم الذين اختاروا السيد حامد علي شاش ليكون هو الحاكم، وليس النميري. والسيد حامد علي شاش، بالإضافة إلى خبرته الطويلة في مجاله، الإدارة، يتميز بثقافة واسعة وإدراك لما

ينبغي أن يهتم به. هذا إلى جانب ولائه الذي لاشك فيه. ولا يعني ذلك أنه خال من العيوب، كغيره من الناس والحكام. وبصفة خاصة في العدل بين قبائل البجا، في تلك التجربة. وقد طلبت منه أن يكتب لي تقويما لتلك التجربة. وكنت أرجو أن يتضمن ذلك التقويم، شيئا من ذلك. ولكنه أوضح فيه موضوعا مهما للغاية. وهو أن العيب الأساسي، في تلك التجربة كان، لا مركزية الحكم، ومركزية المال.. ولعل هذه أيضا هي من أكبر عيوب الفدرالية التي تمارس اليوم.

ثاني هذه المفارقات، كانت في مطلع الثمانينيات.. كنت معنيا بدراسة لغة البجا ولهجاتها المختلفة في ذلك الوقت. كان علي القيام برحلات إلى منطقة همشكوريب وما حولها. حيث قبائل الجميلاب، وبعض القبائل الأخرى، في منطقة كسلا. التي لها لهجاتها وأدا آتها المتميزة في لغة البجا، لهجة الهدندوة. ثم منطقة الشمال، حلايب وجبيت المعادن وآرياب. حيث قبائل، البشاريين، وقبائل العلياب، من قبائل الأمارأر والأتمن، في منطقة البحر الأحمر، والتي لها، هي الأخرى، لهجاتها، وأداآتها المتميزة في لغة البجا، لهجة الأمارأر، ولهجة البشاريين..

زودني السيد محافظ كسلا، في ذلك الوقت، السيد محمد طاهر جبلاني بالوقود. ووجهني بأن استعين بالتربية والتعليم في كسلا، للحصول على السيارة للقيام بتلك الرحلة. ولكن المسئول في التربية والتعليم في كسلا، مدير إدارة التعليم، في ذلك الوقت، وهو الأستاذ حسن كلمون، اعتذر عن ذلك بحجة انهم ليست عندهم سيارات..

ولم تجد كل محاولاتي معه بأن يزودني بواحدة من سيارات التربية.. وكان واضحا لي أن ذلك لا يعني شيئا بالنسبة له.. ماذا تعني له لغة البجا ولهجاتها ؟ بل ماذا يعني البجا، أو، الهدندوة كما يسميهم كثير من هؤلاء المسئولين، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفريق بين، البجا، والهدندوة..

على كل حال، لم أتمكن من القيام بتلك الرحلة، في ذلك الوقت، للأسباب التي وضحتها ..

ثم ذهبت إلى بور تسودان. فقابلت المسئول في المديرية. وكان السيد الأمين عبد الماجد. فزودني بالوقود، أيضا، للقيام بالرحلة إلى منطقة الشمال. ووجهني إلى التربية، ليزودوني بالسيارة. كان المسئول في التربية، مدير الإدارة، هو المرحوم الأستاذ محمد صالح محمد سعيد كاظم. فأخبرني بأن سيارات التربية قديمة ولا تتحمل تلك الرحلة. وقال آن الميناء هي الجهة الوحيدة التي تملك السيارات المناسبة. فكتب خطابا إلى السيد مدير الميناء، وكان السيد علي محمد عبد الرحيم وزير النقل الأسبق، يطلب إليه تزويدي بسيارة، لتلك المهمة. فوجدت نائبه المرحوم كابتن كامل عبد الرحمن. فرحب بذلك، وقال إنهم يسرهم المساهمة في عمل كهذا. وقال لي أن السيد المدير علي محمد عبد الرحيم، مسافر. وسوف يعود بعد أسبوع. فعلي أن أستعد للرحلة خلال هذه الأيام.

جاء السيد علي عبد الرحيم، مدير الميناء. فسلمته خطاب التربية. فأخذ يعتذر عن ذلك، بأن عندهم ضيوفاً. وكان يتحدث بلهجة تنم عن الاعتذار. ولكنه بدلا من أن يحتفظ بخطاب التربية، الموجه إليه، أعاد إلى

الخطاب!!! الأمر الذي جعلني أشك في صدقه وهو يعتذر بتلك اللهجة التي تنم عن الاعتذار، وعجبت كيف أن رجلا، في مثل موقعه ذلك، يفوت عليه أمر كهذا. أخذت الخطاب وانصرفت. وعندما بلغت الباب، دعاني وقال لي، الخطاب إلينا نحن.. فسلمته الخطاب.. ولكنني كنت واثقا من أن كابتن كامل هو الذي نبهه إلى ذلك. أما هو فأنه لم يكن يبالي. هذا ما لقيناه من كثير من المسئولين ممن يتولون المسئوليات في هذه المنطقة. لأن اللغة والتراث لا يعنيه في كثير وقليل.. فلم أتمكن من تغطية المنطقة. لأن سيارة التربية التي زودني بها الأستاذ المرحوم محمد صالح محمد سعيد كاظم، لم تكن تحتمل أكثر من الرحلة إلى حلايب.. ولاشك أنهم، في مدينة كسلا، إدارة التعليم، وفي مدينة بور تسودان، إدارة الميناء في ذلك الوقت، أضاعوا فرصة للمزيد من التعرف على لهجات لغة البجا. ونخشى أن يضيع المزيد من الفرص، إذا لم يجر التغيير الذي نطلبه. وهو تغيير عادل وسوف يتم، إن شاء الله.

وأما المفارقة الثالثة، من هذه المفارقات، والتي كانت في أمر طباعة الكتاب المذكور، كتاب (من تأريخ البجا). فهي كما يأتي :

لقد أعددت هذا الكتاب سنة ١٩٨٤.. وكنت أفكر في طباعته. فلقيني في مدينة بور تسودان، الأخ الأستاذ الطاهر عبد الكريم. وأخبرني بأن السيد حامد علي شاش، حاكم الإقليم الشرقي، شكل لجنة لاختيار الكتب التي تهتم بالمنطقة لطباعتها. وأنه ذكر لهم كتاب (من تراث البجا الشعبي) الذي قمت بإعداده سنة ١٩٧١ في شعبة أبحاث السودان – جامعة

الخرطوم – والذي أهديته، النسخة الأولى التي خرجت في ذلك الوقت..

فأخبرت الأستاذ الطاهر بأن ذلك الكتاب هو ملك لجامعة الخرطوم، ولكن عندي كتاب آخر ثم ذكرت له كتاب (من تأريخ البجا)، الكتاب الأول، الذي أعددته، في ذلك الوقت..

توجهنا إلى اللجنة. فوافقت على طباعة الكتاب. وطلبت فاتورة مبدئية من المطبعة.

أعد لنا الأستاذ أحمد محمد آدم، مدير مطبعة جامعة الخرطوم، الفاتورة المطلوبة.. في ذلك الوقت قامت انتفاضة مارس / أبريل وتم اعتقال السيد حامد علي شاش وحكومته. وأصبح السيد كرم محمد كرم هو المسئول عن حكومة الإقليم الشرقي..

زرت السيد حامد علي شاش وهو معتقل في مدينة بورتسودان. فسألني عن جهودي في البحث والتأليف. فأخبرته بما تم في موضوع الكتاب. فقال لي : (تلك سياستنا ولمن يأتي من بعدنا لهم سياستهم، ولكنهم. وعدوا بتنفيذ ما يرونه مناسبا. فاذهب إلى السيد كرم لعله يوافق)

ذهبت إلى السيد كرم محمد كرم، المسئول في حكومة الإقليم الشرقي، في ذلك الوقت.. بقرار اللجنة، وبالفاتورة المبدئية، من مطبعة جامعة الخرطوم. فقال لي : (نحن لا دخل لنا بطباعة الكتب)..

كان، هو الآخر، يعبر عن عدم اهتمامه بهذه الأمور التي لا تعنيه في قليل ولا كثير.. بل إن الروح العامة في ذلك الوقت، في الحكومة وخارجها، تنادي برفض حكومة البجا. وكان الشعار(لن تحكمنا

الصداري) مما كاد يحدث فتنة في مدينة كسلا، في ذلك الوقت.. بعض الناس، من المسئولين وغيرهم، مصابون بقصر نظر. فلا يرون أبعد من أنوفهم. فيعيشون في اللحظة التي هم فيها، ليس لهم اعتبار للمستقبل. والعجيب أن بعض هؤلاء ممن يدعون التمسك بهذا الدين الذي يقول قرآنه الكريم : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾. صدق الله العظيم. وسوف تكون هذه الآية الكريمة مد خلنا إلى المفارقة الرابعة..

وأما المفارقة الرابعة فبطلها السيد حمزة محمد عثماني، المدير الحالي للميناء الذي قلت عنه، إنهم، عندما اختاروا السيد محمد طاهر إيلا، المدير الأسبق للميناء، وزيرا اتحاديا، كان البجا يتوقعون أن يأتي مدير من أبناء المنطقة، من داخل الميناء، لوجود الكفاءات، أومن خارجها، فجاءوا بالسيد عمر محمد محمد نور، ومن بعده بالسيد حمزة محمد عثماني..

لقد كان همي، وأنا منتدبٌ بسلطنة عمان منذ العام ١٩٨٨، أن يتواصل العمل في مجال اللغة البجاوية، والتراث البجاوي، والتأريخ البجاوي. وكنت على أحر من الجمر في انتظار أن تنتهي فترة الانتداب. وكنت على موعد مع مسئول ألماني، في إحدى جامعات ألمانيا، كان قد وعد، في العام ١٩٨٧ بأنهم سوف يعتمدون في ميزانية السنوات القادمة، تمويل معجم شامل للغة البجاوية. وكنا، في معهد الدراسات الأفريقية و الآسيوية، قد زودناهم بمتطلبات ذلك العمل.

كان من رأي أسرتي استمرار العمل في سلطنة عمان، لظروف الأسرة.

ولكني كنت أرى أنه لابد من التوفيق بـين حـق الأسـرة في أن تنـال حقهـا في الاغتراب وتحسين ظروفها، كغيرها من الأسر. وبين أن أقوم بـواجبي في مجـال أعتبره من أهم المجالات، وهو مواصلة العمل في مجال اللغة والتراث والتـأريخ البجأوي. وكنت، عندما ذهبت للانتـداب، اعتـذرت لقسـم التـأريخ في كليـة الآداب، جامعة الخرطوم، الذي كان يرأسه في ذلك الوقت، دكتور محمد سعيد القدال، الذين طلبوا إلى أن أقوم بدراسة مقارنـة بـين اللغـة البجأويـة والمرويـة والمصرية لنيل درجة الدكتوراه. تلك الدراسة الـتي كـانوا حريصـين عليهـا، في ذلك الوقت، وكان يشجعها كل من أستاذنا البروفيسور يوسف فضل حسـن، والبروفيسور سـيد حامـد حريـز. لمـا قـد يمكـن أن تضـيف في مجـال اللغـات والتأريخ. فاعتذرت للجميع، لظروف الأسرة وحقها في الاغتراب..

كنت فرحا بنهاية الانتداب والعودة إلى الوطن، لمواصلة كـل ذلـك. ولكن علمت من المسئولين في قسم التأريخ ، دكتورة سامية بشير، بأنه ليس هناك منح أو انتداب. وعلـي أن أتكفـل بـدفع مبلـغ خمسـمائة ألـف جنيـه للتحضير للدكتوراه. وابدت هي استعدادها للتعاون معـي في مجـال الدراسـة، لتخصصها في مجـال اللغـة المصـرية. فصـرفت النظـر عـن تلـك الدراسـة، وقررت أن أستعين بالأخوة من البجـا، في بورتسـودان، وفي نـادي البجـا، بصفة خاصة، لإقامة مركز، أو مؤسسة، تهـتم باللغـة، والـتراث، والتـأريخ البجأوي. الأمر الذي تم الاتفاق عليه مع الأخ سليمان محمود أونور. الذي التقيت في اسمرا، وأنا في طريقي من سـلطنة عمـان إلى السـودان، واتفقنـا عليه، بعد حوار سياسي تناول الكثير من القضايا، ولكني أوضحت لـه أنـه ليس هناك أمر يمكن أن يوحد الجهود إلا هذا الأمر، لأنه بعيد عن السياسة

التي يختلف حولها الناس، وأنه أمر في غاية الأهمية. فوافق عليه. ومن ثم شرعنا فيه بتقديم تصور للعمل، ومحاولة حصر أسماء العديدين، من أبناء البجا وغيرهم، داخل السودان وخارجه.

فكان همي، إذن، هو تأسيس ذلك العمل في مدينة بورتسودان، وفي نادي البجا الذي أقمت فيه عدة محاضرات عن اللغة والتراثوالتأريخ. حضر بعضها، الوالي الأسبق لولاية البحر الأحمر، السيد بدوي الخير إدريس. واشترك في الحوار. ثم شارك السيد محمد طاهر إيلا مدير الميناء الأسبق. في بناء نادي البجا. ولاشك عندي أنه كان ممن يقدر هذه المساعي ويدفعها إلى الأمام. لمعرفته قيمتها وضرورتها. ولكن الظروف السياسية، في الولاية في ذلك الوقت. الصراع بين الفريقين. فريق السيد محمد طاهر إيلا. وفريق السيد محمد آدم هاقواب. هذا من جانب. ومن جانب آخر، الظرف السياسي العام في السودان، عامة، في ذلك الوقت. وقيام (مؤتمر النظام الأهلي) الذي شاركت فيه. كل تلك الظروف مجتمعة، أشعرتني بصعوبة قيام المركز أو المؤسسة في ذلك الوقت. فاكتفيت بعرض الفكرة في نادي البجا في ذلك الوقت لمن دعوتهم إلى ذلك. ثم غادرت السودان إلى الجمهورية اليمنية التي عملت فيها لمدة ثماني سنوات حيث تمكنت من طباعة رواية (المهرب) كما طبعت رواية (السواكني) في سلطنة عمان. والروايتان، وكل جهدي، هو في سبيل المزيد من التعريف، والمزيد من الاهتمام بالماضي والحاضر. وقد أخرجت من قبل كتاب (من تراث البجا الشعبي) في العام ١٩٧١، في شعبة أبحاث السودان، في جامعة الخرطوم. ثم كتاب (من تأريخ البجا) الكتاب الأول، في العام ١٩٨٦..

السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ الآن، هو ما علاقة السيد مدير الميناء حمزة محمد عثماني بكل ذلك ؟؟

هذه خلفية توضح أمرين مهمين. الأول هو مدى أهمية هذا المشروع الذي نسعى إلى تأسيسه. وهو، مركز الدراسات البجاوية. والثاني، وهو التعريف بمن يحاول أن يقوم بذلك العمل. ولاشك أن السيد مدير الميناء، في موقع قيادي، في هذه الولاية. وعليه الكثير من المسئوليات، بحكم هذا الموقع، والإمكانيات التي لدى الميناء، للمساهمة في المشروعات التيتهم الولاية. وقد تقدم، أن السيد محمد طاهر إيلا، المدير الأسبق للميناء، والسيد بدوي الخير إدريس، الوالي الأسبق لهذه الولاية، قد قاما ببناء نادي البجا..

فقد زودني البروفيسور عوض حاج علي، مدير جامعة النيلين بمذكرة منه إلى السيد وإلى ولاية البحر الأحمر، اللواء حقوقي بالمعاش، السيد حاتم الوسيلة الشيخ، ليقوم هذا المركز تحت رعايته الشخصية. ووعد بأن تقوم جامعة النيلين، التي يتولى إدارتها، وكل من جامعة البحر الأحمر، وجامعة كسلا بدورهما في هذا العمل. وأشار إلى بوصفي أستاذه وبأني يمكنني أن أتولى ذلك العمل.

ولما كنت أعلم أن تلك المذكرة، ليس الغرض منها،التوجيه أو الأمر. وإنما توضيح أهمية ذلك العمل، للمسئولين في الولاية، وعلى رأسهم السيد الوالي. ولما كان غائباً عن المدينة، ذهبت بالمذكرة، إلى السيد مدير الميناء، علّه يعد بالتعاون. فأكون، بذلك، قد خطوت خطوة إيجابية لقيام ذلك المركز الذي وضحت أهميته، وسعيي المتواصل والدؤوب في سبيل إقامته. فقابلت مدير مكتب السيد المدير في نحو الساعة العاشرة صباح ذلك اليوم. فطلب مني مدير

المكتب أن أوضح، كتابة، الغرض من المقابلة. فكتبت موضحا غرض الزيارة وتعريفا مختصرا بالمجهود الذي بذلت من قبل.

فوجهني بالانتظار الذي استمر لأكثر من أربع ساعات، قابله خلالها الكثيرون. وأعلمه البعض بأنني في انتظار مقابلته، وأخبروني بذلك. ولعله وعدهم خيرا. وعندما بلغت الساعة الثانية والنصف جاءني مدير مكتبه، يبلغني اعتذاره عن المقابلة.. وأنه قد انصرف..

هذه، صورة أخرى، من هذه المفارقات، تحمل الكثير، والكثير، ممن يتولون الأمور في هذه المنطقة، وهم لا يحملون مثقال ذرة من الاهتمام بشئون إنسانها.. وربما بإنسانها نفسه، بل لا يقدرونه حق قدره.. وقد يسيئون إليه.. وهم في أمان من كل محاسبة.. ولاشك أن ذلك مما لا يليق البتة بمسئول في مثل موقعه. وقد ذكرت أن بعض من قابلوه، في ذلك اليوم، أخبروه عني وعن انتظاري لمقابلته، ولعله وعدهم خيرا. كان يمكنه أن يبادر بهذا الاعتذار الذي جاء متأخرا أربع ساعات كاملة أو يزيد..

إذا كان بعض المسئولين، من أمثال السيد حمزة محمد عثماني، مدير الميناء، تبلغ استهانتهم، هذا القدر العجيب. لبعض من نالوا قسطا من التعليم، وقدموا بعض الأعمال التي لها قيمتها، للشرق خاصة، والسودان، عامة. فكم تكون استهانتهم بإنسان الشرق، البجأوي عامة ؟؟ فهل إذا طلب أهل الشرق، أن يكون المسئولون في المنطقة، من أبنائهم، وليس من غيرهم ممن لا يقدرون إنسان الشرق، البجأوي، حق قدره. فهل في ذلك إلا وضع للأمور في مواضعها ؟؟!

خلاصة الأمر. أن هناك كثيرا من المفارقات، من السيد مدير الميناء الحالي وممن سبقوه في إدارة الميناء من أمثال السيد علي عبد الرحيم، المدير

الأسبق للميناء. وغيرهم كثير. مما يمكن أن يؤدي، دون مبالغة أو تهويل، إلى ثورة. وقد كاد أن يفعل ذلك، في بعض المواقف، لولا تم تدارك الأمر في حينه، بوسائل مختلفة، من الترغيب والترهيب. ولا شك أن جملة التراكمات في هذا المجال لها عواقبها الوخيمة.. وأنا لم أتناول من تلك المفارقات إلا ما لمسته، أنا شخصيا. وأنا أعمل في مجال في غاية الأهمية، اللغة، والتراث، والتأريخ، في هذه المنطقة، وان جهل الكثيرون ذلك أو تجاهلوه لأن هناك غيرهم، من البجا وغير البجا يدركون أهمية ذلك ويقدرونه حق قدره. ويبدو أن السيد الوالي لم ير رأي البروفسير عوض حاج علي، في مذكرته، مما يؤيد حجتنا..

أن البروفيسور عوض حاج علي، مدير جامعة النيلين، مثال مشرف. ولاشك أن هذا الأمر سوف يجد الاهتمام اللائق به عندما يزداد وعي الناس ويقدرون الأمور التقدير الصحيح.

ولاشك أن هذه الأمور، ليست هي وحدها التي لا تجد ما تستحقه من الاهتمام.. بل هناك الكثير الكثير، الذي لا يجد ما يستحقه من الاهتمام. فأن إنسان الشرق، البجاوي الذي قام بدوره، في الماضي، البعيد والقريب، لا يجد ما يستحقه من اعتبار. بل إن ما نشكوه من الإهمال، وعدم التعاون في مجال اللغة، والتراث، والتأريخ، هو امتداد طبيعي لإهمال إنسان الشرق، الذي يعيش – كما قال مؤرخ البجا الشيخ محمد صالح ضرار في ختام كلمته في (المؤتمر العام للبجا) سنة ١٩٥٨ – كما كان يعيش أجداده قبل آلاف السنوات. ولاشك، مرة ثالثة، أن كل هذا الذي نشكو منه سوف يزول وسوف يكون في ذمة التأريخ. ولكن الذي نرجوه، من كل قلوبنا، أن يتم كل ذلك قريبا، وبسلام.. بفضل الله وبفضل الوعي هنا وهناك.

لمن تـقـرع الأجـراس ؟؟

وأما الخامسة، والأخيرة، من هذه المفارقات العجيبة، والتي لها دلالاتها الخطيرة، فقد رأيت أن اجعلها تحت عنوان خاص بها. وهو: لمن تقرع الأجراس ؟؟

عدت من الجمهورية اليمنية، في أغسطس ٢٠٠٣ بعد أن أمضيت بها ثماني سنوات. على أمل أن أواصل جهودي في مجال اللغة البجاوية، والتراث البجاوي، والتأريخ..

ذهبت إلى البروفيسور عوض حاج علي، مدير جامعة النيلين، وأنا أدرك مدى اهتمامه بالشرق وأهله، بصفة عامة، وبهذه الدراسات بصفة خاصة. فذكر الأستاذ عبد الباسط عبد الماجد بشير، وزير الثقافة، وهو يعلم أننا كنا زملاء، معلمين بمدرسة بورتسودان الثانوية. عندما كان البروفيسور طالبا في ذلك الوقت. فاتصل به يخبره بقدومي من اليمن، وبنيتي في زيارته.. فقال السيد الوزير، بأنه يستقبل الزوار بعد الساعة الثالثة. فذهبت إليه بعد الساعة الثالثة. أبديت له رغبتي في العمل في مجالي أو أي مجال قريب من ذلك. فاعتذر.. الأمر الذي عجب له مرافقي. ولكني لم أعجب كثيرا، لموقفه ذلك. لأن رده للبروفيسور عوض حاج علي، عندما قال له البروفيسور إن فلانا معي، وقد جاء من اليمن، ويود زيارتك. قال له السيد الوزير، انه لا يقابل الزوار إلا بعد الساعة الثالثة.

هذا القول الذي يعني، بعبارة واضحة، أن زائرك، فلان. ليس هو من الخاصة الذين يسمحون لهم بالزيارة في كل وقت. وإنما هو، من الشر الذي لابد منه. وكانت النتيجة كما توقعت. عدم التعاون. ويمكنني أن أضيف عبارة – التركي ولا المتيتورك – ليفهم منها، القارئ الكريم ما يفهم. وكنت قد لقيته في صنعاء، في الجمهورية اليمنية التي زارها في ذلك العام، ١٩٩٧، وهو وكيل وزارة التربية. فدعاني والأخ الأستاذ أحمد الكمالي للعودة إلى السودان ؟؟ هاأنذا عدت إلى السودان، كما طلب. فما هي المتغيرات التي جعلته لا يرحب بي ؟؟ وهو الذي وصفته الصحفية الأستاذة رباح الصادق المهدي، بعد مشاركته المستمرة في منتدى حزب الأمة، وصفته بوزير الثقافة المثقف جدا.. أترك الإجابة على ذلك لفطنة القارئ الكريم ولكني أحكي قصة واقعية، أو خيالية، لها دلالتها.

تقول القصة آن أحد الشباب، من سكان البادية، له بنت عم تكامل فيها القبح. فكان الشاب فقيرا. وعمه يملك إبلاً كثيرة جدا. فقال له : (لو تزوجت ابنتي هذه أعطيتك نصف الإبل). ولكن الشاب لم يقبل ذلك. وذهب يبحث عن الغنى لعدة سنوات. ولكنه لم يجد إلا القليل من المال. فرجع إلى عمه وقبل الزواج بابنته وتزوجها. وأعطاه عمه نصف ابله، كما وعده.

وفي يوم من الأيام، بينما كان يرعى ابله في الغابة، سمع صوتا غريبا تصدره ناقة من ابله. فأسرع إلى مكان الصوت. فوجد النمر قد قتل الناقة وأخذ يأكل منها. فذهب إليه وهو يحمل سيفه و درقته. ولما اقترب منه واستعد النمر

للمواجهة. وضع السيف والدرقة على الأرض وذهب لمواجهة النمر بدونهما وهو يقول له : (لو كنت تعلم ما تحملت في سبيل الحصول على هذه الإبل، لم تفعل ما فعلت.) ثم أمسك به وكسر رقبته كما كسر النمر رقبة ناقته. وكان قويا على عادة من يتربون بلبن الإبل. هذه هي القصة..

لقد حاولت مجلة (الدستور) التكهن في أمر من ينتمون إلى المؤتمر الوطني، ومن ينتمون إلى المؤتمر الشعبي. ولكنها لم تفلح. وذلك لأن الاعتبار شخصي، وليس مبدئيا. فذهبت كل تكهناتها أدراج الرياح. بل إن أحدا لن يستطيع أن يفعل من ذلك شيئا. بل انهم هم أنفسهم قالوا :

(إن هناك من الشعبيين في داخل السلطة. وأن هناك من الوطنيين خارج السلطة، وفي صفوف الشعبيين. وليست هناك وسيلة للتمييز).. وقد قيل الكثير، والكثير. وسوف تبين الأيام الكثير. وكل سوف يحاسب بأعماله وليس بأقواله فقط. وأما القاعدة الذهبية في السلوك هي قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾. وقد سمعت أن السيد عمر الحاج موسى، وقد كان وزيرا في عهد مايو، قد كتب أمامه هذه الحكمة : (لو بقيت لغيري، لما وصلت إلي..) فما رأي بعض أصدقائنا في السلطة، في ذلك ؟؟

فذهبت إلى بورتسودان. وهناك حاولنا تأسيس مركز للدراسات البجاوية في نادي البجا.

عقدنا اجتماعات متواصلة. حضرها عدد من الأخوة المعلمين وغيرهم. كان منهم الأخ الأستاذ أنور أوشام، أستاذ ورئيس قسم بجامعة

البحر الأحمر، الذي عرض الأمر على مدير جامعة البحر الأحمر الدكتور عمر المقلي.. وكنت قابلته من قبل، أعرض عليه عملي معه في جامعة البحر الأحمر. فاعتذر عن ذلك بحجة أن عدد الأساتذة يكاد يزيد عن العدد المطلوب!! فأخبرته بأمر التحضير لدرجة الدكتوراه التي اعتذرت عنها من قبل، في جامعة الخرطوم، ورغبتي في أن أقوم بها في جامعة البحر الأحمر. فكان رده، أن الذي يريد أن يقوم بدراسة دكتوراه في أي مجال من المجالات، عليه أن يقدم الطلب لذلك ويدفع المصروفات المقررة. ولم يحاول أن يحتفظ بالسيرة الذاتية التي قدمتها له، ويسأل عن العنوان، لعلهم يحتاجون، فيما بعد. على سبيل العادة، أو، المجاملة. هذا ما كان قد حدث بيني وبين الدكتور عمر المقلي من قبل ولا أرى ما يدعو إلى الحديث أكثر عن تلك المقابلة التي تمت بعد ساعات من الانتظار.

وافق السيد المدير، الدكتور عمر المقلي، حسب ما نقل إلينا الأستاذ أونور أوشام، بأن يعطينا حجرة خالية من الأساس في الجامعة، ليقوم فيها مركز الدراسات البجأوية. ثم، رأى أن يكون العمل تابعا لقسم الأستاذ أونور. ثم رأى أن يكون تابعا لإدارة الجامعة. ثم طلب من الأخ الأستاذ أونور أسماء بديلة عن اسم (مركز الدراسات البجأوية) كأن يحمل المركز اسم أحد أعلام الشرق. فحمل إليه الأخ أونور ذلك. وأخبرنا بأن السيد المدير قد سافر.

وعلمنا أنه وجه الأستاذ أونور بمواصلة دراسته في جامعة الجزيرة.. علمنا ذلك بعد حين..

وعندما عاد السيد المدير، ذهبت للقائه، بغرض الحوار حول الموضوع

الذي كان ينقله إلينا الأستاذ أونور، وخاصة حول الاسم، ولمحاولة توضيح المزيد عن الموضوع. تمت المقابلة، بنفس تلك الصورة، من الانتظار الطويل. بل إن الموظفة المسئولة قالت لي، بعد انتظار دام ساعة أو أكثر : إن وقت العمل قد انتهى، ويمكنك العودة غدا. فقلت لها، إنني كبير في السن، وليس من السهل على العودة غدا. وذكرت لها بأنني شقيق الدكتور مصطفي أوهاج، لعلمي بأن أغلب العاملين في جامعة البحر الأحمر ممن جئ بهم، مع السيد المدير من هناك. فذهبت من فورها إلى المدير وجاءت بالموافقة على المقابلة. ولكن السيد المدير قال لي، في اقتضاب شديد : (لظروف الجامعة، قد صرفنا النظر عن هذا الموضوع) عجبت لذلك، وكدت أشك فيما كان ينقله إلينا الأخ أستاذ أونور أوشام. ولكنني، فيما بعد، علمت أن السيد المدير، طرح الموضوع نفسه، بعد أيام قليلة، على عمداء الكليات بالجامعة. وطرحه، مرة أخرى، في اجتماع مجلس الجامعة. فعلمت صحة ما كان ينقله إلينا الأخ الأستاذ أونور ولكني عجبت من تصرف السيد المدير..

في تلك الأيام، التي لقيت فيها السيد مدير الجامعة وأخبرني بأنهم صرفوا النظر عن موضوع المركز... عقدت ندوة في نادي الخريجين ببورتسودان. اشترك في تقديمها كل من، الأستاذ عبد الباسط سبدرات، مستشار السيد رئيس الجمهورية، والدكتور حسن أبشر الطيب وغيرهما. وكان يديرها السيد وزير الثقافة، الأستاذ عبد الباسط عبد الماجد بشير. كان موضوعها ضرورة الاهتمام بالتنوع الثقافي في السودان.

فتذكرت ما دار بيني وبين السيد الوزير، واعتذاره. عندما جئت من اليمن وطلبت العمل في وزارته في هذا المجال في الشرق. ثم ذكرت موقف

السيد مدير جامعة الشرق الدكتور عمر المقلي الذي قال لـي انهـم صـرفوا النظر عن موضوع المركز الذي وعد به، عندما كان الأستاذ أونـور أوشـام موجودا، وقبل أن أعلم عرضه للأمر، في اجتمـاع عمـداء الكليـات ثـم في اجتماع مجلس الجامعة، بعد أن أبلغني اعتذاره عنه ؟؟

لقد وضح لي، من كل ذلك، أنهما، ربما،لا يعترضان علـى مبـدأ أن يقوم العمل في هذا المجال، ولكنهما يعترضـان علـى أن أكـون، أنـا، الـذي أتولى ذلك. ولأسباب سياسية ؟؟ هي ممارسة سياسة الإنقاذ الذهبية. وهي، عزل، وحرمان غير المنتمين إلى الإنقاذ من فـرص العمـل.. ولكـن إلى هـذا الحد ؟؟ ومهما تكن التضحيات ؟؟

ولكن ما بال البروفيسور عوض حاج علي، وهو شريك معهم في التوجـه السياسي، وربما أكثر حرصا منهما ومسئولية، يسير معي كل تلك الخطـوات الـتي ذكرت، دون الحاجة إلى إعادتها، إعادة ما ذكرته عنه من الاهتمام، والتعاون ؟؟

التفسير الواضح البسـيط هـو، أن البروفيسـور عـوض حـاج علـي، صادق في حرصه علـى أن يقـوم هـذا الأمـر، وأواصـل أنـا جهـودي الـتي استمرت لأكثر من ثلاثين عاما وآتت أكلها. وأنه صادق في ولائه للشرق. وأهل الشرق، على اختلاف توجهـاتهم السياسـية. وأنهـم، أهـل الشـرق، يدركون ذلك كل الإدراك، ويحمدونه له ويتمنون أن يتولى أمثالـه المسـئولية في الشرق مكان الكثيرين ممن يحسبون أن أهل الشرق غافلون، فلا يقيمون لهم وزنا. سواء المتعلمون منهم وغيرهم.. وقد كتب المرحوم الأسـتاذ عبـد القادر أوكير، بعد إطلاعه على الدفتر، كلمة في دفتر المرحوم الدكتور محمد بدري أبو هدية، ذلك الدفتر الذي كان يحوي كل ما دار في (مؤتمر البجـا)

العام سنة ١٩٥٨. وقد كان الأستاذ أوكير غائبا عن السودان، في ذلك الوقت، إذ كان الملحق الثقافي السوداني في مصر. فكتب الأستاذ أوكير كلمة في ذلك الدفتر يوضح فيها أن البجا، بصفة عامة، لا يحبون اللوم. وأن هذه الصفة، صفة حميدة في حد ذاتها. ولكنها، عندما تمارس في كل الأوقات، فإن البعض يستغلونها أسوأ استغلال فيضيعون حقوقهم.. هذا بعض ما كتبه الأستاذ عبد القادر أوكير في ذلك الدفتر. ولعل فيه السر في أن كثيرا من الناس يلاحظون ذلك، عندما يأتون إلى الشرق، فيضيعون حقوق أهله.. اعتمادا على ذلك.. ولاشك أن هذا الذي يفعلونه فيه الكثير من قلة المروءة والاستغلال.. ولله في خلقه شئون..

وأذكر أن البروفيسور، عوض حاج علي، ذهب في زيارة عمل إلى جامعة الأحقاف في مدينة المكلا بالجمهورية اليمنية، حيث كان يدرس ابني محمود، هناك. فما كان من ابني إلا أن اتصل بي، وأنا في صنعاء. يخبرني بقدوم البروفيسور. وأنه سوف يكون في صنعاء في يوم الخميس. فذهبت للقائه هناك فلقيته فأحسن لقائي وأخبر المسئولين في السفارة بأنني أستاذه..

ولقد ذكرت في كتابي (من تأريخ البجا) الكتاب الأول، وفي مجال تعريفي بالبجا، أن اسم البجا يشمل اليوم كل الذين يعيشون في الشرق ويختلطون بالبجا، يتحدثون اللغة البجاوية أو لا يتحدثون بها. ولكنهم لا يضعون حواجز بينهم وبين البجا. ولا يستثني من ذلك إلا الذين يناصبون البجا العداء ويصرون على بقاء المسافة بينهم وبين البجا. هؤلاء فقط، ليسوا من البجا. هذا ما قلته في الكتاب المذكور في التعريف بالبجا. وليس هذا اجتهادا مني، ولكنه مقياس ذهبي، معمول به في كل الأمم والدول.

فيمنحون المواطنة والجنسية من يأنسون فيه استحقاقها، بسلوكه وولائه. وهو مصداق لقول النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم : (المرء مع من أحب). وقال : صلى الله عليه وسلم : (سلمان منا أهل البيت).

فالبروفيسور عوض حاج علي وغيره ممن عاشوا في الشرق وأخلصوا للشرق والبجا وقدموا ويقدمون الكثير، من أمثال البروفيسور يوسف فضل حسن أيضا، وغيرهما. فأننا نتمنى أن يتولى أمثالهما المسئولية، التي نطالب بان تكون لأبناء الشرق، في الشرق. وهذا أمر معلوم عندنا تمام العلم. بل إننا، وقد علمنا ما علمنا من ولائهم وإخلاصهم الكثير، نفضلهم على من هم من قبائلنا.. ونحن عندما نطلب أن يكون المسئولون منا، لا نطلب ذلك إلا لأن البعض يمارسون ممارسات بعيدة عن الوطنية، بل، والإنسانية. فيموت أهل الشرق من الفاقة والجوع في البادية ثم لا يجدون من ينقذهم. ولا يجد الموجودون في المدينة حقوقهم المشروعة في مختلف المجالات. ولا يجد العاملون لأجلهم غير التعويق من كثير من المسئولين..

الأمر في حقيقته أن هناك نماذج، ممن ذكرت، وممن غيرهم، ممن يسيئون إلى أنفسهم، وإلى من جاءوا بهم كمسئولين. فيسيئوا معاملة من يتولون أمورهم، من أهل الشرق وغيرهم، حيث يوفدون. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.. هؤلاء وأمثالهم هم الذين يوردون البلاد موارد الهلاك.. وقديما قال الشاعر :

ولولا المزعجات من اللياليلما زار الضنى طيب الليالي

لقد أكثر إعلامنا الحديث عن التنوع الثقافي، في السودان. وقال عنه الكثير. ولكن ليس هناك في دنيا الواقع إلا هذا الذي نسمع من الأعلام.

وأذكر، مصداقا لهذا الذي قلت في هذا الموضوع، أن بروفيسور الطيب حاج عطية، في حلقة تلفزيونية عن هذا الموضوع، التنوع الثقافي في السودان، قال لهم : (إن تكرارها هذا، بهذه الصورة، الإعلامية، لا قيمة له. ولابد أن يكون هناك عمل جاد، واهتمام واضح لهذا التنوع في مجال الفعل..). هذا ما نطلبه.. لذلك رأيت أن يكون عنوان هذه المفارقة هو(لمن تقرع الأجراس ؟؟).. لأنه لا يمكن أن تحجم عن التعاون مع من يأتيك طالبا للعمل في هذا المجال، وهو من المتخصصين فيه.. ثم تتحدث، عن ضرورة ذلك في ندوة كهذه، تدعو إلى ضرورة الاهتمام بهذا الأمر.. أو تعتذر لمن يطلب ذلك، وهو متخصص فيه، ثم تعرضه على غيره، كما فعل السيد مدير جامعة البحر الأحمر..

فعقد الندوات، والحديث عن ضرورة الاهتمام بالتنوع الثقافي، ثم الأحجام عن ذلك عندما تكون هناك فرصة للممارسة العملية، لأي سبب من الأسباب، سياسي أو غيره. يدل ذلك على أن هناك نفاقا لا يليق بمن يتولون المناصب القيادية في أي مجتمع من المجتمعات.

علمت، فيما بعد، كما قلت، أن السيد مدير جامعة البحر الأحمر الدكتور عمر المقلي، الذي قال لي انه قد صرف النظر عنه، لظروف الجامعة، عرضه في اجتماع عمداء الكليات ثم في اجتماع مجلس الجامعة. وأنهم سوف يناقشونه وسيتخذون فيه القرار في اجتماع مجلس الجامعة في شهر أكتوبر. ما أشبه منوقف السيد مدير الجامعة بموقف السيد الوزير. فسلمت الدكتور أمين موسى الحاج، وكيل جامعة البحر الأحمر، فيما بعد، تصوري للأمر، ليرفعه إلى السيد المدير، وإلى مجلس الجامعة.. ولسان حالي

يقول : (العين بصيرة. واليد قصيرة) ولكننا على كل حال سوف نسعى، بكل ما نملك من جهد لتغيير هذه الحال المأساوية التي نعيشها ما يقارب نصف قرن من الزمان.. تتعاقب علينا الأنظمة.. وكل نظام له فلسفته الخاصة، وأسلوبه الخاص في ممارسة الظلم بأنواعه المختلفة. وبدرجاته المختلفة التي كّل صبرنا عنها..

لا أقول ذلك القول إلا وأنا أعلم حقيقة ما بحسه أهل الشرق. ومن يظلمونهم كل هذا الظلم، يعيشون في غفلة. لأنهم مستمتعون بما هم فيه من رغد العيش، وهنائه. والناس يموتون من الفاقة ومن الجوع. ومن قلة العلاج. في كل أنحاء الشرق. وهناك الكثير غيره من الظلم الذي لا يمكن حصره في مجال من المجالات بعينه.. هناك بعض من المرتزقة من أبناء الشرق ممن يستغلهم هؤلاء، بمختلف الوسائل، المادية وغيرها، حتى يتمكن هؤلاء من أن يمارسوا المزيد من الظلم، ومن الاضطهاد، بل والإساءة إلى كل أهل الشرق أو بعضهم.. ثم يجدون من هؤلاء المرتزقة كل تكريم. فيكون ذلك حجة على من يتهمهم بالظلم أو التقصير، والثمن مدفوع..

خلاصة الأمر : أن المطلب الأساسي عند البجا منذ مؤتمرهم الأول في أكتوبر١٩٥٨ وإلى اليوم. الذين هم في الداخل، والذين خرجوا يحملون السلاح، ممن يسمون بالمتمردين. مطلبهم الأساسي هو الحكم الفدرالي. وأن يتولوا هم السلطة والمسئولية في كل المرافق. حيث أمكن ذلك. (أهل مكة أدري بشعابها)، كما يقولون.. فقد بينا بعض المفارقات في هذا المجال وأحسبها كافية والحكمة تقول : (الوقاية خير من العلاج..) وهم يطلبون إشراكهم في السلطة المركزية.. ولا يمكن أن يتحقق شئ من ذلك، وهناك

وصاية عليهم. بل لابد أن يكون الخيار عندهم هم.. وفي المرحلة، لابـد أن يكون هناك مجلس أو جماعة تمثلهم، وهـي الـتي تتـولى اختيـار المسئولين في الإقليم والمركز. ومن نافلة القول أن نذكر أن هذا المجلس أو الجماعـة، هـم الذين يختارونهم وليس غيرهم. وأنهم هـم وحـدهم مـن يملـك إقـالتهم.. وهم يطلبون حقهم في الثروة وحقهم في التنمية.. كل هذه حقوق مشروعة آن الأوان للاستجابة إليها رحمة بهم، ورحمة بالسودان..

هذا هو الجزء الثاني من هذه المقدمة التي تحـاول إلقـاء الضـوء علـى هذه القضايا التي طـال الـدوران حولهـا، دون الاتجـاه إلى التعـرف عليهـا، ومحاولة حلها الحل المناسب.. ولابـد مـن التفريـق الواضـح بـين الوسـائل والغايات.. فمؤتمر البجا، وسيلة.. والغاية هي حل المشـكلات الـتي يعـاني منها البجا وغيرهم، في السودان.. والـتي لا يمكـن أن تحـل، في النهايـة، إلا بحل مشكلة السودان. ولا يمكن حـل مشـكلة السـودان، إلا بـإقرار الحكـم السليم الصحيح الذي يقـوم علـى دعامـات واضـحة مـن أسـس العدالـة والإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه. الأمر الذي ذهلنا عنه مـدى خمسـين عاما. منذ أن تشكلت أول حكومة وطنية في يناير ١٩٥٤، وإلى يومنا هذا.. نتبادل الاتهامات، بـين الحكومـات الانتخابيـة، الـتي نسـميها، الحكومـات الديمقراطيـة، والحكومـات العسـكرية، الشـمولية. الـتي تبادلـت الحكـم في السودان طيلة الخمسين سنة الماضية..

****

جـ - تجربة الحكم، الماضي، في السودان

سوف يكون موضوع حديثنا، في هذا الجزء الثالث من المقدمة، هو استعراض التجربة الماضية، من الحكم، خلال خمسين السنة الماضية لبيان مدي فشلها.. وسوف يكون التركيز على الفترات الانتخابية. لأن الكثيرين يعتقدون أن الفترات الشمولية هي الملومة، لأنها حكمت ثلاثة أرباع المدة. ولكن الفترات الانتخابية هي التي تسببت في مجيء الفترات الشمولية بصورة مباشرة، بأن دعتها لاستلام السلطة. أو بصورة غير مباشرة، بأن فشلت في الحكم فشلا واضحا. وسوف تكون الخاتمة هي محاولة تقديم تصور لما نرى أن يكون عليه الحكم في السودان.

لقد مضت خمسون سنة على تشكيل أول حكومة سودانية. وفي خلال هذه السنوات الخمسين، تعاقبت على حكم السودان حكومات انتخابية، وأخرى شمولية.. بلغت جملة السنوات التي حكمتها الحكومات الانتخابية ثلاث عشرة سنة. وبلغت جملة السنوات التي حكمتها الحكومات الشمولية سبعا وثلاثين سنة. وقد نشأ من ذلك إدراك عام بأن الحكومات الشمولية لم تمهل الحكومات الانتخابية حتى تحكم السودان الحكم الصالح الرشيد.. وهناك المقولة التي تقول بأن الديمقراطية لا يمكن إصلاح عيوبها إلا بالمزيد من الديمقراطية.. وهي، مقولة صحيحة. ولكن السؤال المهم،

هنا، هو هل كانت تلك الحكومات، حكومات ديمقراطية، مسئولة؟ أم كانت طائفية، ما أن تصل إلى السلطة لا تفكر إلا فيما يصلحها هي وحدها ولا تهتم بمشكلات البلاد إلا قليلا؟؟.

لاشك أن الحكومات الشمولية لها دورها الكبير، ليس في حل المشكلات وإنما في تعقيدها حتى يستعصي حلها في الإطار الداخلي ، مما يدعو إلى التدخل الخارجي بصوره المختلفة.. ولكن الحكومات الانتخابية هي التي تتسبب في مجيء الحكومات الشمولية. بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بأن تهمل مشكلات البلاد الكبيرة والخطيرة.. وعلى رأس ذلك أنها أهملت أمر الدستور. وهو الأساس في الحكم الديمقراطي الذي تدعيه. بل إنها، في بعض دوراتها، زيفته.

لقد فقدنا، خلال هذه الفترة، الكثير من الميزات التي خلفها لنا الاستعمار.. ومن هذه القضاء المستقل، والخدمة المدنية النزيهة. ولاشك أن دور الحكومات الشمولية، بصفة عامة، وهذه الأخيرة بصفة خاصة، هو الذي أفقدنا ذلك تماما.. أكثر من ذلك. لقد فقد السودان كل كوادره التي كان يعتمد عليها، في كل المرافق الهامة، التي تتطلب المعرفة، والخبرة. بإحالتها للتقاعد، للصالح العام. بحجة أن الولاء مقدم على الكفاءة و الخبرة..

يقيني أننا لا نحتاج أن نقف طويلا لنوضح عيوب الأنظمة الشمولية، بصفة عامة، وعيوب هذا النظام الشمولي الأخير. لأنها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. والمعاناة، والظلم بكل أشكاله، ماثل. كل ذلك

حيثما نظرت أو ذهبت.. ولكننا نحتاج للوقوف لتوضيح كيف أن الحكومات الانتخابية، حكومات طائفية، لا تفكر إلا فيما يصلحها وحدها، ولا تهتم بمشكلات البلاد إلا قليلا. وأنها هي التي تسببت في مجيء الحكومات الشمولية ..

عقدت اتفاقية تقرير مصير السودان بين الدولتين، مصر وبريطانيا في الثاني عشر من فبراير سنة ١٩٥٣. فعقدت الانتخابات في نفس ذلك العام. وفاز الحزب الوطني الاتحادي بـ (٥١) عضوا ولم يفز منافسه، حزب الأمة إلا بـ (٢٢) عضوا. وكان من أهم أسباب ذلك وقوف مصر مع الحزب الوطني الاتحادي، بكل ما تملك . صحفها، وما لها، وبعض ممثليها، بالإضافة إلى استخدام الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون في مصر في ذلك الوقت. بالرغم من أنها وعدت بالوقوف في الحياد..

فتشكلت أول حكومة سودانية من الحزب الوطني الاتحادي برئاسة السيد إسماعيل الأزهري في يناير ١٩٥٤.. وكانت مهمتها الأساسية، بعد السودنة، والجلاء، وضع دستور دائم للبلاد. فوقعت أحداث مهمة وخطيرة. واجهت تلك الحكومة. منها أحداث أول مارس، وأحداث عنبر جودة والجنوب. وغيرها. ولكن لقاء السيدين، السيد علي الميرغني، والسيد عبد الرحمن، الذي سقطت بعده تلك الحكومة، في نفس ذلك العام، والذي تكونت بعده حكومة قومية برئاسة السيد إسماعيل الأزهري، كان إنذارا خطيرا له ما بعده. ثم جاء إعلان الاستقلال، من داخل البرلمان الذي جاء، بعده، انشقاق حزب الشعب الديمقراطي، عن الحزب الوطني الاتحادي. ثم حكومة ائتلافية

من حزب الأمة، وحزب الشعب الديمقراطي والجنوبيين، برئاسة السيد عبد الله خليل. فتحول الحزب الوطني الاتحادي إلى المعارضة. وقاد حملة شعواء ضد زعامة الختمية، السيد علي الميرغني، تولتها جريدة (النداء)، (بيننا وبين علي ميرغني). ولم تكن تلك الحكومة منسجمة. وإنما كانت تعيش خلافات مستمرة. مما أعجزها عن القيام بمهامها الأساسية، وعلى رأسها، وضع دستور دائم للبلاد، وحل مشكلة حلايب، التي دخلتها قوات مصرية في ذلك الوقت. فكان اتجاه السيد رئيس الوزراء، السيد عبد الله خليل ووزير خارجيته، الأستاذ محمد أحمد محجوب وحزبهما، حزب الأمة، إلى المواجهة.

بينما كان ممثلو حزب الشعب الديمقراطي، في الحكومة، لهم رأي غير ذلك. فاتجه السيد إسماعيل الأزهري والشيخ علي عبد الرحمن إلى مصر التي وعدت بالتوسط بينهما لعودة الحزب الوطني الاتحادي القديم، المؤتلف. مقابل أن يوافقا على اتفاقية مياه النيل التي تمت بين الحكومتين المصرية والإنجليزية عام ١٩٢٩ والتي كان السودان غائبا عنها. وكانت هناك مفاوضات بين السيد الصديق المهدي، والسيد إسماعيل الأزهري، لتكوين حكومة ائتلافية بينهما. في تلك الأيام انعقد (مؤتمر البجا) العام في أكتوبر ١٩٥٨.. واعتذر المؤتمرون، عندما طلب السيد رئيس الوزراء السيد عبد الله خليل، إلقاء كلمة في ذلك المؤتمر، ثم سلموه توصيات المؤتمر. فوعد بدراستها..

كل تلك الأسباب مجتمعة، ثم ما قيل عن موافقة السيدين. كل ذلك مما جعل السيد رئيس الوزراء، عبد الله خليل يسلم السلطة للعسكريين، عبود ورفاقه. كان ذلك، جملة الحصيلة ونهاية الفترة الأولى الانتخابية..

وأما الفترة الانتخابية الثانية، والتي كانت أسوأ من سابقتها بكثير، فقد تقدم عنها الحديث في هذه المقدمة، ونحن نتحدث عن المشكلات التي واجهت (مؤتمر البجا) في مرحلته الثانية عندما أعلن نفسه حزبا سياسيا، بعد ثورة أكتوبر المجيدة في سنة ١٩٦٤.. فعجزت، هي الأخرى عن وضع الدستور الدائم للبلاد، أكثر من ذلك، فأنها زيفت الدستور المؤقت، واستهانت بالقضاء حتى اضطر السيد رئيس القضاء، السيد بابكر عوض الله إلى الاستقالة بسبب ذلك ثم حلت الجمعية لتمنع السيد الصادق المهدي من سحب الثقة من الحكومة.. ثم شرعت، فيما سمي بالدستور الإسلامي..

فمرت القراءة الأولى والثانية، ثم توعد السيد الهادي المهدي بأنه سوف يفرضه بالقوة.. فقامت ثورة مايو، في ٢٥ مايو١٩٦٩.. وكانت البلاد مهيأة لذلك الانقلاب، كما كانت مهيأة من قبل لانقلاب عبود، ولكن بدرجة أكبر.. لوجود تلك التجاوزات الخطيرة..

وأما الفترة الانتخابية الثالثة، بعد انتفاضة مارس/ أبريل ١٩٨٥، فبدأت هي الأخرى، بالصراعات على السلطة، بين الحزب الاتحادي ديمقراطي، وحزب الأمة. وفي سبيل ذلك تم تجاوز كل القناعان والشعارات التي رفعت في فترة الانتخابات لكسب أصوات الناخبين.. من ذلك أن السيد الصادق المهدي كان يقول : إن قوانين سبتمبر ١٩٨٣، لا تساوي الحبر الذي كتبت به ؟؟. ثم وعد الجبهة القومية الإسلامية، المتمسكة بتلك القوانين، أن يشركها في الحكومة؟؟.. ولكن نواب دارفور، في حزبه، منعوه من ذلك، كما قيل في ذلك الوقت.. مما عرضه لهجوم عنيف من صحفها، وبصفة خاصة صحيفة ألوان..

ثم قام السيد الصادق، رئيس الوزراء، بزيارة إلى إيران. والحرب مستمرة بينها وبين العراق التي كانت تساندها أغلب الدول العربية، مما أفقده، وافقد السودان صداقة، وعطف، ودعم تلك الدول العربية.. فلم تسعفه عند حاجته إليها، عندما احتلت الكرمك.. ثم لم يجد السيد عبد الماجد حامد خليل وزير الدفاع، عندما طلب العون من بعض الدول العربية لتسليح الجيش السوداني الذي كان في أمس الحاجة لذلك السلاح في ذلك الوقت. فاستقال من منصبه..

بل إن السيد الصادق المهدي لم يجد من العراق إلا الاستهانة به، عندما زاره، بعد زيارته لإيران.

ورفضت كل من العراق والمملكة العربية السعودية التعاون مع السودان، حكومة السيد الصادق المهدي، عندما احتلت الكرمك إلا بواسطة السيد محمد عثماني الميرغني. وقيل أن المملكة سألت السيد محمد عثماني قائلة : أين الرجل الشيعي ؟ تعني السيد الصادق المهدي.. مما يدل على أن الحكومات الحزبية، ممثلة في حكومة السيد الصادق، ليست أولوياتها مشكلات السودان. وإنما مشكلات السودان، والمشكلات الأخرى سواء.. السيد الصادق كان مهموما بالحرب العراقية الإيرانية، أكثر من اهتمامه بأمر السودان، الذي يعاني الكثير من المشكلات.. بل إن إعادة مستحقات آل المهدي، كانت من أولى القضايا التي شغل بها.. عندما أصبح رئيسا للوزارة..؟؟

واستمر الصراع بينه وبين الوزير أبوحريرة، وتبودلت الاتهامات بينهما، حتى أقال حكومته.. ثم شكل حكومته الأخيرة، باشراك الجبهة

القومية الإسلامية.. فظهر الانشقاق في حزبه، ممن كانوا يرفضون إشراكها.. فأقال رئيس الجمعية الأستاذ محمد إبراهيم خليل وجاء بالأستاذ محمد يوسف محمد رئيسا للجمعية.. ثم كان اتفاق الميرغني مع قرنق والدعوة إلى مؤتمر دستوري لحل مشكلات السودان، وعلى رأسها مشكلة الجنوب في نوفمبر ١٩٨٨. فلم يوافق السيد الصادق على ذلك، إلا في أبريل ١٩٨٩عندما بلغت الأمور إلى عنق الزجاجة، كما يقولون. فجاءت مذكرة الجيش التي كانت تؤيد السلام، بعد الفشل في الحصول على السلاح. فاستقال السيد عبد الماجد حامد خليل بسبب ذلك..

فاستغلت الجبهة القومية الإسلامية، كل تلك التناقضات، وقامت بانقلابها الذي قامت به. وكأنه انقلاب الجيش، بعد تلك المذكرة. وقام الحسيني عبد الكريم، مدير مكتب القائد، فتحي أحمد علي، بدور كبير، وهو يرد على تساؤلات القيادات المختلفة، فيقول لها آن القائد، فتحي أحمد علي، في الاجتماع، بينما كان مقبوضا عليه لمقاومة حراسه لمن جاءوا إليه..

لم يكن أمر ذلك الانقلاب مجهولا تماما. فقد ذكرت مجلة الدستور عنه. وقيل أن قائد المدرعات، المرحوم الكدرو، حذر القائد العام، المرحوم فتحي أحمد علي من ذلك.. وقيل أن المرحوم محمد عثماني حامد كرار، حذر السيد محمد عثماني الميرغني من انقلاب يقوده الجيش. فأرسله مع آخر، ليحذرالسيد الصادق المهدي..فقال لهما السيد الصادق المهدي: (البلد في أيد أمينة)..

وقد جاء في مذكرة الدكتور أبوحريرة، وزير التجارة، إلى السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء ما يلي، مما يدل على صدق ما نقول :

(السيد / رئيس الوزراء..

فهذا أمر أصارحك فيه القول، وأنا أعلم، إن آفة المنطق الكذب، ولؤم الأخلاق التملق. وقد آليت على نفسي الإخلاص والوفاء لهذا الوطن، الشعب. وأنت على أمره قائم. لا أنشد من ذلك إلا مسلكا أنبض به شرف الحياة، وفضيلة الوفاء.. لقد رمت هذا الأمر عن عقيدة راسخة في التجرد المخلص للعمل العام. وأتيته بعزيمة لا يحل عقدتها إلا خروج نفسي. وكنت أظن أن أمرنا مجتمع على ما نحن فيه، عندما استمعت إليك تعلن على الأمة، من الجمعية التأسيسية، خطاب الحكومة وفيه، ما فيه، مما تخاطرنا لتحقيقه في أول الطريق. وبدأت بمحاربة التهريب. ولم استغرب أن كنت عونا لي وسندا. فقد وضعنا المضمار والغاية. وكان رهننا، دوام الحرية والديمقراطية.. ثم بدأت تحركات مراكز القوى صحبها تقاصر أجهزة الدولة والحكومة عن الهدف المرسوم. ثم انقلب التقاصر لتنقيص، وتهوين للأمر، انتهى بتخاذل عام، وخضوع لتلك المراكز. وأصبح ذلك المنوال في كل مرام لترجمة سياستك التي أعلنتها، نيابة عنا..

شنت الحرب على تلك السياسة، من داخل أجهزة الدولة والحكومة. وحتى أصبح المدافع عن سياسة الدولة، والواقف بجانبها، هدفا لكل ذي غرض..

وأصبحت ترد الأفكار، داخل المجلس، وخارجه، مقاومة لهذه السياسة، ومشككة في مصداقيتها، واستمراريتها. وصارت انعكاسات لهذه الآراء والأفكار، في حملات مسعورة، لا على السياسة وحدها، بل على

الوزراء الذين ثبتوا على المبدأ.. وأصبحت نفس الأصوات التي ترتفع ضدها، في أجهزة الدولة، تجاوبها أصوات أخرى في الصحف. وأحجار التلال تعرف بألوان صخرها..

سيادة الرئيس..

اتخذت سياسة محاربة الحكومة الاقتصادية أشكالا شتى. منها التشكيك، والتعويق، ومساندة وتقنين التهريب. وإخفاء السلع. وإهدار موارد البلاد، وإضعاف موقفها الاقتصادي، والأحجام، عن قصد، من بعض أجهزة الدولة، عن ممارسة اختصاصاتها التي تحمي وتدعم هذه السياسة..

كان هذا بالرغم من بوادر التوفيق، إذ قصدنا أن نكون كحلقة مضروبة، لا يعرف طرفاها. ولكن آفة الرأي الهوى، وقد يظن الخير بغير أهله. ويبدوا أن الرجال الذين يصدقون بالفعل المقال، غير كثر. بالرغم من كل هذا، استظهرت الصبر على طلب الحق الذي، ما زال ينشده هذا الشعب الأبي. وقد ظن بنا، وبكم، خيرا. إذ ولانا أمره واسند إلينا، قوام المائل، وقصد الجائر، وصلاح الفاسد..

فأن شعبنا اليوم، لا يدري أين يسلك به. وعدناه بالعدل، وارتدى بعضنا، جلابيب الظلم. وسامه خسفا، حتى عمت الفوضى والجهالة.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة، إذا جهالهم سادوا..

السيد الرئيس..

لما تقدم من أسباب، شهدنا دمارا اقتصاديا طوقنا. والطوفان على مشهد. وكأني اسمع جرس عتاد العسكر، وأبصر غيبة..

فإلى متى ونحن، كأنما يعنى بما نحن فيه، غيرنا. فهذا الدمار، من الـذي تسبب فيه؟ وما هو مداه ؟ فالأمر أصبح يتلجلج في صدور الناس، ولابـد له من حاسب..

وقد رجوت من قبل، من سيادتكم تشـكيل لجنـة، علـى مسـتوى، و حيدة، من القضاء والجمعية التأسيسية والعلماء. للنظر فيه، وإنقاذه. فـالحق قديم. والرجوع إليه سنة حميدة. والظلم أقسى ما يكابده الفتى..

أرجو الاستجابة. وأقول مقالة عبد الملك لأبيه، عمر بن عبد العزيز :

" يا أبت، ما لك لا تنفذ الأمور ؟ والله لا أبالي، في الحـق، لـو غلـت بي وبك القدور "..) محمد يوسف أبوحريرة.

كانت تلك، هي المذكرة، أو، الاستقالة الـتي تقـدم بهـا الـدكتور أبـو حريرة، وزير التجارة، إلى السيد رئيس الوزراء، السيد الصادق المهـدي، في ذلك الوقت. والتي تحوي الكثير.. الكثير الذي يستحق الوقـوف عنـده في هذه المرحلة الخطيرة من تطور أحوالنا في هذا الوطن العزيز الذي نالـه منـا الكثير الخطير..

فأقال السيد الصادق المهدي حكومته.. دون أن يستقيل هـو؟؟ كـل ذلك ممـا يـدل علـى مقـدار البـؤس الـذي وصـلنا إليـه وعلـى أن الأمـر، الانقلاب، كان متوقعا، وكان مرحبا به، آن لم يكن هناك اتفاق. بصورة من الصور، بين الحكومة والانقلابـيين. لأن الحكومـة لم تقبـل مبـادرة الميرغـني قرنق إلا وهي مكرهة. وكان الانقلاب في اليوم الثلاثين مـن يونيـو١٩٨٩، وكان موعد اللقاء بين الميرغني وقرنق في ٤يوليو١٩٨٩..

كانت تلك نهاية الفترة الثالثة من الفترات الانتخابية. ولم تكن أحسن حالا من سابقتيها، إن لم تكن أسوأ منهما.. لهذا الذي أشار إليه الدكتور أبوحريرة، من التسيُّب والإهمال، بل والقصد. ثم للصراع الواضح على السلطة بين الطائفتين، وتبادل المواقع السياسية بينهما. وذلك بأن الصادق المهدي كان موافقا على ما تم في كوكادام ولكنه اعتذر عن الأخذ به، في حكومته الأولى، بحجة أن حليفه، الاتحادي ديمقراطي، غير ملتزم بذلك. ثم أن الحزب الاتحادي ديمقراطي اتفق مع قرنق على أمور هي من صميم اتفاق كوكادام، ولكن الصادق المهدي تردد كثيرا في قبولها.. مما يوضح أن الصراع بينهما هو القضية الأساسية وليس ما يصلح الوطن أو يضره..

وأن النوايا لم تكن خالصة من أجل الوطن. وإنما كانت هناك أسبقيات دون المصلحة العامة.. ولم يكن الحزب الاتحادي الديمقراطي، هو الآخر، راضيا عن الوزير أبوحريرة لأنه كان يتحرك ضد كل صور الفساد من غير تمييز. لأنه كان، كما قال، يعمل للوطن وللشعب. وقد سمعنا أن الجبهة الإسلامية، بعد استيلائها على السلطة حاولت استقطابه، ولكنه اعتذر عن ذلك. وقد اقترح السيد الصادق المهدي، كعادته سن قانون لمنع الانقلابات. فرد عليه الأستاذ طه إبراهيم في مقال في صحيفة بأنه ليس هناك قانون يمنع الانقلابات إلا الإصلاح..

وأما الجبهة القومية الإسلامية التي استولت على السلطة في ذلك الوقت، فقد وجدت فرصة ذهبية للحكم. لأن الشعب السوداني، كان قد مل حكم الطائفية، وصراعاتها هذه، الفارغة، ولكنهم ضيعوا تلك الفرص بأن

اتجهوا إلى إقصاء كل من لا ينتمي إليهم، في كل المرافق والمجالات، حتى النادر منها والذي لا يملكون سبيلا إليه إلا بالاستعانة بذوي الخبرة من السودانيين، غير المنتمين إليهم. كما أوضحت ذلك في شأن الدراسات البجأوية. ومحاولة إقامة المركز لهذه الدراسات التي قلت إنني من أكثر العاملين في هذا المجال. فلم يتعاون معي السيد وزير الثقافة الاتحادي الأستاذ عبد الباسط عبد الماجد بشير. وكذلك السيد مدير الميناء السيد حمزة الفاضلابي الذي ضن علي بالمقابلة وبالاعتذار. فأرسل السيد مدير مكتبه، بعد أربع ساعات من الانتظار. وكذلك السيد، الدكتور عمر المقلي، مدير جامعة البحر الأحمر، الذي ذكرت عنه انه قال لي انهم صرفوا النظر عن هذا الأمر، لظروف الجامعة ؟؟ ثم طرحه على السادة عمداء الكليات. ثم لمجلس الجامعة..

ولا يخفي على ذي عقل، أن هذه هي سياسة الإنقاذ، إقصاء من عداهم، مهما يكن.. ثم كمموا الأفواه، وحاربوا الكثيرين في الرزق، سواءً كانوا موظفين أو تجاراً وغيرهم. ولم يمنعهم من تلك السياسة، التي أضرت بالبلاد والعباد أبلغ الضرر وأخطره، ورع، ولا رحمة ولا إنسانية ولا وطنية. حتى أصبح السودان خلوا من كل الكفاءات والخبرات إلا ما ينتمي منها إليهم. بل إن هذه، هي الأخرى، تقلصت في حدود المنتمين منهم إلى المؤتمر الوطني دون الشعبي. وليست هناك بوصلة أو علامة فارقة بين المنتمين إلى المؤتمر الوطني، والمنتمين إلى الشعبي، بين شاغلي المناصب، ألا بقاء الشخص في منصبه، في كثير من الأحيان. حتى، آن كثيرا من الشعبيين في السلطة، لم يمنعهم من إعلان ذلك إلا حرصهم على البقاء حيث هم.

ثم عادت كثير من الكفاءات السودانية إلى البلاد، بعد أن هاجرت، اضطراراً، أو اختياراً فملت الغربة وآنست قدرا من الانفراج. ولم يقصر إعلام السودان من دعوة أولئك إلى العودة للوطن، وكذلك المسئولون، حيث حلوا.. ومن عجيب المفارقات، في هذا الأمر، ما نشرته إحدى صحفنا، أن وزيرا من وزرائنا الاتحاديين كان في زيارة إلى الصومال فلقيه رصيفه الصومالي وأخبره بأن خبيرا سودانيا نجح عندهم في مجال الزراعة حتى أنه جاء بالمعجزات. فطلب الوزير السوداني مقابلة الخبير وقال له : (أما كان وطنك أولى بهذه الخبرة ؟) فرد عليه الخبير بأنك أنت الذي وقعت على فصلي عن العمل.. فأسقط في يد السيد الوزير.

لقد مارس نظام الإنقاذ سياسة الفصل هذه بصورة عشوائية. من غير نظر إلى حاجة الوطن لتلك الكفاءات. حتى اسقط في يده. كما حدث لهذا الوزير الذي مارس تلك السياسة في وزارته فوقع في هذا الحرج..

وقد خفت هذه السياسة في السودان عامة. ولكنها في الشرق تمارس إلى اليوم. الأمر الذي توضحه بعض النماذج التي ذكرتها وهي السيد وزير الثقافة الاتحادي الأستاذ عبد الباسط عبد الماجد بشير. والسيد مدير الميناء السيد حمزة محمد عثماني. ودكتور عمر المقلي مدير جامعة البحر الأحمر..

وأن كثيرين ممن فصلوا، في تلك الفترة، لم يجدوا العمل ومنع بعضهم من الخروج للعمل في الخارج، فذاقوا الأمرين. ومارس بعض الإنقاذيين ذلك بعنف. مما أكسبهم عداوة الجميع. فأخذ الكثيرون يحاربونها تحت مظلة الطائفية..

أكثر من ذلك، أنها هي اليوم، في شرق السودان، تعتمد على الطائفية ؟؟ فأغدقت عليها من مال الدولة ما أغدقت. وأطلقت يدها لكثير من الأمور الخطيرة. حتى تكسب ودها وتعاونها، في الحال والمآل.. هي التي كانت تقول، إنها جاءت للقضاء عليها ؟؟ كما اعتمدت على الإدارة الأهلية، منذ مؤتمر النظام الأهلي. ثم زادت مرتباتهم ليكونوا عونا لها كما فعل الاستعمار من قبل بعد أن ثار عليه المثقفون في ثورة ٢٤. مما جعلها، بالرغم من دعاواها العريضة في مجال التوجه الحضاري وغيره، لا تفكر إلا في السلطة. ولا غرو، فأنها قد استولت على السلطة، بانقلاب عسكري، كما فعل من قبل، كل من عبود والنميري وكان همهما البقاء في السلطة. وذهبت كل دعاواهما للإصلاح أدراج الرياح.. والغريب هناك البعض الذي يظن، وقد مضت خمس عشرة سنة من حكم الجبهة الإسلامية، أن هناك أهدافا غير السلطة.. وقد تكون هناك، لدى البعض، ولكن الاستقراء العام، في الشرق خاصة، لا يعطي غير ذلك.

والجدير بالملاحظة، في الشرق خاصة، وقد تكون الملاحظة عامة، الله أعلم بذلك، لقد كان هناك افتراق واضح بين المنتمين للتوجه الإسلامي عامة و أنصار الجبهة الإسلامية خاصة، وبين بعض الفئات المعارضة لذلك التوجه. ولكن الأمر، بالنسبة لأهل الشرق، فيما بينهم، قد اختلف كثيرا. ولكن، في الشرق، حلت مشكلة أخرى مكان تلك. وهي أنهم أصبحوا أكثر فرقة في العلاقات القبلية. مما يوضح أن البعض، منهم، ومن غيرهم، قد شجعوا ذلك. لحاجات في نفوسهم. وليحققوا أغراضهم الخاصة. (سياسة فرق تسد).

كل هذه التجارب المريرة، التي مر بها كثيرا السودان عامة، وشرق السودان بصفة خاصة، منذ الحكومة الوطنية الأولى. وإلى اليوم. سواء كانت حكومات انتخابية، أو عسكرية شمولية، هي في الحقيقة دروس مهمة تعيننا على تبصر الطريق إلى مستقبل مشرق إن شاء الله.. ولكن علينا أن نتبين معالمه، مستفيدين من كل هذه التجارب الماضية، رغم مزاراتها ورغم المعاناة..

****

د- ثم.. ماذا بعد ؟!

لقد تجاهلت كل الحكومات أمر الدستور الدائم. وأخذت كلها في تعديل الدستور المؤقت الذي خلفه لنا الاستعمار. وكانت هناك محاولات عاجزة قاصرة، في بعض العهود الانتخابية والعسكرية. ولكنها لم تبلغ مداها. كان ذلك من حسن الطالع.. لأن الدستور هو القانون الأساسي.. الذي ينص علي حق الحياة، وحق الحرية. لكل المواطنين، على اختلاف توجهاتهم، وعقائدهم و عناصرهم، ومواقعهم وجنسهم، من ذكر وأنثى.. فيكون بذلك مرآة لكل مواطن أو مواطنة.. في أي مكان في السودان، شرقه، وغربه، وشماله، وجنوبه، ووسطه.. لا فرق بينهم البتة .. هذا هو الدستور الذي يرى فيه كل سوداني آماله وأحلامه.. وهو، هو الذي يعصم البلاد من كثير من الشرور التي تتعرض لها البلاد. وعلى رأس ذلك، التدخل الأجنبي وغير ذلك مما يتسبب فيه التقصير في حقوق الإنسان، من رجل أو امرأة أو طفل. وفي أي مكان في السودان.. فما هي أهم معالم هذا الدستور ؟؟

أهم معالم هذا الدستور هي أنه ينص على حق الحياة، وحق الحرية. أما حق الحياة، فهو يعني، في الوقت الحاضر، الذي تطورت فيه الحياة، هذا التطور الكبير الذي لا مثيل له. وتعددت فيه نماذج الأنظمة المسئولة في الدول المتقدمة

عن حياة شعوبها، بل عن حياة كل من يعيش في بلادها. هذه البلاد، التي نسميها، نحن، بلاد الاستكبار. حق الحياة فيها ليس هو مجرد البقاء في تلك الديار. و إنما هو توفير ضروريات الحياة من مأكل، ومشرب، ومسكن، وملبس وعلاج وغيره من ضروريات الحياة الإنسانية الكريمة.. هذا بالإضافة إلى أمن الإنسان وسلامته من الاعتداء عليه. وحمايته من أن يظلم أو أن تتغول عليه السلطة، فتعتقله أو تخيفه. هذه الصورة، من حق الحياة، بطبيعة الحال، غير موجودة في العالم الثالث، ليس لمجرد فقر دوله، ولكن لتخلف هذه الدول. لأن بعضها أغنى من بعض هذه الدول. وأموالها دولة بين الأغنياء منها وقد دخلنا نحن في السودان، في العهد الأخير، في زمرة هؤلاء، والعياذ بالله. فأصبح البعض أغنياء، وهم القلة، يعيشون في أبراج عاجية. وهؤلاء هم الحكام ومن حولهم من المسئولين وغيرهم. ولذلك جاء التمسك بالسلطة، مهما تكن نتائج ذلك على البلاد والعباد. بعبارة أخرى أصبحت السلطة هي وسيلة هذه الحياة. وأصبح الكثيرون يجرون خلفها ويتمسحون بأعتابها دون النظر لصلاحها وفسادها. بل خيل إلى البعض، أنها صالحة، لمجرد أنها تمكنه من تحقيق أغراضه. وانتهزت السلطة ذلك بأن جعلت الكثيرين يسبحون بحمدها ويتقربون إليها ويشتركون في مجالسها وتنظيماتها ليجدوا رفاه العيش.. بينما تعيش الأغلبية في فقر مدقع. لا تجد قوت يومها إلا بشق الأنفس. وقد لا تجده.. لكل ذلك لابد أن يعاد النظر في حق الحياة. ولابد أن يشتمل على الضروري ليعيش الناس أحرارا كرماء. فلا يبيعوا كرامتهم وحريتهم لتشتريها الحكومات وغيرها.

وأما حق الحرية فيبدأ من هذه النقطة. وهي توفير الحياة الكريمة لكل

مواطن.. ويقتضي ذلك تعديل الكثير من القوانين الاقتصادية في مجال الدخول. ولابد أن تتضاءل الفروق في الدخول بين الناس. ولابد أن يجد غير العاملين، نصيبهم. ويوفر العمل للمقتدرين منهم. وذلك من مسئولية الحكومة. كما هو الحال في الدول الغربية. دول الاستكبار، كما نسميها ونحسب أننا خير منها.

هناك اعتقاد جازم عندنا، أننا خير من هؤلاء، بالرغم من أنهم يهتمون بالإنسان، من حيث هو إنسان. فيوفرون له كل ضروريات الحياة. ويعتقدون أن ذلك من حقه كإنسان، وليس منّة عليه. ولن تتحقق حرية بغير ذلك. ثم تأتي الإجراءات الأخرى. أهمها حرية الاعتقاد والتنظيم في إطار القانون المنظم لذلك. وهو ما يسمى (الديمقراطية) التي يعيش فيها الناس أحرارا. ومن أهم الوسائل إلى ذلك حرية الإعلام. وذلك بأن يكون الأعلام مستقلا تمام الاستقلال. كما هو في الدول الغربية، يتولاه المقتدرون.. ولذلك فوائد كثيرة تعود على الوطن، وعلى الحكومات الرشيدة التي يكون همها الإصلاح ومصالح البلاد العليا.. فان الإعلام غير الحر، الأعلام الموجه، لا قيمة له ولا فائدة، لا للحكومة ولا للبلاد.. ولكن الأنظمة الشمولية لا تحتمل غيره.. حكومات غير طبيعية، ومتخلفة. وقد تخلى عنها العالم المتقدم الرشيد الذي ينظر إلى السلطة باعتبار أنها مسئولية. يستعين عليها بأهل المعرفة. سواء أكانوا من حزبه أومن الأحزاب الأخرى.. ولابد أيضا من القضاء المستقل المسئول.. وقد جربنا نحن في السودان، نعمة القضاء المستقل.. كما جربنا قدرا طيبا من حرية الإعلام،

وجربنا عكس ذلك في الفترات الشمولية. فكان الأمر كارثتا. حقيقة. لأن الكثير من المصالح والحقوق تضيع للوطن والمواطنين على السواء. وتتعرض البلاد للكثير من الكوارث وعلى رأسها التدخل الأجنبي.. ويتبع ذلك، بطبيعة الحال، استقلال السلطتين، التشريعية والتنفيذية.. وليس هناك، بطبيعة الحال، حرية بغير ذلك..

ولاشك أن هجرة الكثيرين من السودانيين هي طلبا لذلك، العيش الكريم والحرية. أو العيش الكريم، وحده. إذا لم يجد معه الحرية، في بعض البلاد العربية. بعد أن فقد كليهما في بلده. بعض الشر أهون من بعض. كما يقولون، لأن مسئوليته في تلك البلاد ليست كمسئوليته في بلده..

ولا يكتمل شئ من ذلك في السودان. هذا الوطن الواسع، مترامي الأطراف، متنوع الثقافات والأعراق، متنوع العقائد والعادات، إلا إذا قامت فيه فدرالية حقيقية.. تحكم كل ولاية نفسها، في إطار الوطن الواحد الموحد الذي تمثل سلطته المركزية كل هذه الولايات، أو الأقاليم، كما كانت تسمى. والتي كانت خمسة أقاليم. الإقليم الشرقي، والإقليم الغربي، والإقليم الشمالي، والإقليم الجنوبي، والإقليم الأوسط، ثم الخرطوم.

عندما قامت حكومات في هذه الأقاليم، قيل إن في ذلك تبذيرا في الصرف الحكومي.. وفي السودان اليوم ست وعشرون ولاية. وفي كل ولاية حكومة مستقلة.. صرفها لا يقل عن صرف الحكومات الإقليمية في الماضي. ويتبع كل حكومة من هذه عدد من المحافظات، بين الأربعة والخمسة. الأمر الذي يقتضي مراجعة حقيقية. لتقليل الصرف في هذا

المجال، للتوجه به إلى مجالات أخرى، أهم. على كل حال، فأن المطلب الأساسي للبجا، و(مؤتمر البجا)، هو الحكم الفدرالي، الحقيقي. وأن تكون لهم شراكتهم في السلطة والثروة.. ويبدو أنه هو مطلب الناس في كل الأقاليم. لما أحسوا به من ظلم ومن تهميش.. مما يدل على أن الناس، في السودان، قد ملوا وكرهوا الاستغلال الذي ظل يمارس عليهم من الحكومات الحزبية والشمولية على السواء.. فلم يبق إلا أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم في ظل فدرالية حقيقية. وفي ظل حكومة مركزية، اتحادية، تكونها هذه الأقاليم. ثم ليسم من شاء ذلك بما يرى من الأسماء.. السودان الجديد. أو السودان الحديث. أو السودان الفدرالي.. هذا هو مطلب السودانيين في أقاليمهم المختلفة.. وهو، هو، مطلب البجا و(مؤتمر البجا) منذ ما يقارب نصف القرن من الزمان.. هل يتحقق ذلك ؟؟.. وهل هناك من تراوده نفسه على أن يستمر في مزيد من الاستغلال.. بعد أن بلغت الأمور ما بلغت. وأدرك الناس أنهم مواطنون، لا رعايا.. وأن الحقوق تؤخذ، ولا تعطى..؟؟

هذه هي الروح التي تطالع القارئ الكريم، وهو يتلو الصفحات التالية من هذا البحث .(مؤتمر البجا) فليقرأ السطور، وما بين السطور. لعله يدرك ذلك.. ويعلم أن البجا كانوا روادا في هذا المجال.. الدعوة إلى الحكم الفدرالي، قد شهد لهم بذلك المرحوم الأستاذ التيجاني عامر، عندما قررت مايو ذلك. ولم يسبقهم إلى ذلك إلا (الحزب الجمهوري) الذي أخرج رئيسه الأستاذ محمود محمد طه، في سنة ١٩٥٥ كتابه :(أسس دستور

السودان). الذي دعا فيه، أن يكون السودان، جمهورية فدرالية ديمقراطية اشتراكية.. وفي الكتاب المذكور، كثير من التفاصيل المهمة عن الدستور. وعن الحكم الفدرالي الذي نقترحه.. وهو قد صدر قبيل الاستقلال، في وقت مناسب للتفكير في كيفية حكم السودان.. ولكن، لأننا كنا مشغولين، طيلة الخمسين سنة الماضية، في، (من يحكم السودان؟).. وليس في، (كيف يحكم السودان؟).. أهملنا الكثير المفيد في هذا المجال. كما أهملنا أمر الدستور، وأمورا هامة كثيرة.. والكتاب المذكور، يقترح أن يكون السودان خمس ولايات. المبدأ الذي أخذت به مايو، في سنواتها الأخيرة.. قيل آن عمادها كان هذا الكتاب المذكور..

هذه هي المقدمة التي رأيت أن أصدر بها هذا البحث عن (مؤتمر البجا). حاولت أن أتناول فيها أهم القضايا التي تهم البجا. وهي التي كانت الدافع الأساسي وراء قيام المؤتمر. بعد أن تحدثت عن المؤتمر وعن بعض المفارقات الخطيرة التي لمستها وأنا أحاول القيام بواجبي، في المجال الذي تخصصت فيه. وهو التأريخ، والتراث، واللغة. وهي الفدرالية، أو، الحكم الإقليمي، أو الحكم اللام ركزي، كما كان يسمى في ذلك الوقت. بممارسة حقيقية لها. وذلك بأن يتولى أهل كل ولاية أو إقليم، سلطتهم. وأن تتكون السلطة المركزية من ممثلين لهذه الأقاليم والمركز. وأن يأخذ كل إقليم حقه، كاملا، في الثروة القومية. ويكون له نصيبه الواضح العادل في موارده. وقد اقترحت أن يكون هناك مجلس مسئول يختاره البجا من عدد محدود من الأعضاء (بين العشرة والعشرين) ليتولى هذا المجلس اختيار

المسئولين في الإقليم، أومن يمثلون الإقليم، في المركز، وهو الذي يقرر من يرى إعفاءه من المسئولين في الإقليم، ومن يمثلون الإقليم في المركز. وليس غيره. من الأحزاب أو الحكومات.

ثم تناولت، في هذه المقدمة، بعض القضايا الأخرى التي رأيت أنها امتداد طبيعي لهذه. وهي استعراض التجربة الماضية في الحكم، منذ الحكومة الوطنية الأولى التي تشكلت في يناير١٩٥٤ والحكومات التالية، التي تسمى الحكومات الديمقراطية، خاصة، التي سميتها الحكومات الانتخابية ولم أسمها (ديمقراطية) لأنها لم تكن كذلك. للعيوب التي أوضحتها..

ثم حاولت أن أوضح تصوري لمستقبل الحكم في السودان. الذي قلت عنه، انه يجب أن يكون فدراليا، ديمقراطيا، اشتراكيا. حسب ما جاء في كتاب : (أسس دستور السودان) الذي أخرجه الأستاذ محمود محمد طه في العام ١٩٥٥ قبيل إعلان استقلال السودان في العام ١٩٥٦. وقلت إننا ظللنا مشغولين طيلة هذا الوقت، بمن يحكم السودان. وليس بـ (كيف يحكم السودان) ...

أرجو أن أكون قد وفقت في القيام ببعض الواجب. نحو أهلي في الشرق، البجا. حسب التعريف الوارد في كتابي (من تأريخ البجا) الكتاب الأول، هذا التعريف الذي لا يستثني إلا الذين يصرون على أن يجعلوا بينهم وبين قبائل البجا، حواجز، ومسافات. البجا بهذا المعنى الشامل. وغيرهم من أهلي في السودان الواسع، الذي لم يبخل علينا، ولكننا نحن،

بخلنا عليه. فلم نقم بواجبنا كما ينبغي. فرحلنا عنه طلبا للعيش في غيره. فعاد بعضنا لمواصلة جهاده في الداخل وبقي البعض الآخر خارج البلاد.. وقديما قال الشاعر :

بربك، ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

ولاشك أنه، واجبنا نحن، جميعا، أن يكون السودان جنة الله في أرضه. السودان بشعبه هذا الأبي الطيب المسالم، بطبعه، الكريم المتسامح المتعاون، بطبعه. وبإمكاناته وثرواته التي بددنا الكثير منها في حروب وخلافات. لأن بعضنا في نظره هو، أنه أحق من البعض الآخر في أن يقرر مصيرنا.. وجهل أو تجاهل، أننا، بالرغم من اختلافنا، وتنوعنا، شركاء في هذا، على قدم المساواة.. تماما.. هذا ما سوف يكون سواء بإرادتنا الحرة الكريمة.. أو بأن يفرض علينا، لقصورنا، وعجزنا، من الخارج، من دول الاستكبار، كما نسميها، أومن غيرها..

وفقنا الله جميعا لما فيه خيرنا وخير وطننا السودان. انه سميع مجيب.

****

الفصل الأول

نادي البجا

لقد تبلور، نادي البجا عن تلك التجمعات واللقاءات العابرة التي كان يعقدها جمع من أبناء البجا من مختلف القبائل والمهن في حي (ديم العرب).. منهم المعلم، والموظف، والعامل، والتاجر، والطالب، وغيرهم.. كانوا يلتقون للأنس وتبادل الآراء في مختلف القضايا التي كانت تستهويهم وتجذب انتباههم.. منها السياسي وغير السياسي.. كانوا يجتمعون في ظل بيت من البيوت في وقت الأصيل.. وكانوا يجلسون على برش.. فسموه (نادي البرش) ..

كان ذلك أواخر الأربعينيات من القرن الماضي.. فنما إلى علمهم أن هناك محاولة إنجليزية إلى أن تجعل من شرق السودان، و منخفضات إريتريا، محمية تنال استقلالها بعد عشر سنوات من قيامها. وأن هذا الأمر وجد الموافقة من بعض الزعماء ورجال الإدارة الأهلية.. فاستنكروا ذلك وأرسلوا برقية استنكارهم إلى الحكومة..

ثم جاءت ثورة الاتحاديين ضد الجمعية التشريعية في العام ١٩٤٨ التي اشترك فيها الكثيرون ..

فوقع الصدام بين المواطنين والشرطة وقتل ستة من المواطنين وجرح

الكثيرون منهم. ولكنهم لم يجدوا من يهتم بأمرهم.. فشغلهم ذلك بعض الوقت، إلى جانب أمور أخرى، منها أحوال العمال البجا في الميناء. الذين كانوا يؤدون أعمالا شاقة ويتقاضون أجورا بسيطة.. ومنها معاناة الكثيرين في مجال العلاج الذي لم يكن متوفرا خارج المدينة.. ومنها قلة المدارس ومعاناة ال   الذين لا يجدون المأوى، بعد التحاقهم بالمدرسة الأهلية الوسطي وغيرها من المدارس..

جعلهم كل ذلك يفكرون في تنظيم أنفسهم بحيث يقومون بواجبهم نحو أهليهم.. فاقترح عليهم المرحوم الدكتور محمد بدري أبو هدية أن يؤسسوا ناديا للبجا.. فرحبوا بالفكرة واستأجروا حجرة في ذلك الحي.. فكانت، هي النواة لنادي البجا..

كان ذلك في الخمسين من القرن الماضي.. وتكونت اللجنة الأولى لنادي البجا من أولئك الرواد نذكر منهم : الشيخ حمد عادلي، الشيخ أحمد فقراي، السيد محمد مختار مصطفي، السيد أبو موسى علي، الأستاذ محمد دين أحمد إسماعيل، السيد محمد الحسن إبراهيم، السيد مصطفي مختار، السيد علي أبو آمنة، الأستاذ موسى آدم، السيد محمد آدم موسى،

السيد محمد هاقيت، السيد محمد عمر كشوي، السيد سيدي ولي، الأستاذ محمد نور محمود، الأستاذ هيكل كربلو، السيد محمد طاهر أبوحوة، السيد محمود سيدي، السيد محمد بدري أبوهدية وغيرهم.. من هؤلاء تكونت اللجنة الأولى من نادي البجا في مطلع العام (١٩٥١).. ثم انضم إلى النادي الكثيرون غيرهم. نذكر منهم :



المرحوم الدكتور محمد بدري أبوهدية

صاحب فكرة تأسيس نادي البجا (١٩٢٨- ٢٠٠٤)

السيد محمد صالح ضرار، السيد حسب الله ملاسي، السيد علي ملاسي، السيد إبراهيم مرزوق، السيد إمام مرزوق، السيد إبراهيم الطويل، السيد صالح بعشر، السيد مكي الأمين، السيد الحاج الأمين، الأستاذ علي أبو محمد منيناي، السيد محمد الحسن كاظم، السيد علي محمد إدريس، الـ [illegible] حمد آدم موسى، السيد حمد موسى باتأديل،

السيد حمد عيد، السيد محمد أوكير ربتك، الخليفة حمد عاوّلي، الشيخ محمد عثماني عيسى هلال، السيد محمد طاهر شيبة، السيد علي مرساب، السيد موسى أبومدينة، السيد عبد الله طاهر، السيد بامكار محمد عبد الله، السيد جيلا ني محمد أحمد، السيد موسى مكاوي، السيد أبو فاطمة حمزة مكاوي، السيد علي بازرعة، السيد عبد القادر عيسى كرشون، الدكتور محمد عثماني جرتلي، السيد حسن جرتلي، السيد أحمد الأمين موسى، السيد منيب هجينة، السيد حسن محمد كراى ريش، السيد تاج أبو نفيسة السيد عثماني عمر المصري، الأستاذ محمد كرار كجر، السيد محمد أونور آدم هرب، السيد عيسى كنشيب، السيد عوض ماشيت، الدكتور طه عثماني بلية.. هؤلاء وغيرهم هم الذين أسسوا ورعوا (نادي البجا) منذ الخمسينيات.. ثم لحق بهم آخرون، فيما بعد، ممن كان لهم دورهم وإسهامهم، بصفة خاصة، عندما انتقل النادي إلى مكان أنسب، بمناسبة زيارة السيد ميرغني حمزة البلة، وزير الأشغال، إلى مدينة بورتسودان، وإلى النادي.. فتطوع السيد الحاج الأمين بمنزله الواسع.. واقتضى ذلك أثاثا مناسبا.. فكان ممن بادروا بالاشتراك في تأثيث النادي، إضافة إلى من سبقوهم :

السيد صالح محمد صالح، أحمد بعشر، عبيد بعشر، عباس البربري، محمد جعفر طلاب، محمد صالح كاظم، أبو عيشة كاظم، أبو محمد كاظم، حسن كاظم..

أصبح (نادي البجا) مكانا يجمع البجا، على اختلاف قبائلهم، وأحزابهم، وحرفهم، وأعمارهم.. يحيون لياليه بمختلف ضروب النشاط. كان شعلة من النشاط والحيوية. تقدم فيه المحاضرات الثقافية والسياسية وغيرها. ويبادر أعضاؤه بالتعاون في مجال الخدمات، في التعليم، والعمل، والعلاج.. تداعى ذلك إلى التفكير في المطالبة بحقوقهم على مختلف المستويات والخوض في أمر السياسة..

كان أقرب الأحزاب السياسية، لتجمعهم ذلك، الحزب الوطني الاتحادي.. ولما انشق ذلك الحزب، إلى وطني اتحادي، والشعبي الديمقراطي. كان حزب الشعب هو الأقرب. لأن جماهير البجا، في تلك المنطقة، ولاؤها للسادة الميرغنية، رعاة ذلك الحزب.

لقد وضح لتلك الصفوة أن تلك الأحزاب الطائفية لا يهمها إلا الولاء.. ولا يهمها كثيرا أن يتولى أمورها المثقفون وأصحاب القدرات. وإنما تفضل دائما أن يتولى تلك الأمور أصحاب الولاء.. فاتجهوا إلى هؤلاء دون المثقفين.. فاحتج لذلك، البعض من مثقفي البجا وهددوا بالاستقالة عن الحزب. فتم اختيار الدكتور طه عثماني بلية رئيسا للحزب، والسيد علي محمد إدريس سكرتيرا للحزب.. وكان اتجاه الحزب، قيادة الحزب، إلى غيرهما..

لقد كان مرشح الحزب الوطني الاتحادي في الانتخابات الأولى هو السيد هاشم محمد سعد. وقد تم ذلك بعد صراع وإصرار من السيد بامكار محمد عبد الله علي أن يكون المرشح من البجا.. وتم ترشيح الدكتور طه عثماني بلية، رئيس الحزب، في الانتخابات الثانية في العام ١٩٥٧ بواسطة اللجنة المسئولة عن الحزب.. ولكن القيادة الطائفية الموجودة، رفضت ذلك الترشيح.. واتجهت إلى غيره، من أصحاب الولاء.. وحسم الأمر بأن وافق راعي الحزب، السيد علي الميرغني، على ترشيح رئيس الحزب الدكتور طه عثماني بلية عن الحزب. وكان مرشح الحزب الوطني الاتحادي السيد محمد أحمد النيل..

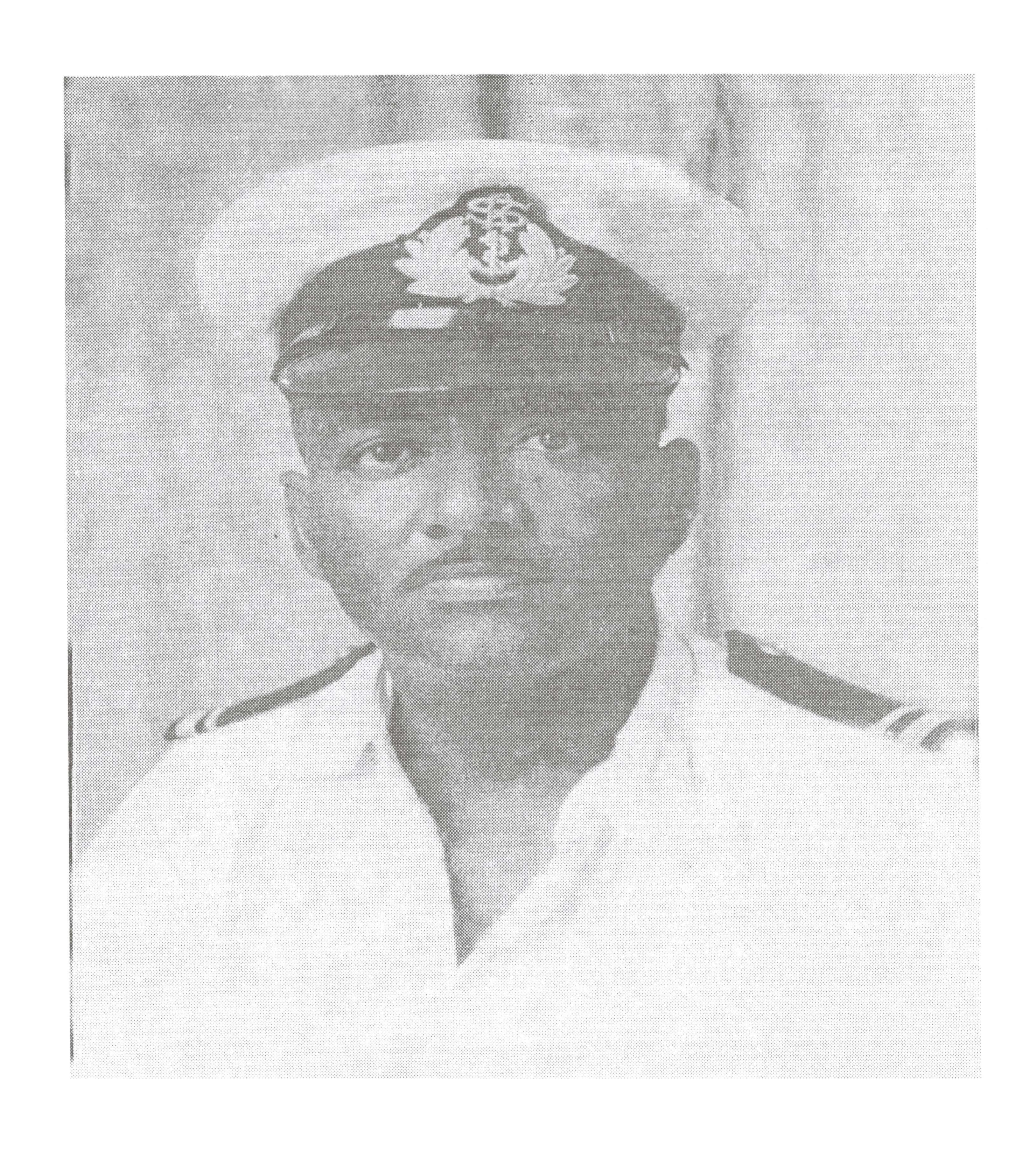
كان واضحا، أن مدينة بورتسودان وما حولها منطقة ختمية بأكثر مما هي منطقة للحزب الوطني الاتحادي.. وأن البجا يقفون وراء مرشحهم الدكتور طه عثماني بلية.. بالرغم من كل ذلك فقد فاز مرشح الحزب الوطني الاتحادي، السيد محمد أحمد النيل..

فأدرك الناس أن هناك العديد من الأسباب لذلك. ولكن كان أهمها موقف تلك القيادة الطائفية ومدى إصرارها على موقفها من رفضها لترشيح رئيس الحزب الدكتور طه عثماني بلية الذي اختاره الحزب ووافقت عليه الجماهير، مما أقنع الناس بأن العمل من خلال تلك الأحزاب أمر لا جدوى فيه، وأنهم لابد أن يفكروا ويتجهوا إلى أسلوب غير ذلك..

وكان من رأي الأستاذ محمد كرار كجر منذ العام ١٩٥٤ أن يكون

للبجا مؤتمرهم الخاص. ولكن الأمور بميقاتها، كما يقولون.. فاتجهت قيادة البجا إلى تقديم مذكرات إلى المسئولين في المنطقة. ولكن تلك المذكرات رفضت.. فعقدوا اجتماعا عاما في العام السابق ١٩٥٧ في نفس المكان الذي عقد فيه، المؤتمر في العام ١٩٥٨، يوضحون فيه رفض المسئولين استلام ما قدم إليهم من المذكرات.

****



السيد مصطفي مختار مصطفي

من مؤسسي نادي البجا وأول رئيس لنادي البجا

الفصــل الثاني

التمهـيد للمؤتمر

لقد كان قيام نادي البجا، بالصورة التي قام بها، والأغراض التي قـام لتحقيقها، جمع البجا، والعمل من أجل رفع المعاناة عنهم، وتحقيق حقوقهم المشروعة، في التعليم، والعمل، والعلاج، وغيره. كان ذلك الخطـوة الأولى، والتمهيد. فقد قادت المؤتمر، نفس النخبـة الـتي أسسـت النـادي وطورتـه، لتحقيق تلك الأهداف. ولم تتجه إلى المؤتمر إلا بعد أن يئست من العمل من خـلال الأحـزاب السياسـية الطائفيـة الـتي ورثـت حكـم السـودان، بعـد الاستعمار. فلم تحسن ذلك، بـل اتجهـت إلى تحقيـق مآربهـا هـي، وبصـفة خاصة في الشرق وغيره من الأقاليم التي لم تنل حظها من التعلـيم والـوعي خلال سني الاستعمار.. فكان قيـام النـادي بتلـك الصـورة بمثابـة الإعـداد للمسرح. وكان ذلك أمرا مهما وأساسيا..

كان ذلك هو الخطوة الأولى للتمهيد لقيام ذلـك المـؤتمر. وقـد اقـترح الأستاذ محمد كرار كجر قيامه في سنة ١٩٥٤، بعد الانتخابات الأولى..

وأما الخطوة الثانية، والمباشرة فكان سقوط مرشـح البجـا والطائفيـة، الدكتور طه عثماني بلية، في الانتخابات الثانية، وبإسهام مباشر من القيـادة المحلية لتلك الطائفة. وذلك لأنها تدرك تمام الإدراك، أن الـدكتور طـه بليـة

صاحب قضية يؤمن بها ولا يمكن أن يحيد عنها، لتحقيق أغراض شخصية، فيمكن التحكم فيه عن طريقها. فكان نصيبه تلك الحرب والسعي لإسقاطه بشتى الوسائل. الدعاية المضادة، وتهجير أعداد من الناخبين إلى دائرة أخرى، الدائرة التي فاز فيها الأستاذ محمد كرار كجر، ليفوز منافسه، لأنه هو الآخر، الأستاذ محمد كرار كجر، الذي لم يكن مرغوبا في فوزه، لنفس تلك الأسباب. أنه صاحب قضية ومواقف. منها أنه كان ممن أصروا على أن تكون قيادة الحزب في أيدي المثقفين.

وأما الخطوة الثالثة والأخيرة، هي قيام تلك الليلة التي عقدت في اليوم السابع من شهر يونيو من العام ١٩٥٧، وفي نفس المكان الذي عقد فيه المؤتمر، في العام التالي، والتي بسطت فيها المشكلات التي تواجه البجا عامة في مجال التعليم والعمل والعلاج وغيره. والتي رفعت إلى المسئولين في المنطقة فلم يعيروها اهتمامهم.. ومن ثم شرع في الدعوة إلى انعقاد المؤتمر. وليكون انعقاده في العام التالي، عام ١٩٥٨..

بدأت الدعوة إلى مؤتمر عام، يعقد في مدينة بورتسودان، في العام القادم. فأرسلت الخطابات إلى المثقفين من أبناء البجا وإلى زعماء القبائل. وسافرت الوفود إلى الجهات المختلفة لشرح وتوضيح ذلك. فوجدوا كامل الترحيب والتأييد من كل أولئك. ووعدوا بالتعاون والحضور.. ثم أعد للمؤتمر وحدد مكانه وزمانه.

وجهت الدعوة إلى المسئولين في السلطة، وإلى الزعماء السياسيين والدينيين. أرسلت إليهم النشرات والدعوة لحضور المؤتمر ولتأييده. كما

أرسلت إلى الصحفيين فكانت استجابة الجميع جميلة ورائعة، وبصفة خاصة الصحف التي كانت حرة في ذلك الوقت. فكتبت عن المؤتمر قبل انعقاده، وأثناء انعقاده، وبعد انعقاده. وأرسلت المندوبين لينقلوا إليها كل وقائع المؤتمر. أحسنت الحديث عنه أيما إحسان، مما جعلنا نفرد فصلا خاصا لذلك..

عقد المؤتمر، كما كان مقررا له، في شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨ لمدة ثلاثة أيام، من اليوم الحادي عشر إلى اليوم الثالث عشر من ذلك الشهر. وقدر عدد الحضور بخمسة عشر ألفاً من كل قبائل البجا. وحضره زعماؤهم أو مندوبون عنهم. وحضرت الحكومة. السيد رئيس الوزراء السيد عبد الله خليل وبعض الوزراء، كما حضر مندوبون عن زعماء الأحزاب وغيرهم.

تولى المسئولون عن المؤتمر، الدكتور طه عثماني بلية ورفاقه، الحديث عن المؤتمر وعن أهدافه. ثم أفسحوا مجال الحديث، للزعماء القبليين ليتحدث كل منهم بما يريد وباللغة التي يحسنها. سواء كانت العربية أو البجاوية أوالتقرية. وكان هناك من يتولون ترجمة حديث المتحدث إلى اللغة العربية. وكان على رأس هؤلاء الأستاذ أبو علي كرار الذي كان حديثه وترجمته لا تقل روعة عن حديث المتحدث. وكان هناك تسجيل لكل ما دار في تلك الأيام الثلاثة..

الأمر المهم جدا الذي نرى تسجيله هنا، في ختام الحديث عن التمهيد، وقبل الشروع فيه، هو أن مؤتمر البجا العام، في ذلك الوقت المبكر من الحكم الوطني الذي لم يتجاوز الأربع سنوات، يمثل نقطة تحول هامة جدا وكبيرة في تاريخ البجا المعاصر. لأنهم، وربما لأول مرة في تأريخهم

الطويل، اتحدوا وراء قيادة واحدة، على اختلاف قبائلهم، وأحزابهم. يطالبون بحقوقهم المشروعة في الحياة الحرة الكريمة، بعقد هذا المؤتمر، والدعوة إليه، بعد أن أعياهم طلب ذلك من خلال تلك الأحزاب التي أدركوا حقيقتها وعجزها وبعدها عن قضايا الوطن الحقيقية.. مما أشارت إليه الصحف إشارات واضحة قوية في ذلك.. فكانت النتيجة، أن سلم الحكم للعسكريين، عبود ورفاقه. علهم يطفئون تلك الشعلة..

ولكن العسكريين كعادتهم دائما، كانوا أكثر فشلا، وأكثر أشعلا للحرائق. وهذا دأبهم..

ولكن هذه الحلقة أو، الدورة الخبيثة، لا تزال مستمرة. ولا يزال الشعب السوداني يعاني الأمرين من هؤلاء وهؤلاء، حتى يقيض الله له الحكومة الرشيدة التي تعرف قدر هذا الشعب الكريم فتحكمه الحكم اللائق به. وما ذلك على الله بعزيز..

فإلى الحديث عما دار في ذلك المؤتمر الذي قلنا عنه إنه كان نقطة تحول واضحة في تاريخ البجا المعاصر.. سبقوا بها الكثيرين ممن لحقوا بهم من بعد، من إخوانهم، من سكان الأقاليم الأخرى. فأشادت الصحف السودانية بذلك أيما إشادة. وحق لهم ذلك..

****

الفصل الثالث

مؤتمر البجا العام

عقد مؤتمر البجا العام، في مدينة بورتسودان، في الساحة الواقعة جنوب المدرسة الغربية أمام نادي البجا، غرب حي ديم المدينة. في الفترة (١١ - ١٣) من شهر أكتوبر ١٩٥٨. فحضره أكثر من خمسة عشر ألفاً، من البجا وغيرهم من مدن وقرى السودان؛ سواءً مدعوين أو غير مدعوين. لحضور ذلك التجمع الكبير، الرائع، المهيب. الذي فرح له من فرح حتى شرق بفرحته. وحزن له من حزن حتى شعر، بأن الشرق، على سعته، كاد يضيق به.. وأخذ يفكر في الرحيل عنه. ولا غرو. فأن الشرق قد وسع، ويسع الصديق والعدو.. الحادب على مصلحته، المشارك للجماعة في كل أمر ذي بال. ومن لا يعرف إلا ما يفيده ويصلحه هو وحده.. ولا بأس من تضرر الجماعة التي يعيش بينها..

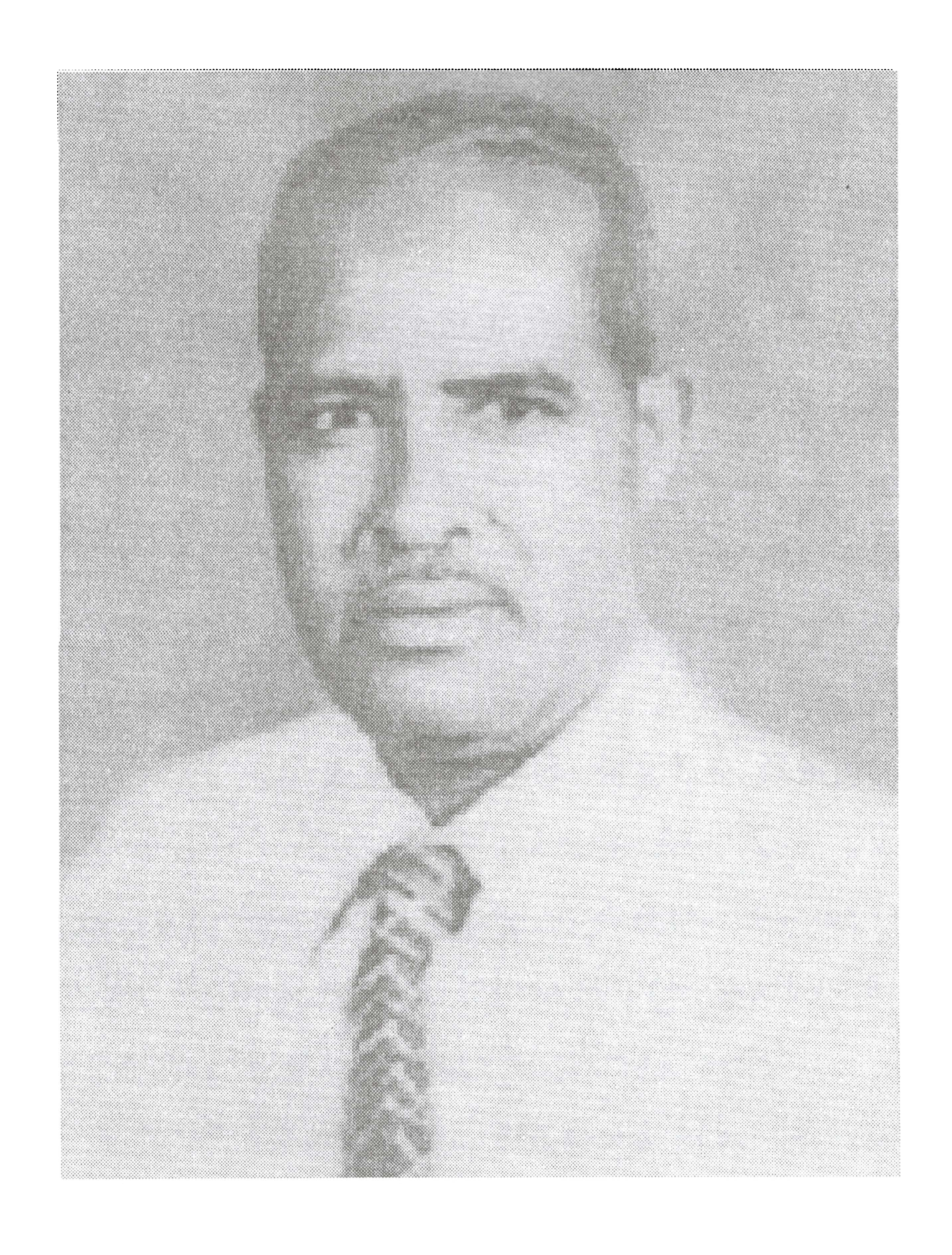
كان المؤتمر فرحة كبيرة لكل أهل الشرق، البجا، لهؤلاء الذين فرحوا به، وحزنا كبيرا لأولئك. ولا يزال بعض أولئك يحمل غبن ذلك ولا ينسي أن يحارب اسم المؤتمر حتى يمحوه، إن استطاع إلى ذلك سبيلا.. وهناك من يصرون على تخليده لأنه تخليد لذكرى عطرة لتلك الوحدة الشاملة والقيادة الرشيدة..

افتتح المؤتمر بآيات من الذكر الحكيم تلاها الشيخ أدروب الشرتاي. ثم افتتح المؤتمر الأستاذ أبو موسى علي، السكرتير العام، مرحبا بالحضور وشاكرا لهم المشاركة. ثم طلب من الدكتور طه بلية أن يخاطب الجمع. فتقدم الدكتور طه عثماني بلية، وهو بزيه البجأوي، فبدأ بالترحيب بالحاضرين وشكرهم. وخص الحكومة، السيد رئيس الوزراء والوزراء. ثم رجال الصحافة والأعلام. ثم ألقى كلمته، فقال :

(سادتي الضيوف العظام.. باسم جماهير البجا في كل مكان، وباسم هذا المؤتمر.. أرحب بكم ترحيبا حارا، وأحييكم تحية عاطرة، صادقة.. وإنني لجد سعيد أن أرى مواطنين يتدفقون زرافات ووحدانا لكي يناقشوا مشكلاتهم، ويبسطوا شئونهم للدرس والتمحيص. ويجمعوا كلمتهم على العمل الجاد المثمر حتى يلحقوا بركب الحضارة والوعي الذي عم البلاد منذ تحررها من نير الاستعمار..

سيدي، رئيس الوزراء.. سادتي الوزراء.. سادتي رجال الخدمة المدنية.. إن هذا الاجتماع الذي تتمثل فيه الديمقراطية في أحسن صورها،

وأن هذه الفرصة النادرة، التي جمعت بين الحاكم والمحكوم، ستظل خالدة في تأريخ حكمنا الوطني المجيد. وأنكم لاشك، ستسمعون إلى إخواني المتحدثين. إذ أننا، سنكون في أشد درجات العنف، ناقدين، ومنذرين بالحالة التي نحن فيها. وإنني أؤكد لكم، أن صراحتنا هذه لا تتجه إلى تجريحكم كأشخاص، ولا إلى التقليل من شأنكم، كحكام.



الأستاذ أبو موسى علي

سكرتير عام مؤتمر البجا منذ العام ١٩٥٨

وإنما غايتنا منها أن نضع صورة صادقة لما نحس به، وأن نبسط لكم، وللرأي العام السوداني، قضيتنا، ومطالبنا. وغايتنا من ذلك. أن نوضح معالم الطريق الذي سيقودنا إلى التطور المنشود. وأنكم لا ريب، ستعملون بكل جهدكم، وبما يتيسر لكم من إمكانيات الدولة لعلاج ما نشكوه.

مواطني الكرام.. إن نواب منطقة البجا قد اتحدوا لمصلحتكم ونصرتكم والأخذ بيدكم، وتحقيق ما تصبون إليه من مطالب حيوية. فقدموا في هذا الشأن مذكرة قوية شاملة. قدموها إلى الحكومة. وأنهم قد قاموا بما ألقيتم على عواتقهم من مسئوليات جسام. فاستحقوا منكم كل تقدير وتأييد ومناصرة.

إنكم، أيها المواطنون، قد ساهمتم بنصيبكم الوافر في معركة تحرير هذه البلاد، وأنكم لا زلتم تساهمون، وستظلون حراسا لهذه الحرية. وأنكم، لاشك، تدركون ما عليكم من واجبات نحو بلادكم، وما لكم عليها من حقوق. لذلك أناشدكم أن تخرجوا من إجماعكم هذا بتوصيات واضحة محددة، لنتكاتف جميعا على تحقيقها في جو مملوء بالمحبة والإخاء و السلام)..

كانت هذه كلمة الافتتاح التي ألقاها رئيس المؤتمر، الدكتور طه عثماني بلية. استمع إليها المسئولون، كما استمع إليها غيرهم. فكانت واضحة محددة. ثم تليت بعض البرقيات تؤيد المؤتمر وتباركه. برقية السيد علي الميرغني. ثم برقية السيد عبد الرحمن المهدي. ثم برقية سلطان ما يرنو الذي قال إنه كان يتمنى الحضور ولكنه لم يدع إلى ذلك. ثم برقية وزير المعارف، التربية، الأستاذ محمد زيادة أرباب. وغيرها من البرقيات.

ثم تقدم السيد كبيري محمود نولي، عمدة الأرتيقة، فارتجل كلمة عبر فيها عن شكره للحضور. ثم تحدث عن نضال البجا من قديم الزمان. ثم تحدث عن الظلم والتهميش الذي يعيشه البجا. ثم ناشد الحكومة أن تلتفت إلى أهل الشرق، وتستجيب لمطالبهم العادلة باعتبارها حقوقا مشروعة. ثم تلاه غيره من الزعماء وممثلو القبائل. السيد محمد الأمين ترك، ناظر عموم قبائل الهدندوة، الذي ذكر أنهم كانوا يتابعون هذا الحدث منذ أن كان فكرة. وأنهم كانوا مصرين على إنجاحه. ثم نصح المؤتمرين ألا يتعجلوا في اتخاذ القرارات ولا يطالبوا بالتنفيذ الفوري للمطالب، لأنها تحتاج إلى الوقت والدراسة. ثم ذكر أهمية المؤتمر لأبناء الإقليم والأقاليم الأخرى. وتمنى لهم التوفيق. ثم تقدم الأستاذ محمد دين أحمد إسماعيل فتلا المزيد من برقيات التأييد. كان أهمها برقية الرئيس جمال عبد الناصر الذي أبدى إعجابه بقيام المؤتمر في ذلك الوقت. ثم تقدم إلى المنصة الخليفة علي نور ليتحدث نيابة عن عمدة الحباب. فعبر عن سروره وامتنانه بقيام ذلك المؤتمر العظيم الذي وحد شمل البجا. وأكد أن قبيلته، رغم ظروفها المعقدة، سوف تدعم المؤتمر بالمال والرجال. ثم تقدم السيد أونور أوشيك ليتحدث نيابة عن عمدة الشعاياب، باكاش أبوعلي موسى. وتقدم السيد عمر محمد الأمين نيابة عن قبيلة الحلنقة.

وتحدث السيد محمد آدم موسى نيابة عن عيسى كرب، عمدة العمر هاساب. ثم تلاه غيره من المتحدثين. طاهر محمد عبد القادر، نيابة عن عمدة الكميلاب. سليمان علي كرار، نيابة عن ناظر البني عامر بطوكر. ثم

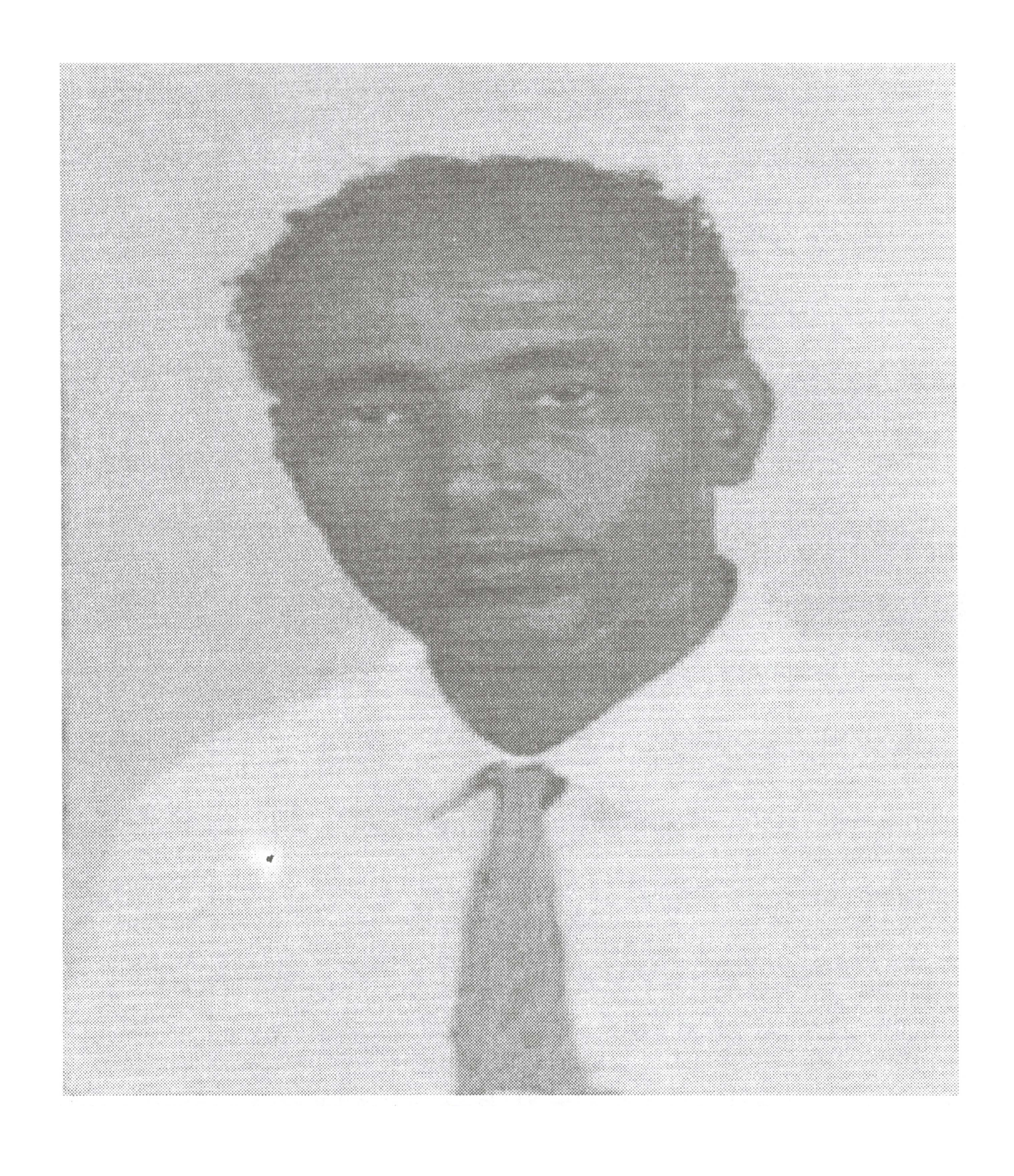
تحدث آخرون، منهم السيد عمر ميلك، عضو مجلس ريفي أروما ثم تحدث الأستاذ أبوموسى على، السكرتير العام للمؤتمر. فجاء في كلمته:

(لقد صار بحمد الله، ذلك الحلم، وتلك الأمنية، حقيقة مجسمة واقعة بفضل تلك الجهود المضنية التي بذلها أبناؤكم، وبفضل هذه الاستجابة الرائعة التي وجدوها من نفوسكم الأبية. فأننا جميعا، كنا نشعر بأننا كنا في حاجة إلى التكتل والتجمع بعد فرقة وتشتت بين مختلف المنظمات والهيئات التي لم نجد من ورائها شيئا. فلنجعل منها وحدة رشيدة تأخذ بأيدينا إلى الخلاص مما نحن فيه. من جهل مطبق، وفقر مدقع، ومرض مهلك. ولقد تحسسنا هذا الشعور، وذلك الاستعداد، فتبلورت في عقولنا فكرة هذا المؤتمر... وأنه كان لابد من سلوك الطريق الذي سارت فيه الجماهير الأخرى، لا تقليداً، بل كشفاً لواقعنا المرير. فكانت تلك الليلة الشعبية التي أقمناها في نفس هذه البقعة، في اليوم السابع من شهر يونيو عام ١٩٥٧، والتي شرحنا فيها مشاكلنا، ووضعناها في عرائض وقدمناها إلى كل مسئول في البلد، فلم نجد لها أثرا حتى يومنا هذا... إننا نعتبر أنفسنا أكثر المناطق تخلفا. وليس هناك وجه مقارنة بيننا وبين الجنوب الذي يحظى بقدر أكبر من الرعاية. ولا الغرب الذي ينوء تحت ظل العطش. لأن قلقنا على قوت اليوم. فقد فقدنا أساس حياتنا من ذوات الأربع. ولم نستبدل عنها زرعا ولا عملا.)

كان هذا بعض ما جاء في كلمة السكرتير السيد أبوموسى علي. ثم تحدث الأستاذ محمد دين أحمد إسماعيل (البجأوي) فجاء في كلمته :

(لقد صبرنا فوجدنا الصبر عبدا ذلولا. وتحكمنا فوجدنا الحكمة استسلاما وتخاذلا. وقدرنا ظروف البلاد، ووحدتها، فوجدنا التقدير جهلا واستضعافا. وفكرنا كثيرا فوجدنا أن التفكير بلا عمل يأس وفناء. ولقد ضحينا من أجل الوطن فلم نجد لذلك ثمنا من حيث الإصلاح. وشرفنا البلاد في مواقف عدة وعديدة. فوجدنا، إلا كرامة، ولا عزة، ولا تقدير للشرفاء في هذه الديار.

سئمنا الوجود لأننا وجدنا أنه غير مرغوب فينا إلا إذا رضينا أن نكون سلعة تباع وتشترى للاستهلاك عند الضرورة. فترتفع أسهمنا، في بعض المناسبات، وتنخفض في بعض المواسم. وتجاذبنا التيارات والعواصف والأمواج التي يدير دفتها المغرضون والنفعيون الانتهازيون الذين لا يفكرون إلا في مصالحهم الخاصة وذواتهم الفانية. لا يخف علينا أن السودان، بلا شك، قطر واحد، ولا يمكن أن يتجزأ، بأي حال من الأحوال. تؤيد حجتنا النظريات الجغرافية. والتأريخ السياسي، والاقتصاد. ثم الارتباط الوثيق، والتماسك الشديد بين سكانه، بحكم نعر اتهم القومية، وعقيدتهم الدينية، وغيرها من الروابط الاجتماعية المختلفة.



المرحوم الأستاذ محمد دين أحمد إسماعيل (البجأوي)

عضو سكرتارية مؤتمر البجا العام،

ومؤلف كتاب (كفاح البجا) وكتاب (مقبرة الأحياء).

وإذا تدرجنا قليلا نحو الجنوب، لوضح لنا جليا، بأن سكانه لا يختلفون عنا إلا في أشياء معينة، وإلا أن ولاءهم لمنطقتهم، وإخلاصهم وعملهم بقدر طاقتهم وتكتلهم، قد ساعد كثيرا. فقوى أواصر الروابط بينهم فوقفوا وقفة رجل واحد من أجل مصلحتهم. ونحن اليوم، في شرق السودان، في حاجة إلى هذا النوع من التكتل والأيمان، والثقة، لتحقيق المكاسب العامة التي نحن في أشد الحاجة إليها.

ويجب إلا نقف إلا مع الذي يقف معنا، ولا نؤيد إلا من يؤيدنا، ولسنا، ولن نكون أذيالا لنجري وراء كل داع ومضل؛ ولا سائمات، ليسوقنا كل من شاء. فنحن، كغيرنا، من المواطنين، سنعمل لنبني قوميتنا، ونساند نوابنا، الذين سيرتبطون بقراراتنا، وسيعملون معنا، جنبا إلى جنب حتى نحقق مطالبنا وأهدافنا.)

كان هذا بعض ما جاء في كلمة الأستاذ محمد دين أحمد إسماعيل (البجأوي) والتي كانت بعنوان (الوسائل الحيوية لتطوير البجا). ثم قدم بحثاً عن تاريخ البجا. كتبه المؤرخ محمد صالح ضرار، وقرأه ابنه الأستاذ ضرار صالح ضرار. تناول البحث، أصل البجا وتاريخهم منذ أقدم العصور إلى استقلال السودان، مبينا دورهم الكبير، قديما وحديثا. جاء ضمن حديثه ذلك، وتحت عنوان: (البجا والاستعمار) قوله، وهو يوضح لماذا لم يهتم الاستعمار بشئون البجا:

(لم ينس المستعمر جنوده النظامية التي أبيدت على يد شباب البجا الذين كانوا يمثلون البطولة العربية بكامل معانيها. وجادوا بأنفسهم قربانا للأوطان. "والجود بالنفس أقصى غاية الجود").

فالمستعمر يذكر جيدا وقائع التيب (أنددتيب)، وتأماي، وسبدرات، وكوفيت. بضواحي سواكن وكسلا. لذلك رسم خطة انتقامية من عموم البجا حتى لا تقوم لهم قائمة بعدها.

ولذلك حصرهم في جبالهم ووديانهم. وحرمهم من كل مقتضيات الحياة. فخيم عليهم الفقر والجوع والمرض. ولم يكتف بذلك. بل فرض عليهم جزية يؤدونها سنويا، تسمى مال الميري. وساعدت المستعمر الطبيعة. فقلت الأمطار، في عهدهم المظلم، وانقرضت النباتات والمواشي. وبسط الجهل جناحيه على سكان الإقليم. فها نحن اليوم، في القرن العشرين، نعاني ما كان يعانيه أوَائلنا منذ خمسة آلاف عام. فلم نتقدم عما كانوا عليه فترا إلى الأمام. بل هوينا إلى ما دون الحضيض. وهذا يدل على أننا مستعمرةٍ خصبة لا يصرف عليها من منتجاتها ومحاصيلها. فطمست معالم بلاد البجا، وأقفلت طرق المواصلات بين قراها ومدنها..

والدنيا كلها تتكلم اللغة العربية اليوم. والبجا محصورون وقابعون في كهوفهم لا يعرفون غير البجأوية التي حكم بها عليهم المستعمر، إلا يجيدوا غيرها. وأن يقطعوا كل أمل في الحياة في المد ن أو السير مع ركب سنة التطور)..

ثم تحدث عن حالهم، بعد الاستقلال. فقال تحت عنوان،(الاستقلال الأخير):

(الاستقلال الأخير، لا يعرف له البجا طعما. إذ لم يتقدموا في عهده قيد أنملة. بل سار الحكام من الوطنيين على خطوات عصر الاستعمار فلم يكن هناك أي تغيير في حياة البجا..

فإذا لم يكن هناك تغيير أو إصلاح حقيقي لتطور عموم البجا، فسيبقون قابعين في عزلتهم. ثم يأتي وقت يتسع فيه الرقع على الراتع .. فليتق الله كل من بيده الأمر من أن يكيل للوطنيين بمكيالين.. وهذا مالا توافق عليه القوانين السماوية، ولا العدالة الإنسانية، ولا الأحكام القضائية.

فنحن أبناء البجا، ساهمنا مع كل رجال الوطن في المصائب والنوائب. حتى لا يقال لنا إنكم تخلفتم عن المضحين بأرواحهم في سبيل الوطن العزيز.. فعلى بعد بضع خطوات من هذا الاجتماع يتوسد الثرى خيرة شبابنا من شهداء الحرية والاستقلال. حصدهم رصاص المستعمر في رابعة النهار.. فنحن البجا، اليوم، نطالبكم بإنصافنا، ومنحنا حقوقنا في الحياة.. والسلام عليكم..) محمد صالح ضرار – بورتسودان ١١/ ١٠/ ١٩٥٨ كان ذلك ختام البحث الذي كتبه المؤرخ السيد محمد صالح ضرار. وقرأه، نيابة عنه، ابنه الأستاذ ضرار محمد صالح ضرار.. ثم قدم السيد إبراهيم صالح شوف بحثا قيما عن (الثروة الحيوانية في شرق السودان، وإمكانية تطويرها)..

ثم تلاه الدكتور محمد عثماني الجرتلي فألقى قصيدته التالية :

اليوم يومك يا قصيدي فانشدي ... وتغن بالشعر الفريد وغرد
إن لم أكن لبني العمومة منصفا ... لا كنت يا شعري ولا كانت يدي
أنا من يجلكم ويفنى دونكم ... ويذود عن أرض الجدود ويفتدي

فتحـية مـن شـاعر و مـواطن ... شرفـتموه بذلك الحفل النـدي

شـرفتموه يـوم جـمع صفـكم ... و توحـدت آراؤكـم في مـوعد

لا خير في شعـب يعيش مفـرقا ... وتـسـوده الأطمـاع دون تقيـد

بالاتحاد يسـود كـل مضعـضـع ... و يـعز كـل مضيع و مشـرد

والفرقة العمياء تنـزل مـن عـل ... و تـذل كـل ممنع ومشـيـد

ضموا الصـفوف و وحـدوا آراءكـم ... لا خير في ذي الرأي غيرمـوحد

كنتم قبائل لا تسـاند بعضـها ... يسطو القوي على الضعيف ويعتـدي

فعدا اللئـام عليـكم واستعـمروا ... وسـطا عليـكم كـل وغـد مفسـد

فبقيـتمُ مثـل اليتـامـى حقبـة ... لا الدمـع يجـديكم ولـيس بمرشـد

حتـى نـهضتـم يـوم طالـب قـومكم ... بالموت فـورا أو جلاء المعتـدي

كـنتـم من السودان خير مناضل ... وشعار تضحية و بسمة سـؤدد

سالـت دماؤكم الزكيـة حـرة ... برصاصـه المفـني و دون تـردد

ضحيتـمُ بنفـوسكم و نـفيسـكم ... و وقفتمُ في الحق مثل الجلمـد

حتى انتهى المستعمرون وأذعنوا ... لإرادة الشعب القوي الأوحـد

وتبوأ السـودان مركـز ماجـد ... حـر بـهـذا العالـم المتبلـد

ومضى كسيل جارف نحو العـلا ... لم يخش من مـرغ بـه أو مزبـد

وتعاقبت فيه حـكومات فـلـم ... تلقي لكم غير الفتـات المجهـد

فصـبرتمُ حتى تنالوا بعـض مـا ... من أجلـه ضـحيتمُ بـالمرقـد

وصبرتمُ حرصا لوحـدة قطـركم ... حتـى ينـال المجـد غـير مقيـد

لكن من حـكموا البلاد تنصـلوا ... عن عهدكم ونسوا جلال المـوعد

فالجـــوع يجـتـاح الـبلاد مخــربا والفقـر والآلام والعيــش الــردى

والجهل و الأمراض تفتك جـمـة والمـوت بينكم لــكم بالمـرصــد

و هناك في الخرطوم قـوم رفهـوا لم يشعروا بالعري والحلق الصدى

يسقون مـن ماء فـراث وافـر والمـاء عنـدكم سـراب مـبدد

مات النسـاء ويتمت أطـفالكـم فـالكــل بـين ممــزق ومشـــرد

وسبيل عيشـكم بأيـدي غـيركم والباب من أرزاقكم كالموصـــد

يا قوم هبـوا مخلصين وناضــلوا في الحق لاتخشوا عدى أومعتـدي

قولوا لإخوان لـكم لم يشــعروا بعـذابكم:أنّـا هــنا في مـوقـــد

ضاقـت بنا الدنيا وقـل نصـيرنا ونسير حتما للفناء الأســــود

إن لـم تنيلونا الحقوق وتلـفتـوا أنظاركم نحو الشقاء الزائـــد

بالعلم والإصلاح والجـق الـذي هو حقنا بل حـق كـل مجاهـــد

وتوفروا سبل الحيـاة وتوجـدوا خير العـلاج لعـاجز ومســـهد

نخشى عليكم من جياع شــردوا ونخاف ثـورة عاطل و مسهـــد

إن الفضيـلـة لا تقيـل محطـما أو ترتجي مـن جـائع متشـــرد

****

إننا لنـعلــم أن أرض بـلادنـــا والبحـر كنـز زاخــر لم ينـفــد

فلنـــا المعـــادن ثـــروة مخبـوءة و الشرق يزخر بالثراء العسجـد

ولنا من الوديان فضــل زراعــة إن أصلحت فاضت بخير مفـرد

كـم مــن ميـاه عــذبة هــدارة ذهبت سدىً للبحر دون تهـجـد

إن جمعت فاضـت وتـم هناؤهـا — وشدا اللسان بجودهـا المتـجـدد
وبطوكر والقــاش رزق وافــر — يكفي الجياع مدى الحياة و يفتـدي
وبكـل ركـن إن أردتـم ثـروة — إذا ما استغلت ثـم لـم تـتبدد

****

عمــرتم بديـاركــم و بنيتــمُ — وديارنا نهب الفناء الأســود
فهبوا لنا مـن بعـض مـا عمـرتمُ — نحميكم يوم النضال المرعــد
ونكون حصنكم المنيع على العدى — ونصيـر في أيديـكمُ كمهنــد
إن تتـركونا للردى سنـذود عـن — أرواحنا في يومنـا أو في الغـد
فشـريعة الـدنيا نضـال دائـــم — والنصر للحــر الكريـم الماجــد

****

إخواننا هـذا عتـــاب صـــارخ — من مهجة الشرق الكليـم المقعـد
هـذا عتـــاب أخ لإخـــوان لـه — الـفرق بيـنهم كـأطـراف اليــد
أنـتـم تفـوقتم فشـدوا أزرنـــا — فنبشـد أزركـم بغيـر تـــردد
ودعوا كلام المفسدين ولغـوهم — إنّا بنـي السـودان فخـر المولـد
لم نـدع يومــا للشقــاق ولم نُثر — مثل العدو ضـغائن لم تسعــد

****

قــد أول الحســـاد مـؤتمـراتنـــا دعوى انفصـال بئـس قول الحسد
إنّا نطــالب حقنــا مــن أهـلــنا وبنـي عمـومتـنـا كــرام المحتــد
ســودانـنا تفــديه كـــل قـلوبنـــا يـوم الـردى جـل الفـداء والمفتــدي
إنّــا لـنهـــوى أن نـــراه مخــلدا يختـال فخـراً فـوق هام الفرقــد
ونـــرى بنيـه الفاضــلين تبـوءوا فـي عالـم الأحرار أحسـن مقعــد

****

كانت هذه هي قصيدة الدكتور محمد عثماني الجرتلي الـتي كانـت، وحدها، لسان ذلك المؤتمر ولم يكن ذلك غريبا. فقد كان الدكتور يحمل مـا كان يحمله الآخرون، بل أكثر. ثم أنه شاعر فحل لا يشق له غبار. وان ظل مجهولا لدى الكثيرين، خارج الشرق.

ولا غرو. فأن الشرق نفسه مجهـول، عنـد الكـثيرين. ولكنـه سـوف يكون معروفا، بعد، لأن بنيه استيقظوا، بعد نوم عميق، حسبه الكثيرون أنه الموت. فاستعدوا ليرثوه. بل إن بعضهم، أخذ يتقاضى الثمن الربيح، مقابل تسليمه، عند اللزوم..

ثم جاء دور السادة نواب الشرق. فساهم كل بما يناسب طبيعة عمله السابق واتجاهه. فتحدث النائب عمر أبوآمنة عـن المـذكرة الـتي قـدمت إلى الحكومة، من قبل نواب الشـرق. وقـال عـن المطالـب المقدمـة إنهـا كانـت بسيطة إذا وجدت العناية والإخلاص.. ثم عاهد الله أن يقف خلف ذلـك

المؤتمر وقراراته بكل ما أوتي من قوة. ثم قال إن أرض البجا ليست جرداء، ولا فقيرة. إذا وجدت الاهتمام وإقامة المشاريع الكبيرة. وطالب بإقامة قاعدة صناعية في الشرق لتمكين أهله من العمل. ثم تحدث عن المجاعات المتكررة في الشرق وحصدها لهم. إذ قدر عدد الذين ماتوا بثلاثمائة ألف مواطن. ثم طالب الحكومة بتحقيق مطالب المؤتمر في سرعة وقبل فوات الأوان. وقال، إننا نؤكد عدم التزامنا بالوقوف مع أي حكومة لا تتبنى قرارات المؤتمر.

ثم تقدم النائب حامد كرار، نائب دائرة البشاريين، فتحدث عن المجاعة التي ضربت تلك المنطقة. وعدم اهتمام الحكومة بها. ووصف ذلك بأنه قاتل للروح المعنوية. وطالب بإقامة مشاريع للاستفادة من إمكانيات المنطقة. ثم تحدث عن الثروة الحيوانية وأهميتها بالنسبة لإنسان البادية وضرورة الاهتمام بها. ثم تحدث عن الحالة الصحية في الشرق عامة وعن الأمراض المتفشية ومعاناة المواطنين في الحصول على الدواء، لفقرهم، وجهلهم، وقلة حيلتهم. وطالب الحكومة بالاهتمام بكل ذلك، والسعي لإيجاد العمل لأبناء البجا.

وتحدث الأستاذ محمد الأمين شريف، نائب منطقة طوكر، عن الآلام التي يعاني منها البجا عامة، من جهل وفقر. وقال إن الاستعمار قصد ذلك، أن يترك البجا، كما وجدهم. وقال إن حديثه مستمد من خبرته كبجاوي. من البادية، ومن خدمته في مجال التدريس. فذكر العقبات التي تواجه أبناء البجا في مجال التعليم. شهادة الميلاد، والمال، ومشكلة اللغة.

وطالب بوضع سياسة تعليمية خاصة بالبجا. ثم عاتب الآباء لعدم اجتهادهم في تعليم أبنائهم بإرسالهم إلى حيث المدارس. ثم قدم الاقتراحات التالية :

١ - إنشاء معهد إقليمي لتدريب المعلمين.

٢ - أن يكون المعلمون من أبناء البجا في المنطقة.

٣ - أن يكون مسئول التعليم الأول، بجاويا.

٤ - أن يمنح الطالب البجاوي فرصة أكبر في التعليم.

٥ - إنشاء المعاهد الحرفية للصناعات المحلية.

٦ - العناية بالمساجد والمعاهد.

٧ - المطالبة بأسبقية الوظائف في التعيينات والأقدمية.

ثم قال إن مسئولية المثقفين من أبناء البجا لا تقل عن مسئولية الحكومة التي نطالبها.

ثم قدم الأستاذ محمد كرار كجر بحثا قيما عن التعليم بعنوان (التعليم عند البجا) وختمه بتوصيات جاء فيها :

١- إنشاء معهد للتربية لتذليل الصعوبات الفنية التي تواجه البجا في التعليم.

٢ - إلغاء كل الموانع واللوائح التي تقف أمام البجا في مجال التعليم حتى يسايروا الركب.

٣- أن يخصص للبجا النصيب العادل الذي يتكافأ مع الحاجة في جميع مراحل التعليم .

٤- أن تعطى العناية الكاملة بالتعليم الديني. وتفتح المعاهد في البوادي والأرياف. وأن يعنى برجال الدين المنقطعين بالبوادي بصفة خاصة.

٥ - أن يكون أمر توزيع المدارس بواسطة هيئة تمثل الإقليم، جميعه، وتقرر للأرياف النصيب الأوفى وتتحرى بالمدارس أماكن سكنى القبائل.

٦- أن يعطى الاعتبار الكافي لمشكلة العمر، والمصروفات، ومستوى النجاح، بالنسبة للطالب البجأوي.

٧- وأن يتم إنشاء مدارس وسطى، وثانوية، ومعاهد معلمين ومعلمات، ومدارس مهنية وصناعية بإقليم البجا.

كانت هذه هي التوصيات التي ذكرها الأستاذ محمد كرار كجر في ختام بحثه، (التعليم عند البجا).

ثم جاء دور السيد علي حسين المليك. فقدم حديثا بعنوان (البجا بين الأمس واليوم) أوضح فيه دورهم الكبير في التأريخ الحديث والمعاصر. ثم بين ما يمكن أن تفعله الحكومة في سبيل استقرارهم بصورة إلزامية. وضرب المثل بما فعلته حكومة الاتحاد السوفييتي لبعض القبائل المتخلفة المرتحلة في وديان جبال الأورال، قائلا :

(أنا أقول، وأؤكد القول، بأن الاستقرار لا يمكن أن يتم ما لم تفرض الحكومة الاستقرار الإلزامي الذي طبقته حكومة الاتحاد السوفييتي على بعض القبائل المتخلفة المرتحلة في وديان جبال الأورال. فأن الحكومة السوفييتية قد أوجدت لهم مشاريع زراعية، ومشاريع للصناعة الخفيفة من النسيج. ثم ألزمتهم بالاستقرار.

فتبدلت حياتهم من البداوة والترحل إلى حياة استقرار ورخاء، في

مدة لا تتجاوز الخمس سنوات) ثم قال : (إن الجماهير البجأوية، الصابرة، الأمينة. التي ظلت تقدم التضحيات الجسيمة قربانا لحرية السودان دون منّ أو تفاخر، قد آن الأوان لإنصافها. وكخطوة أولى في طريق ذلك الأنصاف يجب أن يكون لهم وضع يتجاوب مع تطلعاتهم، ومشاعرهم. ويلائم بيئتهم. وأن هذا الاستقلال، يجب أن يكون شيئا ملموسا يبدل حياة المجاعة، إلى حياة استقرار ورخاء ورفاهية. وبدون ذلك سينقرضون ويهلكون. ولن تنفع الحسرة آنذاك... ما أعظم المسئولية الملقاة على عاتقنا جميعا.)

كان ذلك من الكلمة التي ألقاها النائب علي حسين المليك. فتلاه النائب عثماني عمر المصري. فأوضح في كلمته أن البجأوي، بحكم بيئته الشاقة، له القدرة على الصبر للقيام بأشق الأعمال وأنهم يعملون في ظروف هي الأسوأ فلابد من إنصافهم. ثم ختم حديثه بالتوصيات الآتية :

١ - إصدار قانون يلزم جميع المخدومين بأن يعطوا الأفضلية في العمل للبجا، في مناطقهم.

٢ - ملء الوظائف ذات المسئولية في شتى مرافق الحكومة بأبناء المنطقة المؤهلين.

٣ - تدريب البجا على مزاولة كل الأعمال المهنية والفنية المستحدثة في مناطقهم .

٤ - حفظ حقوق الآهلين في مناطق التعدين، بإشراك المقتدرين منهم في الشركات المكونة لذلك الغرض. ثم استخدامهم في كل أعمال تلك الشركات.

٥ - فتح أبواب الرزق لجميع عمال البجا في مناطقهم المليئة بالمعادن وأن

تعطـي الحكومـة تصـاريح مسـتعجلة لشـركات أجنبيـة مختصـة بأعمالالتنقيب والتعدين ليجد المواطنون العمل الكافي في مناطقهم .

كانت هذه هي التوصيات التي ختم بها النائب عثماني عمر المصـري حديثه.

ثم تقدم السيد سيدي نايلاي، مندوب نادي البجا بأروما. فألقى كلمته التي تناولـت، بتفصـيل مناسـب، مشـكلات مشـروع القـاش الزراعـي. موضحا مدى السخرة التي يعانيها مزارعو هذا المشروع. ثـم الـترف، والرفاهية التي يعيش فيها موظفو المشروع. حتى كأن الغرض من هذا المشروع هو مصلحة هؤلاء الموظفين. وأن لـيس للمـزارعين حقـوق واضحة. ثم ختم حديثه بهذه المقترحات :

١ - تغيير الكنتراتو(عقد العمل) بأقصى سرعة، لتشمل الشـروط الحقـوق الكاملـة للمـزارعين في الشـراكة الفعليـة في المنصـرف والأربـاح. ويضمنحقوقهم في الاشتراك في تسويق القطن.

٢ - توسيع المشروع، بتنفيذ اقتراح النواب، بشق القناة من نهر عطبرة لخور القاش. وبالتالي توسع حصص المزارعين العاديين، من الأراضي.

٣ - إبادة القش والأعشاب الضارة، وتنظيف الأراضي جميعها في المشـروع ورفع مستوى قسم مكافحة الحشرات، وذلك لتأمين المحصـول ضـد الآفات والأمراض التي تذهب بجل مجهودات المزارعين في كـل سـنة. وكل ذلك باستخدام أحدث الآلات وأحسن الفنيين.

هذا ما قدمه مندوب نادي البجا بأروما السيد سيدي نيلاي.

ثم قدم السيد علي محمد سعيد بازرعة بحثا قيما بعنوان (سطور تبحث في شئون الزراعة والطرق والمواصلات، بمنطقة البجا. ووسائل تطويرها وتحسينها) ناقش فيه أسباب الترحل ومشكلاته. فقال، وهو يقترح الاستقرار ووسائله :

(نعود الآن، من هذه المقدمة السابقة إلى القول، بأن أفضل حل لاستقرار هؤلاء الرحل، هو الزراعة. وهي المجال الذي يمكنهم من تطوير حياتهم من الناحية المعيشية، وإلى لم شملهم، واستتباب أمنهم وراحتهم. وتوفير أرزاقهم. وهذا يعطيهم، في الطرف الآخر، الفرصة الحيوية لتحسين إنتاجهم الحيواني.

فضلا عن أن هذا الإنتاج قد يصبح يوما، مصدرا لثروتهم النقدية، بدلا من أن يكون موردا لقوتهم وحسب.)

وتحدث السيد مصطفي أبومحمد منيناي عن المظالم الجاثمة على كاهل البجا وما سببه الاستعمار ثم قال : لا يزال الاستعمار موجودا. ثم تحدث عن الثروات الموجودة التي أعطتها الحكومة لشركات أجنبية. وقال عن هذه الشركات إنها لا يهمها سوى الكسب. وهي، لذلك، تهدر كرامة الإنسان وتمتص دمه ولا تبالي.

ثم تلاه الشيخ أدروب الشرتاي فاستشهد بكثير من الشعر. ثم استنكر سياسات الاستعمار السابقة ثم قال، إن الذين يحكمون اليوم ليسو أقل خطورة من الاستعمار لأنهم يصرفون شؤوننا بتوجيهات أسيادهم. ثم اختتم حديثه ببيت من الشعر، لشاعر عراقي :

ثم قدم الدكتور طه عثماني بلية بحثا عن الصحة، قال فيه، بعد المقدمة: (إن الحالة الصحية العامة في هذه المنطقة تتسم بنقص فادح في الغذاء. إمّا لعدمه، أو لقلته وافتقار نوعه لكثير من المواد الغذائية الهامة، كالفيتامي[illegible] [illegible]بر وتينات، وغير ذلك.

ويترتب على هذا قابلية الناس للأمراض وضعف مقاومتهم لها. ولكن، بحمد الله، لا تعاني كثيرا من الأوبئة المستوطنة، ولا من التي تجتاح غيرها من البلاد، في فترات قصيرة أو طويلة. وقد يرجع هذا إلى عوامل كثيرة، منها عدم ازدحام السكان، لتشتتهم، وصعوبة المواصلات. وهذا لا ينفي وجود بعض الأمراض الموسمية، في بعض الأماكن. كالملاريا في الجنوب المتاخم لإريتريا. وفي منطقة القاش. وكذلك مرض الزهري، وغيره من الأمراض التناسلية المجهول مداها وضررها على الآهلين الذين يقطنون الجبال والصحاري. تلك البقاع النائية التي لا تصل إليها الخدمات الصحية بصورة مستديمة، كما هي الحال في مدن المنطقة. وإننا، وإن لم نحصل على إحصائيات، تمكنا من الحكم القاطع في مدى تأثير هذه الأوبئة. إلا أننا نشعر بأن العقم آخذ في ازدياد. وحوادث الإجهاض كثيرة جدا. ومن أكبر مشاكل الصحة في المنطقة، أيضا، هو السل الرئوي الذي أباد الرجال، ويتم الأطفال، ورمل النساء. ولقد ساعد على انتشاره، وبصورة تدعوا إلى القلق، الجهل، والفقر المدقع، وسوء الغذاء وانعدام السكن الصحي). ثم قدم مقترحاته، لمواجهة ذلك. فقال :

١ - تحسين الحالة الغذائية، بتضافر وزارات الزراعة، الشئون الاجتماعية، الثروة الحيوانية والمعارف (التربية والتعليم)، كل حسب اختصاصها.

٢ - زيادة عنابر السل بالمستشفيات. ثم القيام بدراسة شاملة عن مدى انتشار هذا المرض في المنطقة. ثم مراقبة المرضى الذين يخرجون من المستشفي وينشرون المرض في القرى والأرياف. ثم العمل على تطعيم المواطنين ضد هذا المرض.

٣ - حملة لحصروإزالة مرض الزهري والسيلان في أماكن وجوده.

٤ - لانتشار مرض الملاريا في أهم مناطق البجا، حيث الزرع والماء، نقترح قيام حملة لمحاربة هذا المرض.

٥ - زيادة عدد المستشفيات، ولاسيما في الأرياف، وفي أماكن تجمعات القبائل. وتكون معدة بأكبر عدد من عربات الإسعاف لنقل المرضى من الجبال إلى أماكن العلاج.

٦ - زيادة الأسرة في المستشفيات الحالية. ووضع أسرة في كل الشفاخانات وزيادة الغذاء فيها.

٧ - عمل أما كن لسكنى مرافقي المرضى، من البادية، كما هو معمول به في الجنوب ومنحهم الغذاء.

٨ - يجب أن يكون جميع عمال المستشفيات، والشفاخانات، والوحدات الصحية، والدايات (القابلات)، من البجا. حيث يستفيد أهالي المنطقة من الخدمات التي تقدم لهم.

٩ - نقطة أخيرة، وهي وليدة الظروف الراهنة، التي لا تصل فيها الخدمات

الطبيـة إلى المنـاطق النائيـة. وهـي عـدم سـجل المواليـد في الباديـة. والروتين الحكومي يصر على إبراز شهادة الميلاد، عنـد التوظيـف، أو دخول المدرسة. وهي أن يكلف الممرضون المتجولون، بإرسال قـوائم المواليد شهريا، لتستخرج لهم الشهادات اللازمة من الشفاخانات).

كانت تلك المقترحات هي ختام البحـث الـذي قدمـه الـدكتور طـه عثماني بلية في مجـال تخصصـه كطبيـب. وبهـا كـان ختـام تلـك البحـوث والدراسات التي قدمت. ثم ختم المؤتمر بكلمة المركـز العـام الـتي تضـمنت التوصيات الآتية :

١ - الحكم اللامركزي. وذلك بمنح المنطقة الحكـم المحلـي الكامـل، كحـق مشروع.

٢ - تصنيع المنطقة. واستغلال معادنها.

٣ - توفير المستشفيات والدواء.

٤ - كل المهن والأعمال، مهما كان نوعها، في المنطقة، حق مكتسب للبجا.

٥ - تنفيذ مشروع خشم القربة الزراعي. ومياه لري الأراضي الزراعية عن طريق السدود والآبار الارتوازية.

٦ - نشر التعليم وعدم نقـل أبنـاء البجـا مـن المدرسـين، لضـرورة اللغـة، ولفهمهم للناس والمنطقة.

٧ - إشراك نواب الشرق في الوزارة كحق ثابت، ينص عليه الدستور.

٨ - إقامة مصنع نسيج بسواكن. ومصنع زراير بدرديب.

٩ - تنفيذ هذه المطالب بأسرع فرصة ممكنة .

ثم تقدم الدكتور طه عثماني بلية.. فشكر إخوانه من أبناء البجا الذين عملوا معه على قيام المؤتمر ونجاحه بتلك الصورة الرائعة. وشكر المتحدثين في تلك الليالي الثلاث، لشجاعتهم وصراحتهم في التعبير عن المشكلات التي يعانون منها. ثم شكر الحضور من أعضاء الحكومة والصحفيين وغيرهم ممن ساهموا في إظهار أهمية ذلك المؤتمر ودوره الكبير في تطور المنطقة. ثم قال :

إن تجمع قبائل الشرق تحت راية المؤتمر هو صهر لها في بوتقة واحدة. وإن توحيد رأيهم واتفاقهم هو أكبر سلاح لاستعماله ضد أي جهة كانت. لأن المحن والهوان تصيب الأمم المضعضعة المتفرقة.. كانت تلك آخر الكلمات التي قالها الدكتور طه عثماني بلية..

كان ذلك ختام (مؤتمر البجا) العام. وكانت تلك صورته، كما قدمها الدكتور طه عثماني بلية ورفاقه.

وأما الحكومة والمسئولون، في ذلك الوقت، فأنهم أدركوا أن الأمر جد. وأن البجا قد استيقظوا وأخذوا يطالبون بحقوقهم المشروعة، و

بأسلوب غير أسلوب الانتخابات التي زيفتها الطائفية. ما دامت متسلطة ولها مصالحها التي تتعارض ومصالح الناس. فقد أدركوا ذلك بحضورهم لذلك المؤتمر الذي دعوا إليه. وبما كتبت عنه الصحف، في ذلك الوقت..

****

الفصل الرابع

الصحافة ومؤتمر البجا

لقد اهتمت الصحافة السودانية بأمر المؤتمر اهتماما كبيرا بأن أرسلت مندوبيها ليوافوها بكل وقائع ذلك المؤتمر. قبل انعقاده، وأثناء انعقاده، وبعد انعقاده. وسوف نورد نماذج لذلك مما جاء في ثلاثة منها. وهي، الزمان، والعلم، والأيام.

فقد كتبت الزمان تقول :

(انه لأمر طيب أن يسافر زعماء الأحزاب الحاكمة إلى شرق السودان. وأن يستمعوا إلى شكاوى البجا – ليلمسوا بأنفسهم أن شرق السودان جزء مظلوم من أرض الوطن. ولكن، ينبغي أن يكون معروفا، منذ اليوم، أن الموضوع أكبر بكثير من أن يكون موضوع أحزاب، أو موضوع طوائف. فقد فشلت الأحزاب في أن تخلص شرق السودان من بؤسه. ما دامت تتبع أساليب المؤامرات، والمناورات، وأساليب الإبقاء على الائتلاف الفاشل بأي ثمن. حتى ولو كان الثمن أن يموت الناس من الجوع والفاقة والعطش.

نحن نهنئ البجا بمؤتمرها العنيد، ونهنئ طبقتهم المثقفة الواعية، ونهنئ شيوخهم ونوابهم. فقد كانوا دائما في الطليعة التي قادت الكفاح. وكان شيوخهم ونوابهم أثبت الشيوخ والنواب في وقت كانت فيه أسواق النخاسة هي الطابع المميز للحياة السياسية في السودان.)

كان هذا أهم ما جاء في جريدة الزمان بتاريخ ١٠/ ١٠ / ١٩٥٨، قبل يوم واحد من انعقاد ذلك المؤتمر.

ثم جاء في جريدة العلم، لسان حال الاتحاديين، في كلمتها الرئيسية، تحت عنوان (تحية لمؤتمر البجا) بقلم السيد نصر الدين السيد، حيث يقول:

(ينعقد في مدينة بورتسودان هذه الأيام مؤتمر شعب البجا بدعوة من الزعماء المحليين للهدندوة والبشاريين والأمارار والبني عامر وكل خشوم البيوت المختلفة المتفرعة من قبائل البجا الرئيسية. وان أغراض هذا المؤتمر، لاشك، نبيلة. إذ أنها تتجه بأبناء البجا نحو الوحدة والتضامن والتماسك ليشتركوا اشتراكا فعالا لبناء السودان الحر المستقل.

إن المؤتمر يشترك فيه كل أبناء البجا وقادتهم، على اختلاف فروع قبائلهم ومعتقداتهم الطائفية وألوانها الحزبية. ومن هنا يأخذ المؤتمر أهميته. ويعلق عليه الكثيرون آمالا كبيرة في أن يكون محركا للطاقة الشعبية. كفرت بالأمس بالاستعمار، وهاهي تتحسس وضعها من جديد. لتنطلق في ميدان الإنشاء والتعمير. وتساهم بدورها الفعال في المحافظة على استقلال السودان وتطوره وتقدمه.

إن قيام مؤتمر البجا، الناجح بإذن الله، نقطة تحول بارزة في تاريخهم، إذ أنهم، كنتيجة لوسائل الكفاح التي ألفوها، فيما مضى، عادوا يشعرون

بأنه (ماحكَ جلدهم مثل ظفرهم). فهاهم اليوم يجتمعون في صعيد واحد يعرضون مشاكلهم وآمالهم، ويناقشونها بهدف الوصول إلى موقف يجعل من البجا طاقة حرة تعمل لخير السودان بما فيه منطقتهم. فترتد إلى كل منهم كرامة المواطن الصالح الذي يريد من صميم عزمه.آن يعمل لنهضة بلاده وتقدمها وازدهارها.

ولعل المتشككين في طبيعة هذا المؤتمر القبلي، يدركون جيدا حالة التخلف والتأخر التي مازال يعاني منها فريق البجا في هذه البلاد. وعليه، فان هذا المؤتمر الذي دعا له قادة البجا، ما كان له أن ينجح إطلاقا لولا أنهم خاطبوا في شعبهم الجائع الجاهل قبليتهم الصارخة، كوسيلة إلى غاية شريفة، هي إشعار المواطن البجاوي بمكانه تحت الشمس. شمس هذه البلاد ذات الإمكانيات الهائلة في الجنوب، والشرق، والغرب والشمال.

ومن هنا ندرك أهمية الدور الذي يجب آن يلعبه أبناء البجا في القيادة. فلابد لهم من فتح الأعين على هذه الحقيقة حتى يسيروا بسفينة البجا من مطبات القبلية الصارخة، في بداية السير، إلى شاطئ الخير والأمان الذي لن يتحقق لأبناء هذه البلاد جميعا، ما لم يتضامنوا ويتحدوا في رابطة قومية شعبية عريضة. تفزع المستعمرين، وتقهر الطغاة والظالمين والدجالين.

كان ذلك طريق البطل الفذ، عثماني دقنة، الذي جعل من إقليم البجا وحدة قوية ضد الاستعمار. حينما وقف هو وأبناء جلدته في الصف مع المهدي والخليفة وكل القبائل السودانية. حتى خلصوا البلاد من الأتراك وجادوا بأرواحهم وكل ما يملكون عند الغزو البريطاني المشؤوم.

ولابد للمراقب، من الإشارة إلى تاريخ البجا القريب الذي جعلهم،

عن طريق التماسك والترابط، يؤممون مشروع دلتا القاش، حينما طردوا منه شركة أقطان كسلا ثم ألحقوه بمشروع طوكر. فلابد لنا من الدعوة لمزيد من التماسك والترابط، حتى يستطيع شعب البجا آن يحصل على مكاسب اشتراكية أوسع، عن طريق مؤتمرهم الديمقراطي الفذ الذي نرجو له أن يتكرر لإسعادهم، عاما بعد عام.

إن منطقة البجا هي أمل الشعب السوداني اليوم. حيث أنها تنطق بإرهاصات وجود ثروة معدنية طائلة تنتظر البحث والتنقيب. إلى جانب ما أكتشف اليوم. وأن شعب البجا يأتي في طليعة المستفيدين من هذه الثروات، بحكم إقليمهم. وأننا لنقف بشدة إلى جانب السياسات التي تتجه إلى فائدة الشعب كمجموع. وهي مقدمة على فائدة الأفراد والمحتكرين خصوصا الأجانب والمستعمرين.

إن مؤتمر البجا الذي يحضره اليوم، السيد رئيس الوزراء وبعض زملائه، فرصة لحسن النية والصراحة التامة. حيث أنه مجال طيب للتخطيط المستنير الذي يأخذ بعين الاعتبار إمكانيات الإقليم واحتياجات أهله لتحقيقها. في تناسق مع مصلحة بلادنا العامة واحتياجات شعبنا البائس الفقير في كل المواقع والأماكن.

هذا وإننا في ختام هذه التحية المخلصة لوجه الله والوطن، نعلن عن كامل ثقتنا في زعماء البجا الذين يقتضيهم الواجب ألا يتفرقوا بعد زفة المؤتمر. بل يواصلوا بحث مشكلات إقليمهم بالتفصيل. وينشطون في مجال توعية جماهيرهم الذين يجب إشعارهم بعضويتهم المتكافئة في الأسرة

السودانية والقومية الشاملة التي نجتمع فيها جميعا، بحبل الله دون تفرقة في العنصر أو الدين. تحية طيبة لكم، يا رجال البجا، وكل عام وانتم بخير)

كان ذلك المقال الذي كتبه السيد نصر الدين السيد، أحد زعامات الحزب الوطني الاتحادي، في جريدة العلم الناطقة بلسان ذلك الحزب، عن المؤتمر العام للبجا. ولاشك أن المقال يحمل الكثير من شخصية كاتبه، السيد نصر الدين السيد، الذي كان من الزعامات الوطنية التي كانت تتمتع بالروح الوطنية والإخلاص للوطن ككل. وللمواطنين، كمواطنين، من أمثال السيد عبد الله عبد الرحمن نقد الله، من حزب الأمة وغيرهما.

وأما جريدة الأيام فقد نشرت تعليقها عن المؤتمر تحت عنوان (متنوعات، أخبار وأفكار) بقلم الأستاذ بشير محمد سعيد، يقول :

(مطالب البجا كلها معقولة باستثناء اثنين منها. أحدهما خاص بقصر حق العمل في المنطقة على البجا. والآخر بالوزارة. ما هو المغزى الكبير الذي ينطوي عليه المؤتمر ومطالبه..

تقدم مؤتمر البجا، الذي افتتح يوم السبت في بورتسودان، بالمطالب الآتية:

١- الحكم اللامركزي، وذلك بمنح المنطقة الحكم المحلي الكامل، كحق مشروع، وضرورة أساسية.

٢- تصنيع المنطقة، واستغلال معادنها.

٣- توفير المستشفيات والدواء.

٤- كل أنواع المهن والأعمال، مهما كان نوعها، حق مكتسب للبجا.

٥- تنفيذ مشروع خشم القربة الزراعي. ومياه لري الأراضي الزراعية عن طريق السدود والآبار الارتوازية.

٦- نشر التعليم، وعدم نقل أبناء البجا من المدرسين، لضرورة اللغة، وفهمهم للناس والمنطقة.

٧- إشراك نواب الشرق في الوزارة كحق ثابت، ينص عليه الدستور.

٨- إقامة مصنع نسيج بسواكن، ومصنع زرا ير بدرديب.

٩- تنفيذ هذه المطالب بأسرع فرصة ممكنة.

ويناقش المؤتمر، الآن، هذه المطالب... وتفيد الأنباء أن نواب المنطقة سيعملون يدا واحدة لتحقيق مطالبهم.

وأود أولا أن أعلق على هذه المطالب، ثم على المغزى الكبير الذي تنطوي عليه... والمطالب، في جملتها معقولة.. باستثناء المطلب الرابع الذي ينص على أن جميع أنواع المهن والأعمال في المنطقة، مهما كان نوعها، حق مكتسب للبجا. والمطلب السابع، الخاص بإشراك نواب الشرق في الوزارة، كحق ثابت ينص عليه الدستور...

ولو كان المطلب الرابع يعني أن تصبح الأعمال والمهن في المنطقة وقفا على البجا وحدهم، دون سواهم من أبناء السودان.. لكان ذلك مبدأ خطيرا.. ولما وجد تأييدا من أحد.. بل انو أبناء البجا أنفسهم لأدركوا خطورته بعد حين.. ولوجدوا أنه خير لهم ولمنطقتهم إلا يتسموا بهذه النظرة المحلية، الضيقة.. أو قل النظرة العنصرية. إن منطقة البجا جزء من السودان، كغيرها من المناطق.. ولأبناء السودان، على اختلاف مناطقهم،

وقبائلهم، حق العمل في أي جزء من بلادهم، دون تمييز، أو، تعصب.. ويجدر أن نقرر أننا لم نسمع، حتى في الأقطار التي يربط بين مناطقها اتحاد فدرالي، بتخصيص حق العمل لفئة دون الأخرى من المواطنين..

ولكن لعلّ غرض هذا المطلب هو أن يتاح لأبناء البجا ما يتاح لغيرهم من فرص العمل.. وأن يكون ذلك حقا مكتسبا لهم.

أما المطلب السابع الخاص باشراك نواب الشرق في الوزارة، كحق ثابت، ينص عليه الدستور.. فهو أيضا مطلب تمليه النظرة المحلية الضيقة.. ومتى استعرضنا السبيل للإشراك في الوزارة،لاتضح لنا أن أبوابها مفتوحة لكل مواطن، مهما كانت منطقته، متى استطاع، عن طريق حزبه، أن يثبت أهليته ومقدرته وكفاءته..

إذن فالمطالبة بإشراك منطقة خاصة في الوزارة أمر خاطئ، من حيث المبدأ. ولو طلب البجا أن تنشأ وزارة خاصة للعناية بمنطقتهم، والأخذ بيدها، لكان ذلك أنسب لهم وأنفع.

ونعود الآن إلى المغزى الكبير الذي تنطوي عليه مطالب البجا.. إنها دليل، ليس فوقه دليل، على فشل الأحزاب السياسية في التعرف على مطالب الشعب والعمل لتحقيقها.. ولقد نادينا من هذا المنبر، في مناسبات كثيرة، بأن المصلحة العامة، والمبدأ الديمقراطي الصحيح، يقتضي أن تتنافس الأحزاب السياسية في رسم البرامج وتفصيل الخدمات التي يحتاج إليها الشعب، ثم تنفيذها متى نال الحزب ثقة الناخبين ووجد الفرصة، عن طريق الحكم، لتحقيق برامجه وأهدافه. ومما يؤسف له أن السادة، زعماء

الأحزاب، قد أغفلوا ذلك إغفالا تاما.. وانصرفوا إلى المهاترات الشخصية والمشاحنات الخاصة.. انصرفوا إلى الشعارات الفضفاضة والتهريج.. انصرفوا إلى إثارة العنصرية واستغلال العواطف.. وتفتيت وحدة الشعب.

وأخذ الشعب يدرك الآن أن مصالحه معطلة، وأن الاستقلال كلمة لا تحمل معنى عند السياسيين وأن الوزارة قد غدت، بالنسبة لقادة الأحزاب، غاية ينالون عندها الجاه، واللقب، لا وسيلة للخدمة العامة القائمة على الدراسة والفهم والوعي. وقد أفصح البجا، الآن، عن هذا الإدراك، إفصاحا تاما. وعبروا عن سخطهم تعبيرا واضحا.. وغدا سنسمع أن الفئات الشعبية الأخرى، قد سلكت طريقهم.. وقد هبت تطالب بحقوقها، متجاهلة الأحزاب التي تنتمي إليها، وتؤازرها. لأن هذه الأحزاب قد أثبتت فشلها وابتعدت عن الشعب.

لقد استمعت إبان الحركة الانتخابية في قرية تسمى (الدفندارة)، قربأم روابة، إلى أحد أهلها يتحدث إلى الصديق المهدي، رئيس حزب الأمة، فيقول له، انه وأهله يدينون بالولاء الديني لبيت المهدي. هكذا كان حالهم منذ أن هب الأمام المهدي في القرن الماضي ليحرر السودان.. وقد أهملتهم الحكومة الثنائية الاستعمارية لتكيد لهم..ثم جاءت حكومة الاتحاديين فلم تحفل بهم.. ولم يؤثر ذلك عليهم، بسبب الخصومة السياسية بين الاتحاديين وحزب الأمة.. ثم جاءت الحكومة الائتلافية، فمثل فيها حزب الأمة.. بل إن زعامتها كانت لهم.. ولكنها مع هذا كله لم تهتم بهم..ولم تقدم إليهم الخدمات التي كانوا يتطلعون إليها. فازدادت حسرتهم.. وتسرب إلى نفوسهم اليأس..

ثم أخذ الخطيب يصف حال أهله. فقال إنهم إذا أرادوا الماء سافروا عشرة أميال.. وإذا أرادوا العلم لأبنائهم اضطروا لإرسالهم مسافات شاسعة.. وإذا أرادوا العلاج لما وجدوه إلا بعد رحلة شاقة..

وكان الرجل يتحدث في بساطة وصدق.. ويفصح عما تجيش به نفوس الملايين من إخوانه، لا في غرب السودان وحده، ولكن في كل مكان من أرض الوطن، على اختلاف الميول، والقبائل، والطوائف، والأحزاب..

وهذا عندي يلزم أن يدفع الأحزاب لمراجعة موقفها ومحاسبة نفسها.. يلزم أن يصرفها إلى العمل الجاد، الصادق، في خدمة الشعب. إلى التعرف إلى مشاكله ومصاعبه ومآسيه.. وان لم تفعل أحزابنا ذلك فأن السودان سيتفتت وسيتقسم قبائل وشعوبا.. كل منها لا تعنى إلا بمشاكلها الخاصة.. وسوف تقع المسئولية، أولا وأخيرا، على الأحزاب السياسية، وعلى قادتها وزعمائها.. فلتتبصر الأحزاب موقفها قبل وقوع الكارثة.)

كانت تلك كلمة الأيام التي كتبها الأستاذ بشير محمد سعيد وهو يتحدث عن ذلك المؤتمر، يراجعه في بعض مطالبه. ولكن الأهم من ذلك أنه ينذر الأحزاب وزعماءها أنهم لم يهتموا بالمواطنين وإنما استمرءوا السلطة والجاه فعرضوا السودان للتفتت والانقسام. وأما هم فقد كانوا في شغل شاغل عن كل ذلك في صراعاتهم وكيدهم، لبعضهم البعض فانتهى بهم الأمر إلى أن سلم السيد رئيس الوزراء، عبد الله خليل، السلطة إلى العسكريين، عبود ورفاقه.. وكان واضحا أن حركة البجا في مؤتمرها الذي دعي إليه وحضره، ثم اعتذروا له عندما حاول مخاطبة تلك الجماهير

الغفيرة المجتمعة في ذلك المكان.. ثـم سـلموه تلـك التوصـيات. كـل ذلـك وغيره من المشكلات السياسية والصراعات التي كان بعضها، يستهدفه هـو شخصيا، جعله يقرر تسـليم السـلطة للعسـكريين. هـذا مـا كـان مـن أمـر الأحزاب وزعمائها بأن انتهى أمرهم بتسـليم السـلطة للعسـكريين، عبـود ورفاقه.

وأما الفريق إبراهيم عبود الـذي اسـتلم السـلطة في ذلـك الوقـت، لم يكـن يحلـم بغـير أن ينهـي خدمتـه العسـكرية ويفـتح جـراجً في الخرطـوم البحرية. ولكنه، عندما استلم السلطة اسـتمرأها وسـعى إلى الخـلاص مـن منافسيه من أمثال اللواء أحمد عبـد الوهـاب الـذي كـان مشـهورا بكفاءتـه العسكرية وجديته وشجاعته وحزمه.

وأما البجا، فأنهم كانوا ينتظرون استجابة عاجلة لتلك المطالـب الـتي تقدموا بها، ففوجئوا بذلك الانقلاب. ولكنهم ظنـوا خـيرا بـالفريق عبـود ورفاقـه، لوجـود العلاقـة بيـنهم وبينـه وبعـض رفاقـه، اللـواء أحمـد عبـد الوهاب، والأميرلاى محمد نصر عثماني، وأخيه الأمـيرلاي عثمـاني نصـر عثماني. ولكن عبود لقيهم بما لم يتوقعوه منه من التهديد. الأمر الـذي كـاد يشعل ثورة مسلحة في الشرق. ثم نقل الكثيرين مـن المسئولين مـن البجـا بعيدا عن الشرق. مما سنفصله في الفصل التالي..

ولاشك أن (مؤتمر البجا) العام، بالصورة التي قام بهـا، وبتلـك القيـادة الرشيدة، الواعية. الدكتور طه عثماني بليـة ورفاقـه الأبـرار. وبتلـك الوحـدة الشاملة، لقبائل البجا، على اختلافهم، كان عملا كبيرا، وجد ما يسـتحقه مـن

الاعتبار، والتقدير. من الحكومة التي تمثل حضورها في رئيسها السيد عبد الله وعدد من الوزراء. ومن ممثلي الأحزاب الوطنية المختلفة. ومن البرقيات التي أرسلها الزعماء الوطنيون وغيرهم، الرئيس جمال عبد الناصر، يؤيدون المؤتمر ويباركونه. ومن الصحف السودانية التي أرسلت مندوبيها، وكتبت عن المؤتمر، مما أفردنا له فصلا مستقلا في هذه الدراسة. كل ذلك كان له أطيب الأثر وأحسنه، على الذين حضروا ذلك المؤتمر، الذي كان تظاهرة حضارية كبيرة، في شرق السودان، ولما يمض على أول حكومة وطنية أكثر من أربع سنوات. ظهر خلالها أن الحكم الوطني، الذي كان ينتظره الناس في السودان على أحر من الجمر، وكانوا ينتظرون الكثير من الخير، والأنصاف، بعد أن ذاقوا الأمرين من الاستعمار، في الشرق بصفة خاصة حيث ضن عليهم المستعمر بفتح المدارس، التي كان ضنينا بها على كل السودان ولكن بقدر أكبر في شرق السودان. فلم تتعد المدارس الابتدائية، في عموم الشرق، أكثر من عشر مدارس. ولم تتعد المدارس الوسطى (الإعدادية) مدرستين فقط. إحداهما في مدينة بورتسودان. وهي، هي، مدرسة سواكن القديمة. والثانية في مدينة كسلا. وكلتاهما كانت تسمى المدرسة الأميرية. الحكم الوطني الذي كان ينتظره كل السودان بتلك الروح المتفائلة، المتوثبة لم يكن إلا خذلانا كبيرا. فانفجرت الكثير من الثورات وعلى رأسها ثورة الجنوب التي اتجهت إلى العنف المسلح. نتيجة لأخطاء من الجانبين. تضمنها التقرير الرسمي الذي أعدته الحكومة. ولكن أخفي كل ذلك. واكتفينا بأن سمينا ذلك بالتمرد، كما نسمي ممثلي (مؤتمر البجا) في الخارج، بالمتمردين..

لقد كان (مؤتمر البجا) العام تظاهرة سلمية عظيمة. نبهت البجا إلى أن يطالبوا بحقوقهم بتلك الصورة السلمية الرائعة. والتي وجدت التقدير الذي تستحقه من الجميع. الحكومة التي جاءت ممثلة في رئيسها السيد عبد الله خليل وعدد من الوزراء الذين جاءوا لحضور ذلك المؤتمر. والأحزاب التي أرسلت مندوبيها لحضوره. وأرسل زعماؤها برقيات التأييد والمباركة. والصحف التي أرسلت مندوبيها ثم كتبت عنه ما كتبت، مما أفردنا له فصلا مستقلا بذلك.. ولكن الانقلاب العسكري، الذي ساهم فيه العسكريون وغير العسكريين، لم يمهل تلك المسيرة الميمونة أن تبلغ مداها، بأن يجني البجا ثمار ذلك الجهد الكبير. الذي قاده المرحوم الدكتور طه عثماني بلية ورفاقه الأبرار. في مسيرة سلمية وضعت النقاط فوق الحروف، كما يقولون. الأمر الذي وضحه الصحفي. العريق المرحوم بشير محمد سعيد. في مقاله عن المؤتمر، وهو يتحدث عن المغزى الكبير الذي ينطوي عليه قيام مؤتمر البجا بتلك الصورة..

****

الفصل الخامس

البجا والانقلاب والطائفية

لقد كان الانقلاب مفاجأة للجميع، وبصفة خاصة، البجا الذين عقدوا مؤتمرهم ذلك، بعد أن أعدوا له ذلك الإعداد الكبير، وأخرجوه بتلك الصورة الرائعة. وقدموا توصياتهم المحددة، الواضحة. وكانوا ينتظرون لها استجابة سريعة، كما طلبوا. ففاجأهم ذلك الانقلاب.

كان الجميع، وعلى رأسهم البجا، مقتنعين بفساد وعجز الأحزاب عن حل مشكلات السودان، في ذلك الوقت. مما جعلهم يستقبلون ذلك الانقلاب بشيء من القبول والرجاء. خاصة عندما استمعوا إلى البيان الذي إذا عه الفريق إبراهيم عبود، والذي ندد فيه بفساد الأحزاب وعجزها عن الحكم الصالح. وعن توفير الأمن، والاستقرار، والقوت. حيث قال في ذلك البيان :

(كلكم يعلم ويعرف تماما ما وصلت إليه حالة البلاد من سوء، وفوضى، وعدم استقرار للفرد وللمجموعة. وقد امتدت هذه الفوضى إلى أجهزة الحكم، والمرافق العامة، بدون استثناء. كل هذا يرجع، أولا وأخيرا إلى ما تعانيه البلاد من الأزمات السياسية القائمة بين الأحزاب جميعا، كلّ

يريد الكسب لنفسه بشتى الطرق والأساليب. المشروعة منها وغير المشروعة. وباستخدام بعض الصحف والاتصالات بالسفارات الأجنبية. وكل ذلك ليس حبا في إصلاح السودان، وحفظ استقلاله وتقدمه. ولا رغبة في صالح الشعب المفتقر للقوت الضروري. ولكنه جرى شديد وراء كراسي الحكم والنفوذ، والسيطرة على موارد الدولة وإمكاناتها.

وقد طال وكثر ذلك. وقد صبرنا على تلك الحكومات الحزبية، حكومة تلو الحكومة، آملين أن تتحسن الأحوال ويسود الاستقرار، وتطمئن النفوس، وتزول الكراهية الكامنة في النفوس والقلوب. ولكن، مع الأسف الشديد، لم تزد الحالة إلا سوءا على سوء. فنفد صبر كل محب لسلامة السودان. وشكا كل فرد من تدهور الحالة، وما آلت إليه البلاد من الفوضى والفساد، حتى كادت البلاد أن تتردى في هاوية سحيقة لا يعلم مداها إلا الله.)

هذا ما قاله الفريق إبراهيم عبود في ذلك البيان، وهو يصف حالة البلاد، في ذلك الوقت، وصفا دقيقا. ويوضح عجز الأحزاب وانصرافها عن مسئولية الحكم إلى المصالح الذاتية، وإلى المناصب. حتى عرضت البلاد والعباد للضياع.. ثم أوضح أن جيش البلاد قد قام ليضع نهاية لكل ذلك، فيقول :

(ونتيجة لذلك، وهو المسلك الطبيعي، أن يقوم جيش البلاد، ورجال الأمن بإيقاف هذه الفوضى، ووضع حد نهائي لها، وإعادة الأمن والاستقرار لجميع المواطنين والنزلاء. والحمد لله. قد قام جيشكم المخلص

في هذا اليوم، السابع عشر من نوفمبر ١٩٥٨ بتنفيذ هذه الخطة السليمة المباركة، والتي، بإذن الله، ستكون نقطة تحول، من الفوضى، إلى الاستقرار. ومن الفساد، إلى النزاهة والأمانة. وإني واثق من أن كل مخلص لهذه البلد سيتقبلها بصدر رحب.)

قال ذلك، وهو يعلن عن الانقلاب الذي قاموا به في ذلك اليوم. وأوضح أن الجميع سوف يتقبلون ذلك بالترحيب.. ثم تحدث عن نواياهم الطيبة التي حدت بهم ليقوموا بذلك الانقلاب. فقال :

(إننا إذ نقوم بهذا التغيير، لا نرجو وراء ذلك نفعا ولا كسبا، كما أننا لا نضمر لأحد عداء، ولا نحمل حقدا، بل نسعى ونعمل للاستقرار وإسعاد الشعب ورفاهيته.)

قال ذلك ثم دعا الجميع أن يلتزموا الهدوء والسكينة وأن يقوموا بعملهم بإخلاص. ثم أعلن حل جميع الأحزاب السياسية ومنع التجمعات والمواكب في كل المديريات، وتعطيل الصحف. ثم ذكر في معرض حديثه عن السياسة الخارجية، بأنهم سيزيلون الجفوة المفتعلة بين السودان ومصر .

كان ذلك خلاصة ما جاء في البيان الذي إذا عه الفريق إبراهيم عبود صبيحة أل أثنين ١٧/ ١١/ ١٩٥٨، بعد خمسة أسابيع فقط من انتهاء ذلك المؤتمر، الذي كان، هو الآخر، تعبيرا عن العجز الذي ذكره الفريق عبود عن الأحزاب السودانية. فرحب بذلك البعض، وتوقعوا خيرا. وتوجس البعض الآخر وانتظروا ما تأتي به الأقدار. فكانوا أكثر حنكة وحكمة من الذين غرهم ذلك البيان الذي، ربما تولى صياغته بعض الخبراء. لأن الفريق عبود لم يكن

مشغولا بتلك الأمور، وإنما كان همه التقاعد عن الخدمة وإدارة جراجه. بل انه قد قيل، إن الفريق عبود لم يكن راغبا في شئ من ذلك. وإنما السيد رئيس الوزراء، عبد الله خليل، هو الذي ألح عليه وعلى رفاقه ليتولوا ذلك. وقد لاحظ البعض أنه قد تم التخلص من نائبه اللواء أحمد عبد الوهاب الذي كان يمثل حزب الأمة. كما تم التخلص من الأميرلاي محي الدين أحمد عبد الله الذي كان يمثل الحزب الوطني الاتحادي. فأصبح النظام يمثل طائفة واحدة هي طائفة الختمية. التي قام المؤتمر احتجاجا على سياستهم في منطقة البجا التي تدين لهم بالولاء. فتم نقل العديدين من المسئولين من البجا عن المنطقة. فقد نقل السيد حامد علي شاش، من المنطقة إلى الدامر، ثم إلى الجزيرة، ومنها إلى الجنوب. ولم يعد إلى الشرق إلا وهو حاكم على الإقليم الشرقي في أواخر عهد مايو. ونقل السيد محمد مختار مصطفي ورفاقه، صالح محمد صالح وآخرون إلى عطبرة. ولم يعودوا إلا بعد ثورة أكتوبر المجيدة. ثم ذهب وفد يمثل البجا لزيارة الفريق عبود في أركويت. فلم يجد منه ذلك الوفد غير التهديد. فقد قال لهم إن الثورة قادرة على إزاحة كل من يقف في طريقها. فأدركوا أنهم المعنيون بذلك. وأن هناك جهات بعينها، هي التي أوحت إليه بذلك. ففكر بعض من الشباب الذين حضروا ذلك اللقاء، أن يشعلوها ثورة حمراء ضده وضد نظامه. ولكن الترتيبات لم تتم لهم في ذلك الوقت. وقد توفي الدكتور طه عثماني بلية في أغسطس ١٩٦٠.

لذلك كله فأن البجا كانوا أكثر الناس معاناة من ذلك الحكم العسكري. ثم أكثرهم فرحة وسرورا بالثورة عليه وسقوطه. كما عبر عن

ذلك شاعرهم الكبير، بدري محمد الأمين، في قصيدته عن (مؤتمر البجا) والتي سوف نوردها في حينها. ولكن، هناك الكثير الذي يمكن أن يقال عن ذلك النظام العسكري، بقيادة الفريق إبراهيم عبود، الذي لم يجد ما يستحقه من النقد والتحليل، في كثير من نواحيه، بصفة عامة، وفي علاقته بالبجا بصفة خاصة. لمعرفة مقدار ما أصابهم منه. وهو موضوعنا في هذا الفصل.

المعروف والمشهور أن السيد عبد الله خليل رئيس الوزراء هو الذي قام بتسليم السلطة إلى الفريق إبراهيم عبود ورفاقه. ولكن الأستاذ عبد الرحمن مختار، في كتابه (خريف الفرح)، في الصفحات (١٥٥-١٥٩) يوضح أن السيدين الجليلين، السيد علي، والسيد عبد الرحمن. كانا على علم وموافقة على ذلك. مما يضيف بعدا جديدا لهذا الأمر. وهذا البعد هو، أن هناك أسبابا أخرى كثيرة، وراء ذلك الإنقلاب. ينم عنها البيان المفصل الذي قدمه الفريق عبود. وقلنا انه لم يكن معنيا بكل ذلك. وأن ذلك البيان صاغته جهات أخرى غيره. ويمكن أن نقول إن هذه الجهات الأخرى لها علاقة وثيقة بالزعيمين، كليهما، أو بأحدهما. ويمكن أن نقول إن الفريق إبراهيم عبود من طائفة الختمية. ولعله لم يوافق على القيام بذلك الانقلاب إلا بعد موافقة زعيم تلك الطائفة. وهو بذلك صمام الأمان والضمان لتلك الطائفة.

فما هو صمام الأمان والضمان للطائفة الأخرى ؟ صمام الأمان والضمان للطائفة الأخرى كان نائبه اللواء أحمد عبد الوهاب الذي تمت إقالته عندما قام كل من الأميرلاي شنان والأميرلاي محي الدين أحمد عبد

الله بمحاولة الانقلاب. ثم اشترطا دخولهما المجلس العسكري كعضوين.. فاعترض اللواء أحمد عبد الوهاب على ذلك وطالب بمحاكمتهما. لأن في الاستجابة لطلبهما إخلالا بالانضباط العسكري. فطالبا بإقالته.

ولكن الفريق عبود كان يخشى إلا يوافق السيد عبد الرحمن على ذلك...

هاهو، الأميرلاي محي الدين أحمد عبد الله، يحكي ذلك، في كتابه : (للتاريخ ومن أجل التأريخ) الصفحات (٣٧-٣٨) فيقول، تحت عنوان (اجتماع ضباط الشرقية والشمالية على إخراج اللواء أحمد عبد الوهاب من المجلس، ومن الجيش) يقول :

(كنت ولا زلت أعتبر اللواء أحمد عبد الوهاب صديقا لي منذ أن عرفته ونحن تلاميذ بالابتدائي ببربر، لم يجرح شعوري ولم أجرح شعوره. وكان، والله، في عسكر يته، مثاليا. لكنه كان سريع الغضب، مما جعل أغلب الضباط لا يحبون المعاملة معه. وهذا هو سبب طلب الضباط إخراجه. وقد دافعت عنه بشدة لكنهم تغلبوا علي. فتقدمنا، وأنا غير راض بطلب المجلس الجديد لإقراره. لكن الفريق عبود كان يخشى إلا يقبل السيد عبد الرحمن ذلك.) ثم يقول متابعا حديثه، تحت عنوان :

(ما أعظمك يا مولانا السيد عبد الرحمن) :

(جاءني علي غير انتظار الأميرلاي وقتي الطاهر عبد الرحمن المقبول وكذلك شنان. وقال إن مولانا السيد عبد الرحمن المهدي يريد مقابلتنا لأمر هام، في الساعة السابعة مساء اليوم. فاستجبنا وذهبنا لرؤية المهدي في

الموعد المحدد. فوجدناه يجلس على كرسي وفي مواجهته كرسيان خاليان. وكان يقف خلفه ابنه السيد الصديق. وقد حضر معنا الأميرلاي وقتي الطاهر عبد الرحمن. وبعد أن سلمنا عليه، طلب منا الجلوس فجلسنا. فقال، بالحرف الواحد، " أما أنت يا ابني محي الدين فأني أعرفك. وقد كان والدك أحمد صديقا لي. وكان جدك، عبد الله ود سعد، من أول عشرة بايعوا الأمام المهدي، قبل أبا، وعملوا معه، وله. أما أنت

يا ابني شنان فلم أتشرف بمعرفتك قبل الآن. ثم قال : يا أبنائي أريدكما أن تبايعاني علي شئ... وسكت. وكانت الفكرة السائدة أن السيد عبد الرحمن كان يريد أن يكون ملكا على السودان، ولكنها دعاية كاذبة. فقلت له :

(على أي شئ تريد أن نبايعك يا مولاي ؟) قال : (تبايعاني على أن تحافظا على استقلال السودان وصيانة ذلك بكل ما أوتيتما من قوة ومنعة وإخلاص وحب للوطن.) وانحدرت دمعة من عينيه. وقد قال قوله هذا ويشعر الإنسان أنه من داخل جوفه، وبكل إخلاص وأمانة. فوقفت وتقدمت إليه وقبلت يده ظاهرها وباطنها وقلت له : " بايعتك يا عظيم ويا ابن العظيم حتى لو اقتضى ذلك حياتي." فهلل فرحا بأن قال بصوت عال: " الله أكبر ولله الحمد." وقام شنان وبايعه. هنا التفت السيد الجليل إلى ابنه العظيم السيد الصديق وقال له : " قل لعبود أنا لا نمانع من إخراج أحمد عبد الوهاب طالما الضباط لا يريدونه.)

هذا ما رواه الأميرلاي محي الدين أحمد عبد الله عن إخراج اللواء أحمد عبد الوهاب من المجلس ومن الجيش والنظام. وواضح من عبارات السيد عبد

الرحمن وطلبه منهما أنه كان يتخوف من التفريط في استقلال السودان. ولكنه عندما اطمأن على ذلك، وافق على خروج اللواء أحمد عبد الوهاب من المجلس ومن النظام. حسب رغبة الضباط، كما ذكر. ثم تمت تصفية محي الدين واعتقاله وسوء المعاملة التي تعرض لها في المعتقل مما يرويه، في نفس الكتاب..

وأما الأستاذ محمد أحمد محجوب فيذكر في كتابه (الديمقراطية في الميزان) في الصفحة (١٨٥) فيقول عن الفريق إبراهيم عبود :

(ولكنه، عندما ذاق السلطة، تمكن من الاحتفاظ بمنصبه عن طريق الإيقاع بين الضباط..)

هذه بعض مما حدث في ذلك الوقت مما يستحق الوقوف عنده لتقويم ذلك النظام. وقد ذكر لي الأميرلاي عثماني نصر عثماني، عندما لقيته في اسمرا في سنة ١٩٩٤ وسألته عن موضوع تسليم السلطة وعن حالهم فيها. فقال لي انهم منذ أحداث الجنوب في العام ١٩٥٥ وشعورهم بضعف وعجز الحكومات في ذلك الوقت. كانت تراودهم فكرة الاستيلاء على السلطة. وقال انهم كانوا يعيشون في صراعات مستمرة. حتى أنهم عندما قامت ثورة أكتوبر، كانوا في شغلْ عنها. والصراعات التي كان يتحدث عنها كانت بين أنصار اللواء حسن بشير، من جانب، وبين أنصار اللواء طلعت فريد من الجانب الآخر. وذلك للمنافسة بين اللواءين على خلافة عبود، بعد إقالة اللواء أحمد عبد الوهاب، بالصورة التي ذكرنا.

وأما ما قيل عن إزالة الجفوة المفتعلة بين السودان ومصر، كانت المحادثات بين الطرفين في موضوعين. اتفاقية مياه النيل، ومطالبة السودان بالمزيد على الحصة التي تقررت له في الاتفاقية التي تمت بين بريطانيا ومصر

والتي كانت مجحفة في حق السودان. إذ كان نصيب مصر ٤٨ مليارا ونصيب السودان ١٨ مليارا. وتهجير أهالي حلفا، لقيام السد العالي، وتسكينهم في مكان آخر في السودان. وكان ذلك يقتضي تعويضا مناسبا. وكان التعويض الذي طلبه المفاوضون السودانيون (٣٥) مليونا من الجنيهات، فرضي، مزيلو الجفوة المفتعلة بـ (٥، ١٨) مليار من الأمتار المكعبة في موضوع مياه النيل. وقبلوا بـ (١٥) مليونا لتهجير وتوطين أهالي حلفا. في حين أن التكلفة الفعلية بلغت (٦٠) مليونا من الجنيهات ثم رحّلوا أهل حلفا، قسرا، إلى منطقة خشم انعربة، التي كان أهل حلفا يرفضونها بشدة. إلى جانب رفضهم للترحيل. وكان معروفا أن ذلك المشروع، مشروع خشم القربة، كان مقررا تنفيذه، منذ العام (١٩٥٠) ليكون مكان استقرار للبجا، عندما حصدتهم مجاعة سنة (١٩٤٨).. فلم يعط للبجا من المشروع إلا أقل القليل. وقد جاء ذلك ضمن التوصيات التي تقدم بها البجا في مؤتمرهم العام ١٩٥٨، التوصية الخامسة التي تقول :

٥- تنفيذ مشروع خشم القربة الزراعي. ومياه لري الأراضي الزراعية عن طريق السدود والآبار الارتوازية.

وعندما تقرر نقل رفات الأمير عثماني دقنة، أمير الشرق، أو(الأمير) كما يسميه البجا. لنفس السبب، تهجير أهالي حلفا، كان الواجب نقله إلى سواكن. مدينته التي أحبها كثيرا. والتي نفاه عنها الاستعمار والتي حاصرها وكاد يستلمها، بعد انتصاره الساحق في (التيب) على الجيوش التركية المصرية. لولا تدخل الإنجليز في ذلك الوقت بصورة مباشرة. فأرسلوا قائدهم جراهام بجيوش بريطانية، فكانت الحرب سجالا بينهما. بالرغم من

أن الإنجليز استعملوا في تلك الحروب أسلحة حديثة فتاكة كانت محرمة في ذلك الوقت. فلم ينقل رفات (الأمير) إلى مدينة سواكن. ولم ينقل إلى مدينة بورتسودان، عاصمة الشرق الذي قاده (الأمير) وهي كانت الأولى، لذلك، بعد سواكن، وربما، قبلها، لمكانتها وأهميتها اليوم. ولم يدفن في سنكات، المدينة التي فتحها عنوة واستولى عليها. وهي أيضا مدينة عامرة يؤمها الناس. ولكنهم دفنوه على رأس تل في أركويت ؟؟!

مما يدل دلالة واضحة أن حكومة عبود كانت تمثل طائفة واحدة.. ولقد تجلى ذلك في اختيار أعضاء المجالس المركزية التي أنشأووها.. ثم في(مذكرة كرام المواطنين) التي تزعمها الشيخ علي عبد الرحمن، رئيس حزب (الشعب الديمقراطي) وغير ذلك... بالرغم من أن الكثيرين، من الكتاب يعتقدون أنها لم تكن تمثل طائفة واحدة. ربما، لأنهم كانوا يدركون أنهم يحكمون السودان. هذا القطر المشترك بين جميع السودانيين ولم يكونوا من الغفلة، مهما قيل عن أخطائهم السياسية، بحيث يعزلون غيرهم من الطوائف والأفراد. عن الخدمة العامة بكل مرافقها، ومهما تكن كفاءاتهم وخبراتهم ومقدراتهم. الأمر الذي مارسه من جاء بعدهم، ممن استولوا على السلطة في السودان، فنسوا أن السودان وطن مشترك لا يمكن لجهة واحدة، أو طائفة واحدة أن تعزل غيرها.. لم يفعلوا ذلك، حقيقة.

ولعلّ من أكبر الأخطاء السياسية التي ارتكبها نظام عبود، هو محاولة حل مشكلة الجنوب، وغيرها من المشكلات، بالعنف...

وقد أوضحنا، أن الفريق عبود هدد البجا، عندما زاروه في أركويت، ولقد ذكر أن السبب المباشر لتلك الزيارة هو محاولتهم لأن يعيد الفريق

عبود النظر في قراره بإيقاف صندوق البجا الذي قرر إيقافه. والصندوق كان من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها أبناء البجا، الفقراء، في تعليمهم في المراحل التعليمية المختلفة. وقد تخرج الكثيرون منهم من هذه المراحل وكان صندوق البجا يتولى دفع مصروفاتهم المدرسية وغيرها، وقد تأسس هذا الصندوق في العام ١٩٢٠.

وممن شاركوا في تأسيسه الأستاذ سعيد القدال، الشريف المليك وغيرهما من الحادبين على التعليم في الشرق. وكان مركزه في سنكات. ولو صح ذلك، أن الفريق عبود أمر بإيقافه، كما يذكر البعض ، يكون ذلك إعلان حرب على البجا في أخطر الميادين.. ولقد لقي الفريق عبود ذلك الوفد بالتهديد مما كاد يشعلها ثورة حمراء، الأمر الذي اتجه إليه البعض. ولكن البجا، بالرغم من الحروب الكثيرة التي عرفوا بها، عبر تاريخهم الطويل منذ القدم. وبروح القتال الذي اشتهروا به في قتالهم ضد الإنجليز، فأنهم يكرهون الحرب ويسمونها بلغتهم (أوماق) السوء. ولعلها نفس ما تعنيه كلمة (الحرب) العربية. ويحبون السلام، كغيرهم من السودانيين في الجنوب والشمال والغرب والوسط . ولكنهم، في نفس الوقت، يأبون الضيم والظلم الذي تمارسه عليهم بعض الحكومات التي تعتد بقوتها العسكرية، فتظلم الناس ظلما بينا. فتأخذ البريء بذنب المذنب. أو كما فعل نظام عبود في الجنوب، بأن اتجه إلى قتل الأخوة الجنوبيين قتلاً ذريعاً، البريء والمذنب على السواء. فكانت تلك قاصمة الظهر، التي أشعلت ثورة أكتوبر المجيدة التي أودت بذلك النظام ..

****



السيد محمد مختار مصطفي المدير الأسبق لميناء بورتسودان (١٩٦٨- ١٩٧٥). ورفيق الدكتور طه بلية، في قيادة البجا ومؤتمر البجا. والذي نقله الفريق عبود، هو وزملاءه، صالح محمد صالح، وحسين إدريس، وهاشم الليثي، إلى عطبرة....

الفصل السادس

حزب : مؤتمر البجا

كانت ثورة أكتوبر ثورة كل الشعب السوداني في كل مناطقه. وثورة كل فئاته المختلفة.. ولكن معاناة أهل الشرق، مع تلك الحكومة العسكرية بدأت منذ البداية، واستمرت طيلة الست سنوات التي حكمها ذلك النظام.

وقد حاولت توضيح ذلك، في الفصل السابق، في صور مختلفة. منها نقل المسئولين من أبناء البجا إلى مناطق أخرى. ومنها المقابلة السيئة التي قابل بها الفريق عبود الوفد الذي زاره في أركويت. ومنها تحويل مشروع خشم القربة إلى غيرهم. ومنها دفن رفات (الأمير) في أركويت.. ولم يكونوا سعداء بخروج اللواء أحمد عبد الوهاب من السلطة، للعلاقة بينهم وبينه. وأنه هو الذي تحمل رسوم القطعة التي بني عليها نادي البجا. هذا، وقد كانوا يدركون تميزه في مجاله. وأنه عاش بين ظهرانيهم وعرفوا الكثير من أياديه البيضاء..

لكل ذلك كانت فرحة البجا بتلك الثورة كبيرة، كبيرة. وأنهم لم ينسوا مؤتمرهم السابق الذي، قضت عليه تلك الحكومة العسكرية، حسب تعبير شاعرهم. ففكروا في إعادته مرة أخرى. فاجتمعوا في مكان عام، في

شارع عريض بحي ديم العرب، في مدينة بورتسودان. كان الحضور كبيرا. وكان يمثل الكثير من قبائلهم ومثقفيهم. فقرروا في ذلك الاجتماع، أن يكّونوا حزب (مؤتمر البجا) السياسي. ويخوضوا الانتخابات باسمه. فأخذوا يعدون لذلك عدته بأن عقدوا اجتماعات قرروا فيها تكوين المكتب السياسي ممثلا للقبائل المختلفة. ثم تم اختيار السكرتارية المسئولة، بقيادة الأستاذ أبوموسى علي، السكرتير العام. وعضوية من اختاروهم من مثقفيهم الموجودين في مدينة بورتسودان ممن أنسوا فيهم الكفاءة والاستعداد. وكان مركز العمل هو(نادي البجا)، ولكن اجتماعات السكرتارية كانت تعقد في البيوت وفي بعض الأندية القبلية. وكذلك اجتماعات المكتب السياسي..

انتظم العمل بهذه الصورة، في مدينة بورتسودان، المركز العام للمؤتمر. ومن هناك أرسلت الخطابات والنشرات والمناديب إلى الجهات المختلفة، مدن وقرى شرق السودان والعاصمة القومية. فقام الناس في كل مكان، وبنفس القدر من الحماس والنشاط. فتكونت اللجان وأرسلت المندوبين يحملون الأخبار والمساهمات ويعودون وهم يحملون المزيد من أخبار المركز وتوجيهاته.

إن الإنسان ليجد صعوبة كبيرة في وصف حركة المؤتمر، في ذلك الوقت، بالرغم من مشاركته فيها، منذ البداية، منذ الاجتماع الأول. ذلك لأن الحركة كانت أشبه بثورة أكتوبر التي اشتعلت في كل مكان في السودان وكان لها شهداء في كثير من المدن. فقد اشتعل مؤتمر البجا في كل أنحاء

الشرق. وفي العاصمة القومية. حيث كنا طلابا في الجامعة والمعاهد العليا. وكنا نساهم بكل بما قدرنا عليه. وكان بعضنا يكتب المقالات في الصحف وكانت صحف حزب الأمة مفتوحة لهم بصفة خاصة. كما أن حزب الأمة وجه أنصاره بتأييد حزب المؤتمر وبالعمل فيه، منذ البداية.

لقد اشتهر البعض في قيادة المؤتمر، بالحكمة والدراية وبالخطابة وبقول الشعر. نذكر منهم الشيخ حمد عادلي في مجال الحكمة والدراية. وبشير سن بابا وموسى تولناب في مجال الخطابة. والشاعر الكبير بدري أحمد الأمين الذي كان شعره، الذي كان يلقيه، هو روح ذلك المؤتمر. وقد حفظ العديدون شعره هذا. وكان البعض يلقيه في غيابه. وكان هناك غيره من الشعراء. ولكنه كان أشعرهم. ويحسن بنا أن نورد نموذجا من شعره وهو يدعوا الناس إلى الالتفاف حول المؤتمر ويحرضهم على التمسك بحقوقهم. والسعي لنيلها، مهما تكن العقبات ووسيلته إلى ذلك، أن يذكرهم بما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من صفات الشجاعة والكرم والنجدة وآباء الضيم. يقول :

Y?eetiithoon hinin t?iitinda naatka hoosoon ?iyaynhoob
Haalooni naajhaliib neefi naantay ?eeyhoon ?imirkwaay
Fagiiri y?ayeen ?aabkaabhan ?ign?a ?eefeen nariitiib.
?ookfir haarabiin ?aanda saabi ?asloon ?ikatyeek.
Baabaan hinin haay ?eeyaan maagnaay biimtarriimneek.
T?iibriini ?aakna mikraa tak bahiiw had?aayyeet
Baraa ?iishagwiin baakaay hineet bi?arradayneeb.
Masi naaw jarrabaab baakaay ?eendi reewii tawaayiin
Doorka jhaatii hijuum ?iikwsiin haayy?iin tiganaayim.
?Akranda tamiin girbaab naatka hiisiin ?inifsoo.
Yaaywa hakwsayt shamat tiibriina Y?eeba ?iitarna ?idarboo.
?itarmuuma baree ?arwaab gooya tak biingwasiirneeb.

?Oorya ?iibriin y?asuul ?iiktiinna ?arhamiin ?imsaakin.
Taktak saa?adiin ?iishtamna. t?arwa Faaysiin gadiisiin ?
?ishawaw ?aamaliin daayiib ?imshiwna t?imiirni.
Sagi mishwaar tigaat sinka ?akra darbiit tiluulay.
?oobri hadaat saraat ?iiymiib teekruum ?oowyaay Galalwa.
Shanha dastuur ?anuub ?oodaay nab?a dooreet ?amooy?ooy.
Ttiyaweewwa Tilhanay thargwi labasooyt biidiwayneet.
Naatiidhaaka ?isthimaal ?iibriin ?it?abiib baagaraaray
Gwibbaa tisam?a ?eebsiin midhan haasii ?imiirhan.
?eefaal ?imrhisiib Kiidiin thakwsay ka?areeyaan .
Tthasyaay ?it?asaay baalhay tiiktiitka sayittiit.
Tooyat baarakwi gidfiin ?iidriiwwa ?imiidriin .
Tinaateesoo toon?i shuumiin Baasbaar baahagiilaab .
?oot?a ?oowaak dawil mhiinii ?ookwsha ?ibiihagiilni.
Y?awi tirsaasiyaay shaabhiin yhiriwni mhiinka thasiineeb.
Yashi shookiin finaat ?Aheetiit ?imbadda? iwookanaayee.
Tifaarsiyaaywa thiila ?iibriin ?iktiinna ?oofnaayt basaayir
Da sooroon lawaab ?akayee ?iibriin tishajaa?a.
Hinin ?uujiil wharii lawna niki haayee Bahaayiit.

عندما يأتينا بشر مثلنا ويأخذون منا كل شيء.

ما لنا ؟ أي جهل أصابنا ؟ من أين جاءنا هذا الجبن ؟؟

أدعا صالحون علينا، فغلت أيدينا، أم أن القلوب في سبات عميق ؟؟

أما أصولنا فهم أولئك الأصحاب الذين كانوا يحاربون الكفار

وآباؤنا، الذين ولدونا نحن، لم يكونوا يصبرون على الضيم .

كانوا يتحكمون في أمورهم وفيما يملكون. لم يكن غيرهم يحكمهم.

كانوا هم المعتدين، ولم يكن غيرهم يعتدي عليهم.

لم يفقروا قط. لأنهم كانوا ينهبون أموال الآخرين، الرجال الأشداء.

كانوا يهجمون على مختلف الجهات، فيأتون بالغنائم والأسلاب.

كانوا يأخذون أموال الأقوياء الغرباء المعتدّين بنفوسهم.

وكانوا يحذرون كل ما من شأنه اللوم أو المؤاخذة بل كل معيب.
كانوا يحلمون حين الحلم. ولم يكونوا يحاربون الضعيف وان اعتدي.
كانوا ذوي مروءة ونجدة، يعرفون الأصول ويرحمون المساكين .
كانوا يساعدون بعضهم بعضا وينصرونهم ويكرمونهم على أحسن الوجوه.
كانوا يحسنون معاملة الجار كل الإحسان ويشركونه فيما يملكون.
كانت أسفارهم بعيدة وأحمالهم ثقيلة ودروبهم وعرة وخطيرة.
كانوا يتعرضون للأمطارالغزيرة المفاجئة ويخرجون الماء في سحر الشتاء.
كانوا يعملون عملا متواصلا دون استراحة ويسعون في الهجير الهاجر.
كانوا يحتملون العطش والمرض والجوع ثم السهر المتواصل من غير نوم.
كانوا يتحملون كل الصعاب لا يصيبهم من ذلك سأم أو كلل.
ولم ينكروا جرما ارتكبوه، فذلك معيب. ولو كان في ذلك حياتهم.
لم يكونوا يستبدلون الذي هو أدنى وكانوا يكرهون سوء الأحدوثة.
لا يدعون من يعتدي عليهم ويؤذيهم مهما تكن قوته أو يكن خطره .
لم يكونوا يهابون الموت وأخطاره فيقتلون ويقتلون .
يحملون بأسلحتهم البيضاء على السلاح الناري لا يفرون بل يصيبون الهدف.
يضربون ويطعنون من قريب ولا يخطئون حين يرمون بالحراب .
وكانوا يرمون بالحجارة ولا يخطئون المرمى كأنما هي الرصاص.
يطاردون الأعداء بالحراب وبالسيوف البتارة .
كانوا فرسانا مقتدرين يعرفون كل فنون الحرب.

لقد ظهر قبلنا رجال أقوياء أشداء يملكون القدر الوافر من الشجاعة .
ولكننا نحن، هذا الجيل الذي ظهر من بعدهم، أصبح وجودنا وعدمنا
سواء..

كانت هذه القصيدة هي المقطع الأخير من قصيدته الطويلة التي كان يلقيها ويسـ ناس في تلك التجمعات. فكانت تعمل فيهم عمل السحر. وقد حفظها الكثيرون عن ظهر قلب، رغم طولها، فكان البعض يلقيها نيابة عنه إذا غاب لأي سبب من الأسباب. فكان شاعر المؤتمر بلا منازع. وكان هناك غيره من الشعراء المجيدين، في المناطق المختلفة.

بل إن ذلك الحدث حرك الكثيرين من الشعراء فقالوا الكثير من الشعر السياسي الجيد الذي يرويه الرواة. ولكن الشاعر بدري أحمد الأمين، كان شاعر المؤتمر. فقال قصيدة بعد الفوز سميت (قصيدة المؤتمر) شرح فيها كل خطوات المؤتمر، سوف نوردها في موضعها، في الفصل القادم، ولكن لابد من الحديث عن هذا الشاعر العصامي الذي كان يحمل الكثير من هموم البجا. وكان يتابع أخبارهم ويعرف الكثير عنهم وعن قبائلهم ورواياتهم المختلفة. فكان من أهم المصادر المعتمدة في كل ذلك. جاء من الخلاء إلى مدينة بورتسودان في الثلاثينيات من القرن الماضي. وأخذ يعلم نفسه بمختلف الوسائل. منها ملازمته لحلقة الشيخ أبوطاهر السواكني في المسجد الكبير. فتعلم منه الكثير في الفقه وفي اللغة العربية التي أجادها. ثم تعلم اللغة الإنجليزية بملازمته للطلاب. فأجادها، هي الأخرى. فكانت ثقافته واسعة واسعة. مما انعكس في شعره هذا الذي كان يلقيه في تجمعات المؤتمر وفي غيره، من الشعر السياسي وغير السياسي. وقد رويت عنه

الكثير من الروايات في كتاب (من التراث الشعبي للبجا) ثم في كتاب (من تاريخ البجا) الكتاب الأول.

لقد كان للشعر البجاوي دوره الكبير في تلك الحركة التي عمت الشرق. وامتدت إلى العاصمة القومية حيثً الكثيرون من البجا في المجالات المختلفة. طلاب في الجامعات والمعاهد العليا. وموظفون وغيرهم ممن كانوا يوالون اجتماعاتهم ويكتبون المقالات والبيانات في تأييد المؤتمر. وكان الإحساس العام عند الكثيرين هو أنه، لابد من نجاح تلك الحركة ولابد أن تحقق الغرض منها. وكان المسئولون في المركز العام يسترشدون بما كان يقوم به من هم في العاصمة القومية من الطلاب وغيرهم. وكان ذلك يشد من أزرهم ويقوي هممهم.

ثم جاءت مرحلة الترشيح لتلك الانتخابات. فكانت تلك، من العقبات التي واجهت القيادة. ولكنها تمكنت من تجاوزها بالحكمة والسعة. وقد أعانهم على ذلك، أن حزب الأمة قد وجه أنصاره بأن يقفوا مع مؤتمر البجا. أكثر من ذلك، فأنه قد وجه مرشحيه في بعض الدوائر، أن يرشحوا باسم المؤتمر بدلا من اسم الحزب. مما سهل على القيادة الأمر. فتم ترشيح لآتية أسماؤهم في دوائر الشرق المختلفة :

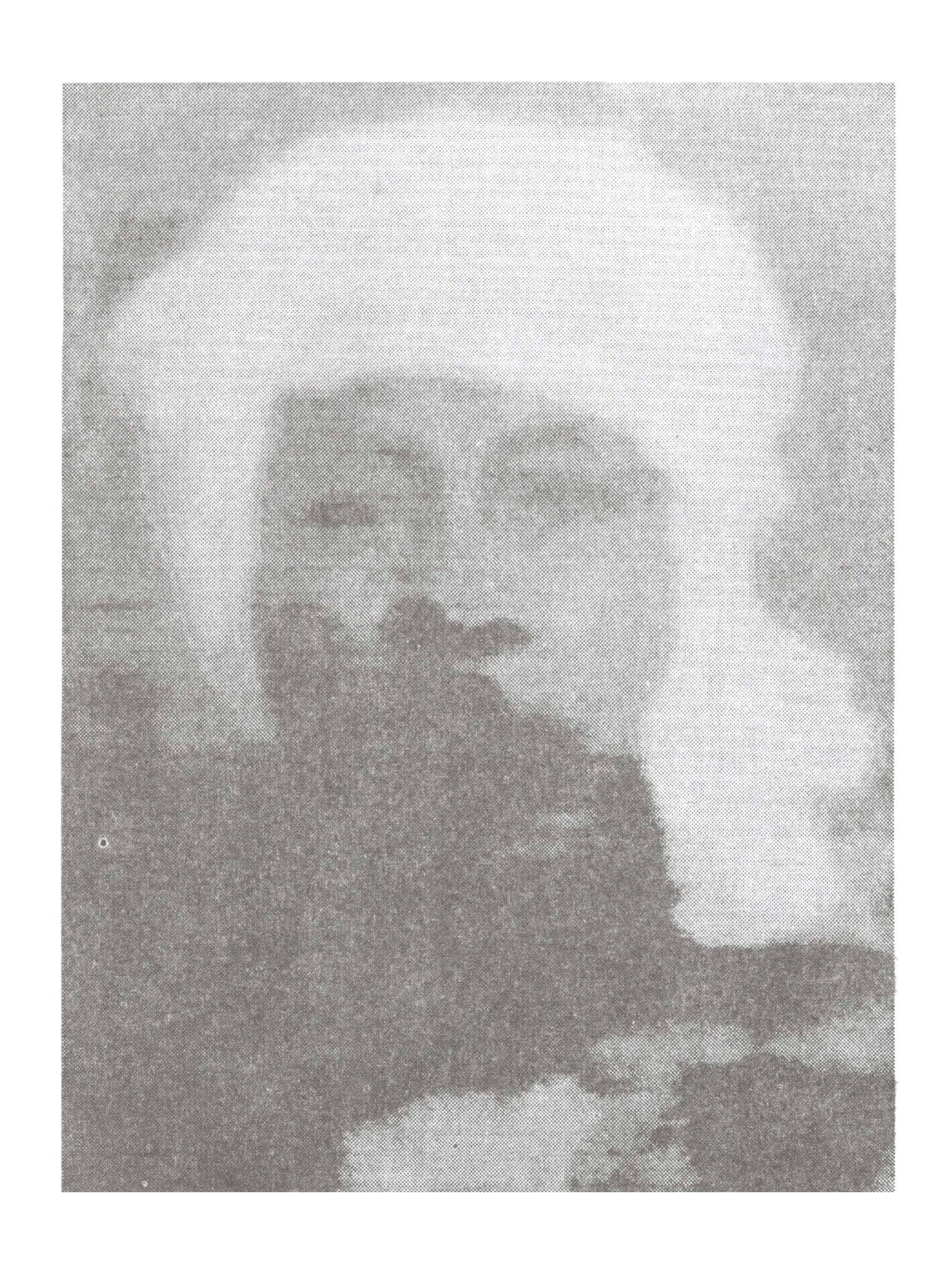
السيد هاشم بامكار في الدائرة الغربية بورتسودان. الأستاذ محمد كرار كجر في دائرة ريفي الأمارأر والبشاريين. السيد أونور محمد بشير في دائرة طوكر. السيد محمد عثماني حاج تيتة في دائرة حلايب. السيد كباشي عيسى عبد الله في دائرة سنكات. السيد محمد نور محمد الأمين ترك في دائرة تهاميم هيا درديب. السيد محمد الأمين محمد طاهر باكاش في دائرة وسط

القاش. السيد محمد الأمين محمد محمد الأمين ترك في دائرة أروما. السيد أوشيك أوهاج في دائرة شمال القاش. الأستاذ عبد القادر أوكير في المنطقة الجنوبية. وقد ترشح السيد أحمد محمد أحمد عواض في دائرة ريفي كسلا باسم حزب الشعب الديمقراطي، وعندما قاطع حزبه الانتخابات. انضم إلى المؤتمر. ففاز هؤلاء جميعهم في دوائرهم. وقد أعلن ذلك، كما هي العادة، بواسطة الإذاعة. مما كان له أجمل الوقع على النفوس فكانت الفرحة غامرة. ولاشك أن مقاطعة حزب الشعب الديمقراطي لتلك الانتخابات، كان له أثره الإيجابي في ذلك الفوز. ولكن قيام مؤتمر البجا، بتلك الصورة، كان من ضمن الأسباب التي جعلت حزب الشعب الديمقراطي يقاطع تلك الانتخابات. لأن الكثير من دوائر الشرق، في منطقة البحر الأحمر، هي من الدوائر التابعة له. وهي، مما كان يسمى الدوائر المقفولة لذلك الحزب.

بذلك الفوز الكبير، مهما تكن الأسباب، بدأت مرحلة جديدة، في تلك التجربة التي خاضها أبناء البجا بكل الحماس وبذلوا فيها الكثير من الوقت والمال والجهد. مما سنفصله في الفصل الأخير، الفصل السابع مستعينين بقصيدة الشاعر بدري أحمد الأمين في تلك المناسبة، الفوز، والتي سماها (قصيدة المؤتمر) التي وصف فيها تلك التجربة وصفا حيا ختمه بذلكالفوز. وقال إن ذلك وحده كاف إذا لم تأت فوائد أخرى .

وكان كأنما كان يتوقع الكثير الذي حدث بعد، مما اعتبره الكثيرون، من الأمور التي لم تكن متوقعة.

****



المناضل الكبير المرحوم محمد آدم موسى من مؤسسي نادي البجا ومؤتمر البجا وكان مرشح مؤتمر البجا في الانتخابات الأخيرة ١٩٨٦. كاد يفوز لولا إعلان اليسار بأنه مرشح القوى التقدمية مما أثر سلبا على فوزه

الفصـــل الســابع

الفوز وما بعد الفوز

لقد فاز (مؤتمر البجا) بأحد عشر من النواب، في تلك الانتخابـات. الأولى، بعد ثورة أكتوبر المجيدة. ففرح بذلك الفوز كل الشرق تقريبا. البجا والمتعـاطفون معهـم في قضـيتهم. وشـعروا بـأنهم، ولأول مـرة يشـاركون مشاركة حقيقية في الانتخابات. وذلك باختيار نوابهم الذين يمثلـونهم. ثـم يفوز هؤلاء النواب باسم، مؤتمر البجا. وليس باسم غيره، مفروض علـيهم لا ناقة لهم فيـه ولا جمـل. فتقـاطروا إلى المركـز العـام بمدينـة بورتسـودان، مباركين ومهنئين القيادة ومهنئين بعضهم البعض. فاسـتقبلهم شـاعر هـم، بدري أحمد الأمين، بقصيدة جديدة، غير تلك القصائد التي كان يلـهب بهـا مشاعرهـم في المرحلة الماضية التي تتوجت بذلك الفوز الكبير. وفي قصـيدته الجديدة هذه، يجمل لهم التجربة منذ البداية إلى مرحلة الفوز. ويقول لهم إن ذلك الفوز، وحـده، كـاف. وهـو بـذلك كأنمـا ينـذرهم بمـا هـو آت بعـد. فيخشى عليهم من أن يصيبهم الإحباط. يقول في هذه القصيدة وهي باسم (قصيدة المؤتمر) يقول :

Blayyaa?oor haay ?eeyaneet tifikra ?abbuud hoon ?ilikkeet
Kissan hooy lhanayt baryee baakaan sakniyeena
Waahid w?ishriin ?iktoober thurriyaay ltaneetay

Hammmaa ?ifaraj ?eeyaan whaaliib ?eet fir?aayaan
Yiinaat mishaawaraat daata kak saknay miyaadiib
?oofnaayka ?im?isig nisayisaayt whabir tisiyaasa
?ibyeen mu?tamar d?iitiit yhizba baaraam yharaayr?i
Whaggoon ?ifamii nhirweena nigsid ?oomkir dibisna
Gaalhoob ?ittifaag daaya ?ign?a imookakaanniit
Baldiibka ?ijtim?a guudyaan lajnaat kawwanamyaan
?Afrhaa mhallagaab geedyaan ?inaadi daayaan ?idooroo
Shanha ?ibriin riba ?iifiin baabariin baahasirsay
?Aarawhan ?idastuurii baafiinay shagaamiin
?inaadi tilambatee tuuyin ?eetyhoob ?idiirnaa
?imikrafoon tileelaateeb ?oodhay ?angwileesyaa
?italafoona whawaad ?imb?i taajha kistaa hadiidiin
Timhattaateeb ?uusim ?iktab ?itambileeb t?ajalaateeb
Yaaftaat ?idikkwaneeb daayaan nashraat ?ashrifamyaan
Wafda ?iifiin darab ?abka ?eeraw ?iibiin digistay
Y?iini mhiinka gaabaliin daayiib ?iikrifna ?isikkaay
Tambil ?oomamaa ?iittab yhari raabaaba ?ikooree
?igaariiga teena yaksaa fafariin hooy firhaateeb
Tarootraab baabariint hadri wari w?agyaay gabiineet
Haayfaaysiin barar gadyee y?iini mhiinka andiwaasiint
Biishraaytak fishaasht ?imrii miskiin ?arzigamya
Moosim tambili daayaa baabir daayagamyaan
Harakaat dabaloot daata naat ?oodhay tisoogimt
Gaal tirgiib hizib lawyaayt ?iyyhanhoob ikraasyee
?oowwoor ?igayii ?ifreeb taadwal ?ajjabisyaan
Thikuuma ribatamtaa y?ashi ?aaraw gadabyaan
Tiniyyaatee rhisyaanhoon saatooyt hoon ?igidna
Shiyuu?iiba ?ashoob diiniiba ?eejnuub ?ingwasiirna
?imhiiniisoo kwishshaana suur biibaayna ?idiinhoon
?imikroon kit?aa fikkaabaayt baasnaakiir ?ibhalyee
Daayi kaab ?ishanoon nishbib har?i doorka nimeehwaay
Nii?ish bindiyeetoona tinaatoon ?ikanhoob
Gayii tikalaf ?eeyaan ?iwdeenhoon yhigoogeen
Hamooysaab dabaloob nimri suur baahiit sanaayi
Waajboon ?atikik kaadi lawtaat wingw?adeetiit
?it?aboon baa?akwaya ?isari thasar baanadiima
?eetaaythoon gwidaat faayda weena hooy bitmiraayhan.

تلك الفكرة التي جاءنا بها ابن بلية، والتي خربها علينا عبود
كنا متألمين لذلك، ولم نكن ندري ما نفعله
عندما قامت ثورة أكتوبر وأُعلنت الحرية
ففرج همنا بعد أن تملكنا الهم واليأس وارتاحت النفوس
فأخذنا نتشاور بيننا أياما في أمورنا، ماذا نفعل ؟
فاخترنا السلم وقررنا المطالبة لحقوقنا بالسياسة والحكمة
رأينا أن يكون (المؤتمر) حزبا سياسيا بدلا من السير خلف الأحزاب الكذابة
لنطالب حقوقنا عن طريق السياسة والفهم وعلى ذلك تم اتفاقنا
ولم نشعر إلا أن الجميع كانوا يحملون نفس التوجه، فالقلوب شواهد
كثرت الاجتماعات في كل البلاد ثم تكونت اللجان في كل بلد منها
أرسلوا النقود مساهمين وهم فرحون بذلك ويأتون إلى النادي في الموعد
ترك البعض أعمالهم، وأما غير العاملين، فاكتفوا بذلك عملا
وأما العاملون فكانوا يأتون إلى النادي بمجرد فراغهم من العمل
وتظل أنوار النادي مضيئة إلى الصبح فيطفئونها عند شروق الشمس
ومكبر الصوت، في الليالي السياسية كاد يصم الآذان
وأما التلفونات فكانت كل الجهات تداوم الاتصال في الليل والنهار
فكتب اسم (المؤتمر) في كل المحطات وفي السيارات والدراجات
ورفعت اللافتات على واجهات المتاجر ووزعت النشرات في كل مكان
فهناك الوفود الواعية مستمرة في زياراتها لتشد من أزر العاملين

فيقابلونها بالحفاوة والترحيب ويلقونها وهي في الطريق، قبل وصولها إليهم
يسافر البعض بالسيارات ويسافر آخرون بجمالهم
وهناك الراجلون حاملو الأسلحة يقفزون فرحا واستبشارا بقدومهم
فكانوا يكرمون تلك الوفود فرحين مستبشرين فكان الطعام يفيض على غيرهم
فيشبع الجميع مدعوون وغيرهم بما يقدمونه لهم ونفوسهم طيبة به
وجد البائعون السوق رائجة ووجد المساكين الرزق وفيرا
وكان ذلك موسما لسائقي السيارات وأما القطارات فقد ازدحمت بالمسافرين
حدث كل ذلك ولم يكن إلا أمرا بسيطا ولكنه أزعج الكثيرين
فقد ظهر ذلك الحزب ولم يتجاوز عمره الشهر فاستولى على كراسيه
فعجب الجميع لذلك، كيف أن هذا الوليد يفعل كل ذلك!
أما الحكومة فقد أرعبها ذلك وأما الأعداء فحزنوا له
فكشفوا عن سوء طوياتهم بأن أطلقوا الشائعات
شيوعيون، أعداء للدين، يقلدون الجنوب
لابد من القضاء عليهم في مهدهم حتى لا يستطير شرهم.
لم نأبه لكل ذلك لأننا قد عقدنا العزم وقررنا المضي قدما
واجتهدنا أكثر ولم يزدنا ذلك إلا قوة على قوة وزادت أعدادنا.
وعندما استيقنوا أننا مصرون وماضون استرضونا وبالحقوق وعدونا
وجدنا قدرا من الاحترام ما كان قبل وأُخوة لم تكن موجودة من قبل.

لم نفعل غير الواجب علينا ولذلك لا يليق بنا الفخر لأن ما فعلناه ليس كبيرا

ولن نأسى لما بذلناه من جهد ومن سهر وما بذلناه من المال

فقد استفدنا، من كل ذلك فائدة عظيمة فحسبنا ما وجدنا وان لم نجد غيره..

كانت هذه قصيدة الشاعر بدري أحمد الأمين (قصيدة المؤتمر) التي قالها بعد الفوز واستقبل بها المهنئين عندما توافدوا إلى المركز العام، نادي البجا بمدينة بورتسودان. تغمرهم الفرحة بذلك الفوز، بعد أن بذلوا الكثير في سبيل ذلك. وهناك غيره من الشعراء الذين القوا قصائدهم في تلك المناسبة السعيدة. ولكن قصيدة الشاعر بدري كانت تتميز بأنها كانت أشبه بآلة التصوير التي كانت تصور كل شئ، منذ البداية وإلى إعلان النتيجة.

ثم بدأت المرحلة التالية بلقاءات بين النواب وقيادة المؤتمر، السكرتارية. كان الغرض منها محاولة الاتفاق على نهج العمل وأسلوبه. وأما الأهداف فقد كانت معروفة للجميع. وكان أهمها تحقيق الحكم الإقليمي الذي كان يسمى في ذلك الوقت الحكم اللامركزي. وكانت هناك نشرة محددة واضحة أخرجت في ذلك الوقت، بعد الفوز، توضح القضية الأساسية التي تهمهم. تقول النشرة :

(ونسبة لأن البلاد مقبلة على انتخاب الجمعيّة التأسيسية التي تضطلع بوضع الدستور السوداني، فإننا نطالب أن يصاغ الدستور متضمنا الاعتراف بنظام الحكم اللامركزي، لضمان تطور المناطق المتخلفة. هذا،

وسيسعى المؤتمر بكل جهد، لتحقيق هذه الأهداف عن طريق ممثليه الشرعيين، وبالتعاون الصادق مع كافة الهيئات الوطنية المخلصة. لنخلق من هذا الجزء من الوطن العزيز، عضوا نافعا في الجسد الكبير. يؤدي رسالته الوطنية كاملة، بأيمان واقتناع، وشعور بالمسئولية التامة في نطاق وحدة السودان المفدى. والله الموفق.)

كانت الأهداف واضحة. وكان الغرض من تلك اللقاءات، كما ذكر، هو تحديد النهج والأسلوب. وأن يعمل النواب، ما أمكنهم ذلك، في حرية واستقلال، لتحقيق تلك الأهداف. ولقد بدا أن بعض النواب، مع التزامهم الكامل بتلك الأهداف المعلنة، حاولوا أن يوضحوا للسكرتارية، التزامهم الحزبي. وكان هؤلاء هم النواب الذين رشحهم حزب الأمة. ثم رضي أن يكون ترشيحهم باسم المؤتمر. نشأ حوار بين الطرفين في هذا الأمر. وكادوا يختلفون حوله، لإصرار كل طرف على رأيه. ولكنهم تجاوزوا تلك العقبة بأن تواصوا خيرا .

ذهب النواب إلى العاصمة. وما أن وصلوا هناك، حتى فاجاؤا القيادة وغيرهم، بنبأ انضمام مؤتمر البجا إلى حزب الأمة. فاستقبل الناس ذلك الخبر بردود أفعال مختلفة. رحب بذلك المنتمون إلى ذلك الحزب وفرحوا به. ورأى المعتدلون التريث حتى ينجلي الموقف أكثر. وأما المعارضون لتوجه ذلك الحزب، أخذوا يستنكرون ذلك ويطلبون من القيادة استنكاره. ولاموهم على أنهم قبلوا من بعض النواب أن يظل ولاؤهم لذلك الحزب. مما أفقد المؤتمر، ككل، استقلاله. بل إن ذلك التصريح الذي صدر

بتلك الصورة، كاد يحدث انقساما في صفوف القيادة. فكان ذلك أولى الاختبارات التي واجهت المؤتمر. ولقد سئل السيد إسماعيل الأزهري أن يعلق على ذلك فقال : (سمعنا رأي النواب، ولم نسمع رأي السكرتارية).

كان واضحا الغرض من هذا التعليق. فأن السيد إسماعيل الأزهري يدرك أن أهل الشرق طائفتهم هي الختمية. وأن هذا الإعلان، انضمام مؤتمر البجا إلى حزب الأمة، لا يمكن أن يجمعوا عليه. ولا يمكن أن توافق عليه السكرتارية، أو يمر بسلام. ولاشك أن تقديره كان صحيحا. فلم يمر ذلك الإعلان دون أن يخلق خلافات في صفوف السكرتارية. فتم الاتصال بالسادة النواب الذين أعلنوا ذلك. فقيل لهم انه قد تم اتفاق بين المؤتمر وحزب الأمة على التعاون لتحقيق مطالب البجا. وسوف تكون للبجا وزارة، إذا قدر لحزب الأمة أن يشارك في الحكومة. فكانوا في انتظار تشكيل الحكومة. فتشكلت الحكومة وشارك فيها حزب الأمة ولم يعلن فيها عن وزير من البجا، حسب الوعد، فأسقط في يد القيادة. وأصبح موقفهم حرجا. فأعلن عن ندوة بعنوان : كيف تم اختيار النواب. ولكن الندوة لم تقم. لأن البعض اعترض عليها بحجة أنها تثير كثيرا من المشكلات الأخرى غير هذه المعنية بمرشحي حزب الأمة الذين أصبحوا مرشحين للمؤتمر وفازوا باسمه.

لاشك أن موقف القيادة كان حرجا للغاية. ولاشك أن النواب أنفسهم كانوا في موقف حرج أيضا. وذلك لأن حزب الأمة لم يف بما وعد. وقيل أن الحزب الاتحادي، لم يوافق على إعطاء المؤتمر وزارة. وقال

لحزب الأمة بان يعطي المؤتمر، وزارة من وزاراته. لأنه يعتبره جزءا من حزب الأمة. ولا يعترف به كحزب حليف في الحكومة. بل إن الحزب، كان ينادي بعدم الاعتراف به، كحزب. وينادي بمحاربة التكتلات القبلية. ولعل حزب الأمة، وان لم يعلن ذلك، كان يخشى أن يظهر تكتل مثل مؤتمر البجا في مناطقه. وقد حدث ذلك فيما بعد. وكان ذلك أمرا طبيعيا لأن المنطقتين، الشرق والغرب، هي مناطق نفوذ للطائفتين تستغلانهما لفوز بعض القيادات والشخصيات المهمة في الطائفتين. لذلك لا يمكن أن توافقا على تكتل كهذا، يسحب البساط من تحتها.

بينما كانت القيادة، وكان النواب، أيضا، في ذلك الموقف الصعب من إعلان انضمام المؤتمر إلى حزب الأمة، الأمر الذي أعلنه السادة النواب، بعضهم على الأقل، وسكت البعض الآخر، على مضض. أطلت مشكلة أخرى فرقت القوم أيدي سبأ. كانت هذه المشكلة هي تعديل الدستور، المادة (٥/ ٢) والتي بموجبها جاء طرد النواب الشيوعيين من الجمعية التأسيسية.

وقف السادة النواب، ما عدا اثنين منهم إلى جانب التعديل. وكان الاثنان، اللذان عارضا التعديل، هما النائبان هاشم بامكار، ومحمد الأمين محمد طاهر باكاش. بل إن النائب بامكار، كان يطالب بحل جبهة الميثاق الإسلامي، التي كانت تقود الدعوة إلى التعديل. وكان زعيمها الشيخ حسن الترابي تبنى صحة ذلك، من الناحية القانونية والدستورية. فكتب كتابه (أضواء على المشكل الدستورية) يوضح فيه أن المادة (٥/ ٢) من أكثر مواد

الدستور قابلية للتعديل. فرد عليه الأستاذ محمود محمد طه بكتابه : (زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان: الثقافة الغربية، و ميزان الإسلام) يوضح فيه أن المادة (٥/ ٢) هي الدستور.. لأنها تنص على حرية الرأي والتنظيم.. وما عداها من مواد الدستور، وسائل لتحقيق ذلك. وقال عن زعيم جبهة الميثاق الإسلامي، في ذلك الكتاب، انه لم يستفد كثيرا من الثقافة الغربية. وأنه لا علاقة له بالإسلام إلا البسملة التي يفتتح بها حديثه.. وكان ذلك القول غاية في الغرابة ومتغرداً، في ذلك الوقت..

هذا ما كان من أمر النواب. فقد وقف كل منهم في الجانب الذي اختاره. ولم يكن هناك ما يمنعه من ذلك. لأن القضية، كما كانت تبدو، لا علاقة لها بالتزامهم بتحقيق مطالب البجا.. لم يكن الأمر بتلك البساطة. فقد حدث انقسام رهيب، في صفوف القيادة، السكرتارية، في المركز العام، وفي كل اللجان. في العاصمة وغيرها من المدن والقرى. البعض يؤيد التعديل وينادي بإدانة هاشم بامكار وباكاش، لمعارضتهما التعديل. والبعض الآخر يعارض التعديل وينادي بإدانة النواب الذين أيدوه..

بل قد وقع شجار بين بعض القياديين في هذا الأمر، في المركز. وقال الذي يعارض التعديل : (إن الشيوعية قد حررت مائتي مليون في روسيا فهللا تحرر نصف مليون من البجا ؟!).

كان ذلك من بعض الصور. وقد ذهب فريق من طلاب جامعة الخرطوم، من أبناء البجا، إلى الأستاذ عبد القادر أوكير، وكان على رأس النواب الذين أيدوا التعديل. وطلبوا منه أن يكون مع المثقفين، مع من

يعارضون التعديل. فقابل ذلك بكل الاستياء. ولكنه لم يرد على قولهم. وقد حدثت كثير من الصور التي دلت على أنه قد حدث شقاق، وخلاف، ونزاع. بين قيادات المؤتمر بسبب ذلك. وكل يعتقد بأنه هو على الصواب ومن حقه أن يوجه وأن يطالب الآخرين بأن يسلموا له..

هذا ما كان من أمر القيادة. وأما القاعدة فكانت في حيرة من أمرها، من هذا النزاع والشجار بين القياديين في كل موقع.. فأخذوا يشفقون على مصير المؤتمر، الذي بذلوا ما بذلوا، في سبيل أن يحقق للبجا مطالبهم. فإذا بقادته يتنازعون ويتشاجرون في أمر بعيد عن كل ذلك، لا يعلمه كثير منهم..

ما كاد الناس يفيقون من تلك الدوامة، إلا وسمعوا بحل الجمعية التأسيسية. ذلك الحل الذي دبره الحزبان المؤتلفان. حزب الأمة جناح سيد الهادي المهدي. والحزب الوطني الاتحادي الذي التأمل شمله بعودة حزب الشعب الديمقراطي. فسمي الحزب الجديد (الاتحادي ديمقراطي) الموجود اليوم. والذي علق على اسمه الجديد الشيخ حمد عادلي فقال : (كل فريق جاء بغير ما يملك الحق فيه. وترك ماله فيه الحق. فجاء الحزب الوطني الاتحادي، بالاتحاد الذي تخلى عنه بإعلانه الاستقلال من داخل البرلمان. وترك كلمة (الوطني) التي يملك الحق فيها كحزب وطني. وأما حزب الشعب الديمقراطي. فأنه حزب شعبي ولكنه غير ديمقراطي. فترك كلمة الشعب التي يملك الحق فيها. وجاء بكلمة (الديمقراطية) التي لا يمكن أن يدعيها) كان ذلك هو تعليق الشيخ حمد عادلي على اسم الحزب.

ولاشك أنه تعليق يستحق الوقوف عنده، لأنه يدل على عدم التوفيق في اختيار الاسم..

ولاشك أن ذلك له دلالاته..

على كل حال فقد فاجأ الحزبان المؤتلفان البجا، وغير البجا، بذلك الحل. حتى لا يمكنا الصادق المهدي، من إسقاط تلك الحكومة بالأغلبية التي تمكن منها. وقد حاول مقاومة ذلك، ولكنه لم يفلح. وحلت الجمعية باستقالة خمس أعضائها. ثم عقدت الانتخابات التالية في سنة ١٩٦٨ ورشح الحزب (الاتحادي ديمقراطي) السيد محمد عبد الجواد في مدينة بورتسودان في الدائرة الغربية. ورشح مؤتمر البجا الأستاذ أبوموسى علي، سكرتير المؤتمر. ففاز السيد محمد عبد الجواد. وكان واضحا أن هناك انشقاقات بين البجا. نتيجة لما ذكرنا، من مشكلات واجهت المؤتمر، بعد فوزه. من الموقف من حزب الأمة. ومن الخلافات الكبيرة التي مني بها. بسبب ذلك التعديل في الدستور وطرد النواب الشيوعيين منه. الأمر الذي أيده الكثيرون وعارضه الكثيرون، أيضا.

لكل ذلك رأت قيادة المؤتمر أنه لابد من تقويم تلك التجربة. فكونت لجنة لذلك، من القياديين في ذلك العام ١٩٦٨، بعد ظهور نتيجة تلك الانتخابات التي لم يفز فيها من مرشحي مؤتمر البجا إلا نائب واحد أو نائبان، بدلا عن النواب الأحد عشر الذين فازوا باسمه في الانتخابات الماضية. وكنت والمرحوم السيد محمد عثماني إبراهيم، مقررين لتلك اللجنة، التي عقدت اجتماعات مكثفة لمدة أسبوعين تقريبا، في كل يوم اجتماع، من أول الليل، إلى وقت متأخر منه. فخرجنا بالتوصيات الآتية :

١ - كان أمل البجا، عامة، كبيرا جدا في ذلك المؤتمر الذي كان امتدادا ومواصلة لمؤتمر ١٩٥٨ الذي أيده كل البجا. فوقفوا في صعيد واحد تحت قيادة واحدة. وقدموا مطالب محددة لولا أن الانقلاب أفسد عليهم أمرهم ذلك. فالتفوا مرة أخرى حول القيادة، وبذلوا كل غال ومرتخص، في سبيل أن يثبتوا وجودهم. ويفوزوا مرشحيهم، باسم المؤتمر. فتم الفوز ولكن، لم يستطيعوا أن يحققوا شيئا من الكثير الذي أمّلوا، لأسباب، ربما كانت خارجة عن الإرادة. ولكن التجربة، في حد ذاتها كانت تجربة مهمة، ومفيدة للجميع، قيادة وقاعدة. وكانت ثورة ضرورية على تلك الأحزاب الطائفية التي لم يجد منها البجا، عامة، إلا التخلف والإهمال. وكانت، التجربة، درسا لتلك الطائفية التي لم يجدوا منها إلا ما يضرهم ولا ينفعهم. فقد أزالت عنها الكثير من ذلك القناع الزائف مما اضطرها إلى مراجعة الكثير من حساباتها في التعامل معهم.

٢ - لقد أيد البجا المؤتمر وساندوه. كل حسب طاقته، ووعيه. ولكنهم لم ينسوا خلفياتهم وانتماءاتهم السابقة. وهم مختلفون في ذلك، قيادة، وقاعدة. هذا بالإضافة إلى اختلافاتهم القبلية. فكان لابد من الحذر، من كل ذلك، في سلوك النواب، وفي سلوك القيادة، وفي المناسبات المختلفة.

٣ - لقد كان أمر اختيار النواب، أو الموافقة عليهم، أو رفضهم، إذا فرض ذلك، كان أمرا دقيقا للغاية وتحيط به كثير من المحاذير والحساسيات. مع وجود البعض من نهازي الفرص، ممن احترفوا السياسة والنيابة. ممن

يمكن أن يضعوا القيادة والمسئولين، في مواقف، غاية في الحرج في مجتمع قبلي. كالمجتمع البجأوي. يستطيع فيه، أمثال هؤلاء، استثارة قبائلهم للضغط على القيادة بصورة تجعلها بين أمرين أحلاهما مر. فإما أن يتم القبول لأمثال هؤلاء ليكونوا مرشحين عن المؤتمر. وهناك من هم أولى منهم. أو أن يحرض هؤلاء قبائلهم لتتخذ موقفا من الحركة. الأمر الذي قد يجر إلى شقاق في صفوف الحركة فيضعف موقفها.

٤- لقد كان واضحا أن العمل السياسي، بإعلان حزب مستقل، يقتضي حدا أدنى من التقارب الفكري والسياسي. أو قدرا كبيرا من احترام الرأي الآخر. حتى إذا تعرض الحزب لاختبار كالاختبار الذي تعرض له، حين عدلت المادة (٥/ ٢) وطرد نواب الحزب الشيوعي من الجمعية، بالصورة التي تمت، فلا يحاول كل فريق فرض رأيه على الفريق الآخر. مما يؤدي إلى مواجهات وشجار يودى بالكثير من الانسجام بين العاملين. مما يقتضي مراجعة للموقف من أساسه. مما يحتم على كل جماعة أو حزب يعمل في المجال العام، أن يكون بينهم تقارب فكري يجعل وسائلهم قريبا من قريب. ولا يكفي اتحاد الغاية فقط مع اختلاف الوسائل. وهناك حكمة بجأوية تشير إلى هذا الأمر إشارة واضحة فتقول : (timirmaam jaabaraat harriiw tari faaydee shimuudaab لابد في المرافقة من المراعاة وتقدير ظروف الطرف الآخر أو المفارقة بروح طيبة مرحة) هذه هي القاعدة الذهبية، التوافق أو المفارقة. مما اقتضى مراجعة الموقف كله على ضوء ذلك.

٥- الاتجاه إلى عقد مؤتمر شبيه بمؤتمر (١٩٥٨) لتحقيق مطالب البجا الأساسية في الحكم اللامركزي وفي اقتسام السلطة المركزية، والثروة القومية لتحقيق الاستقرار ونشر التعليم والصحة وغير ذلك مما جاء في توصيات ذلك المؤتمر الجامع لكل فعاليات البجا على اختلاف توجهاتهم وأحزابهم وقبائلهم. دون أن يتعرضوا إلى خلافات كالتي تعرضوا لها عندما أعلنوا حزبا سياسيا مستقلا فتعرضوا لما تعرضوا له.

كانت تلك جملة التوصيات التي خرجت بها تلك اللجنة وعرضتها على القيادة، المكتب السياسي وبقية أعضاء السكرتارية. وكانوا بصدد التفكير فيما قرروا، لولا قيام ثورة مايو في العام (١٩٦٩) فتفرقت بهم السبل.

بعضهم سار في ركاب الثورة، لتحقيق مصلحة عامة أو خاصة. والبعض الآخر رفض التعاون والتعامل معها. فاتجه بعضهم إلى الهجرة إلى الخارج. وبقي البعض الآخر، كما كان الشأن في بقية أجزاء السودان. ولكن راية (المؤتمر) ظلت مرفوعة. يرفعها اليمين حينا. ويرفعها اليسار حينا آخر. حتى انتهى ذلك العهد. وجاءت انتفاضة مارس / أبريل فأخذوا يتشاورون في أمرهم، كما فعلوا من قبل، بعد ثورة أكتوبر المجيدة. ولكنهم لم يتجهوا إلى تأسيس حزب سياسي مستقل، لأنهم كانوا مختلفين في توجهاتهم السياسية، يمينا ويسارا. ولما كانت قيادة نادي البجا والمؤتمر في أيدي اليساريين، اتجه اليمين إلى محاولة تغيير الاسم إلى (جبهة أبناء البجا).

فدعا أبناء البجا إلى اجتماع حضرته غالبية من اليمين. فاتجهت إلى تغيير اسم المؤتمر إلى (جبهة أبناء البجا). وتم اختيار السيد علي محمد أحمد

ماقيت، كبير ضباط البلدية، رئيسا لتلك الجبهة. ولكن قيادة الطائفية المحلية دعت السيد علي ماقيت. وطلبت منه أن يتخلى عن رئاسة تلك الجبهة. فلم يوافقها على ذلك. فوجهت حاكم الإقليم الشرقي، اللواء معاش، محمد عثماني حامد كرار، بنقله. ولما كان الحاكم معينا من قبل حزب الاتحادي الديمراطي، التي ترأسه تلك القيادة، نفذ ذلك التوجيه..

ولكن قيادات البجا ذهبت في وفد إلى كسلا تطلب من السيد الحاكم بقاء السيد علي ماقيت في بورتسودان. ولكن شيئا من ذلك لم يتم، أمام إصرار تلك القيادة الطائفية على نقله..

لم تستمر تلك الجبهة، كثيرا، بعد نقل رئيسها، بتلك الصورة. فانتهى أمرها، كما بدأ، وعاد الناس، مرة أخرى إلى (مؤتمر البجا)، فيما بعد، لمواصلة مسيرتهم من حيث انتهت. وبالشكل الذي رأوا أنه يناسب المرحلة الجديدة..

ولا بأس من أن نختم هذا الحديث، عن التقويم لحزب مؤتمر البجا، بهذه الواقعة التي لها دلالتها الكبيرة في مستقبل العلاقة بين البجا والطائفية..

والواقعة هي أن أحد الأصدقاء الحادبين المخلصين، أصبح عضوا في المكتب السياسي للحزب الاتحادي الديمقراطي. كان ذلك في الفترة الانتخابية الثالثة. فاقترح علينا العمل للبجا، من خلال الحزب الاتحادي ديمقراطي الذي كان عضوا في مكتبه السياسي. باعتباره أقرب الأحزاب إلينا..

قلنا له، لا مانع عندنا من ذلك على أن يرشح الحزب ثلاثة من أبنائنا في ثلاثة من دوائر الشرق. والثلاثة ليس لهم توجهات سياسية أو عقائدية تمنعهم من التعاون مع الحزب في قضاياه الأخرى.. والثلاثة هم الأستاذ محمد طاهر علي، ليرشح في دائرة بورتسودان الغربية. والسيد عثماني إبراهيم شوف، في دائرة جبيت سنكات. ودكتور مصطفي أوهاج، في دائرة تهاميم هيا درديب.

رحب الصديق بذلك وحمله إلى القيادة الطائفية في الشرق. فما كان من تلك القيادة التي حمل إليها ذلك الاقتراح، إلا أنها أخذت تعرض عنه وتعامله بصورة حملته على أن يتخلى هو عن الحزب. بدلا من أن يكون سببا في تعاون البجا مع الحزب. مما يؤكد على استحالة التعاون، فضلا عن الانتماء أو العمل للبجا بقيادتها.

وأما الحزب الاتحادي ديمقراطي وغيره من الأحزاب الطائفية وغير الطائفية، فتجربة السودان في الحكم تقول إنها فشلت فشلا ذريعا في الماضي. وأنها لا تملك للمستقبل إلا الخراب. لأن بضاعتها التي تحملها هي رغبتها في السلطة. ولا تحمل أي تصور إيجابي لمستقبل السودان الذي استيقظ أهله، في كل بقاعه، وأخذوا يطالبون بحقوقهم المشروعة في السلطة والثروة.. فأين مكانها هي، الطائفية، سواء كانت على المستوى المحلي، أو على المستوى القومي ؟؟ لقد برح الخفاء، كما يقولون. وأنه خير لها وللسودان أن تكتفي بما مضى. ولا تطمع في مزيد من الاستغلال..

هذا ما يقول به الاستقراء الصحيح.. ولكن، الغرض مرض، كما

يقولون أيضا.. ولابد مما ليس منه بد.. فأن تغيير الأثواب، لا يغير من الحقيقة شيئا، وربما يقود إلى مزيد من التعقيد، ومزيد من الحساب، قديمه والجديد..

ولاشك أنه قد آن الأوان، لقياديي البجا ومثقفيهم، أن يتولوا قيادة البجا لتحقيق الأهداف التي من أجلها أنعقد (مؤتمر البجا) العام ونادى بها حزب (مؤتمر البجا) الذي قام بعد ثورة أكتوبر المجيدة التي قضت على الحكم العسكري الأول الذي كان حرباً عليهم، خاصة. وبتوجيه من القيادة الطائفية التي ظلت تناصب كل تجمع باسمهم العداء ما لم يسيروا خلفها معصوبي الأعين. لتحقق هي أهدافها من السلطة والثروة. اللتين يطالب بهم البجا لإصلاح أحوالهم ولتحقيق التنمية في منطقتهم والتي فاتهم منها الكثير..

****

خـــــاتــــمـــة

من أهم أغراض هذه الدراسة، هو التأريخ لهذه الفعالية الرائدة، في تاريخ السودان المعاصر. والتي نبهت، وبأسلوب حضاري رفيع، إلى عجز الحكم الوطني، في سنواته الأولى.. ثم وجدت الكثير من التجاوب من الصحف، التي كانت حرة، في ذلك الوقت.. وجدت منها التأييد والإشادة، كما وجدت منها النقد والتحليل.. وهو الشأن في كل البلاد التي تتمتع بمثل ذلك.... حرية الصحافة، والإعلام.. غير تلك التي تفتل للحكومة في حبالها، فلا تزيدها إلا خبالا، وبعدا عن الحقيقة. ولاشك أن حرية الإعلام، بصفة عامة، والصحافة بصفة خاصة، من اكبر القيم التي اهتدى إليها الإنسان في تطوره.

ولن تتطور أمة من الأمم، أو دولة من الدول، وهي تحجر هذه الحرية. في هذا الوقت بالذات، الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام، وتطورت. حتى أنها لم تعد تفوتها شاردة ولا واردة، في أي مكان في العالم.

ولا تستطيع أي دولة من الدول، أو حكومة من الحكومات، أن تخفي أمرها، مهما حاولت. فإذا انكشف أمرها، ولا محالة انه مكشوف، مهما حاولت التستر عليه، ومهما حاولت تسويق الكذب والتدليس. وجدت نفسها في ورطة وأزمة لا تدري كيف تخرج منها، إلا بمزيد من التورط.

ومزيد من التعقيد، للمشكل. حتى تجد نفسها، مضطرة لقبول التدخل الأجنبي في شئونها! وهي تدعي أنها هي الأولى بحل هذا المشكل!! لأنه مشكلها! ولكن العالم، الذي اصبح اليوم، كالقرية الواحدة، لا يلتفت إلى مثل هذه الدعاوى الفارغة. وإنما يفرض عليها الوصاية التي تستحقها..

كان هذا هو الحال، عندما عقد (مؤتمر البجا) العام في سنة ١٩٥٨م، ولم يمض على حكم الحكومة الوطنية إلا أربع سنوات، منذ تشكلت الحكومة الأولى في يناير ١٩٥٤م. عقد المؤتمر بالصورة التي عقد بها، وقامت الصحف، الحرة، بدورها كاملا، مما جعل الصورة واضحة جلية. فجاء تسليم السلطة للعسكريين. مما افقد البلاد الكثير مما ورثته من الاستعمار، من فنون الإدارة في ظل الديمقراطية وارفة الظلال، وخدمة مدنية، كانت نموذجا يحتذي به، يعطي كل ذي حق حقه، وتفيد البلاد من الكفاءات الموجودة في ذلك الوقت..

ولاشك أن عهد عبود، الشمولي، كان بداية الانهيار، الذي تتابع، فيما بعد، حتى بلغنا اليوم ما بلغنا، من صور الظلم، والقهر، والتخلف. الذي ظن بعضنا، للأسف الشديد، أنه، هو الوضع الأمثل، ثم يستميت في الدفاع عنه، بكل ما يملك. فيحارب كل صور العدل والرحمة والتقدم. بل ويعتبرها خروجا عن القاعدة السليمة! ولما يجب أن تكون عليه هذه البلاد، التي، خير ما يميزها، هو، هذا التنوع، في كل مجال حيوي. مما يفرض علينا حكما واسع الأفق. يشمل الجميع بعدله، ورعايته، لا يفرق بين مواطن وآخر للونه، أو عرقه، أو ثقافته، أو دينه أو جنسه، من ذكر وأنثى. مما هو

مفروض اليوم على نطاق العالم الذي لا يمكن أن يرضى منا بغير ذلك. مهما نقدم من أعذار وأسباب. كما لا يصلح حالنا نحن، بغير ذلك..

لان الجميع يطلبون حقوقهم كاملة غير منقوصة. وليس هناك سبيل لإقناعهم بما هو أدنى منه.. حتى أصبح الأمر، كما يقولون، طريقا باتجاه واحد. لا يملك السائر فيه، العودة إلى الوراء، مهما قدم من حجج واهية لا أساس لها إلا في عقول خربها الجهل، والتعصب، وقصر النظر، وضيق الخيال..

ثم جاءت الجولة الثانية من جولات (مؤتمر البجا) بعد ثورة أكتوبر المجيدة. فكانت، هي الأخرى، تعبيرا عن أحد شعارات ثورة أكتوبر : (لازعامة للقدامى)! فقد أعلن البجا (مؤتمر البجا)، حزبا مستقلا. وخاضوا الانتخابات على هذا الأساس، وفازوا بأحد عشر من النواب.. فضربوا بذلك نموذجا لغيرهم من الأقاليم التي نادت بمثل ما نادوا به، من فعاليات وأحزاب مستقلة.. مما هز عرش الطائفية التي زيفت الديمقراطية تزييفا كبيرا.. فلم تجد إلا أن تنادي بمنع تلك الفعاليات! التي تسببت هي في ظهورها! لأنها فشلت في حكم السودان الحكم الصالح الرشيد. لأنها استغلت نفوذها أتسوأ استغلال لتحقيق مصالحها هي، مضحية في سبيل ذلك، بمصالح البلاد العليا في التشريع، والتنفيذ. بذلك فتحت الباب، على مصراعيه، لمجيء حكومات شمولية عاجزة. بدعوات منها هي، وبغير دعوات منها. لأنها أصبحت بادية العجز عن حكم البلاد حكما مناسبا.. يجمل السكوت عليه!! والصبر على هفواته! حتى وجدنا أنفسنا فيما نحن

فيه اليوم، مما تقدم وصفه. ولاشك أنها، بالرغم من معارضتها له، من الداخل والخارج، هي التي ساهمت بقدر كبير، وعلى مدى طويل، في تأسيسه، وتمكينه. بل إن بعض فصائلها، هي التي أخذت في دعم النظام، وجرها هي، لمثل ذلك. حتى كادت تنجح. وذلك للاتفاق المبدئي بين الطرفين، الحكومة وهذه الطوائف. وهو استغلال السلطة لتحقيق المصالح الذاتية! بل هذا، حقيقة، هو مفهومهم جميعا. ثم اللجوء إلى القوة والعنف لمنع الناس من الخروج عليهم وعلى قوانينهم الجائرة! التي تصادم سنن الحياة في أبسط صورها. وتخالف ما اتفق عليه العالم من حقوق للإنسان. أصبحت اليوم ضربة لازب. لا يستطيع أي نظام مهما يكن، تجاهلها، دون أن يعرض نفسه لأقسى أنواع اللوم، والتدخل في شئونه!!.

وكان ختام الجولة الثانية من (مؤتمر البجا) الحزب السياسي، هو ذلك التقويم الذي اشترك فيه عدد من المسئولين عن المؤتمر في العام ١٩٦٨م وبعد أن ظهر لهم انهم لابد أن يقوموا بذلك. بعد تجربة استغرقت كل ما يملكون من إمكانيات لإنجاح التجربة. الرائدة. ولحل المشكلات التي يعانون منها. والتي كانت التوصيات التي تقدموا بها في (المؤتمر) ١٩٥٨م حلولا عملية لها. وكانت تلك التوصيات :

١- الحكم اللامركزي، وذلك بمنح المنطقة الحكم المحلي الكامل كحق مشروع وضرورة أساسية.

٢- تصنيع المنطقة، واستغلال معادنها.

٣- توفير المستشفيات والدواء.

٤- كل أنواع المهن والأعمال،مهما كان نوعها، حق مكتسب للبجا.
٥- تنفيذ مشروع خشم القربة الزراعي. ومياه الري للأراضي الزراعية عن طريق السدود والآبار الارتوازية.
٦- نشر التعليم، وعدم نقل أبناء البجا من المدرسين، لضرورة اللغة ولفهمهم للناس والمنطقة.
٧- إشراك نواب الشرق في الوزارة كحق ثابت، ينص عليه الدستور.
٨- إقامة مصنع نسيج بسواكن، ومصنع زراير بدرديب.
٩- تنفيذ هذه المطالب بأسرع فرصة ممكنة.

كانت هذه هي التوصيات التي خرج بها (مؤتمر البجا) في ختام جلساته في أكتوبر ١٩٥٨م. وقد كتب عنها الأستاذ المرحوم بشير محمد سعيد في تعليق عام عنها، بعد أن تحفظ على اثنين منها وهي الرابع والسابع.. مما رأينا إعادته هنا، في الخاتمة، لأهميته. يقول :

(ونعود الآن إلى المعنى الكبير الذي ينطوي عليه مؤتمر البجا.. انه دليل، ليس فوقه دليل، على فشل الأحزاب السياسية في التعرف على مطالب الشعب والعمل لتحقيقها.. ولقد نادينا من هذا المنبر، في مناسبات كثيرة، بأن المصلحة العامة والمبدأ الديمقراطي الصحيح، يقتضي أن تتنافس الأحزاب السياسية في رسم البرامج، وتفصيل الخدمات التي يحتاج إليها الشعب، ثم تنفيذها متى نال الحزب ثقة الناخبين، ووجد الفرصة، عن طريق الحكم، لتحقيق برامجه وأهدافه. ومما يؤسف له أن السادة، زعماء الأحزاب، قد اغفلوا ذلك إغفالا تاما.. وانصرفوا إلى المهاترات الشخصية

والمنافرات الخاصة.. انصرفوا إلى الشعارات الفضفاضة والتهريج.. انصرفوا إلى إثارة العنصرية واستغلال العواطف.. وتفتيت وحدة الشعب.

واخذ الشعب يدرك الآن أن مصالحه معطلة، وأن الاستقلال كلمة لا تحمل معنى عند السياسيين، وان الوزارة قد غدت، بالنسبة لقادة الأحزاب، غاية ينالون عندها الجاه، واللقب. لا وسيلة للخدمة العامة، القائمة على الدراسة والفهم والوعي.. وقد افصح البجا، الآن عن هذا الإدراك، إفصاحا تاما، وعبروا عن تحفظهم تعبيرا واضحا.. وغدا سنسمع أن الفئات الشعبية الأخرى، قد سلكت طريقهم.. وقد هبت تطالب بحقوقها، متجاهلة الأحزاب التي تنتمي إليها، وتؤازرها. لأن هذه الأحزاب قد أثبتت فشلها وابتعدت عن الشعب..)

هذا ما كتبه المرحوم الأستاذ بشير محمد سعيد في جريدة الأيام بتاريخ الاثنين ١٣أكتوبر ١٩٥٨م معلقا على المؤتمر وعلى تلك التوصيات. التي لازالت هي الأساس، فيما يطالب به البجا إلى اليوم، وخاصة في مجال الحكم اللامركزي الكامل. وهو يعني أن تكون لهم السلطة في منطقتهم. وان يكون المسئولون منهم.. وقد مضى على ذلك ما يقرب من نصف القرن. مما يوضح أن الأمور في السودان. لا تسير إلى الأمام، وإنما تسير إلى الوراء. مما ينذر بشر مستطير، بتغير وسائط المطالبة وأسلوبها. بالرغم من أن شعب البجا،المعروف بحروبه، وقتاله في الداخل والخارج في الماضي، له رأي سيئ في الحرب. فيسميه، بلغته (أوماق oomaag?) وهو يعني السوء! ولكنه رغم ذلك، يأتيه. إذا أجبر على ذلك.. ولا يزال اسم (مؤتمر البجا)

مرفوعا إلى اليوم. والذين يرفعونه يطلبون تلك الحقوق التي مضى عليها ما مضى. وقد اصبحوا اكثر تأهيلا من ذي قبل. ولا يمنع من تحقيقها إلا الظن، بأن خلاف ذلك هو الذي يحمل الإمامة والضمانة. ولاشك إن بعض الظن إثم وإثم كبير. وعاقبته وخيمة. ونتائجه على البلاد خطيرة، خطيرة. ولابد من العبرة بما يحدث في الأطراف التي وجدت حظها الوافر من التعليم أفقيا، وراسيا، مما لم يتوفر للبجا بنفس القدر. ولكنهم نالوا القدر الذي يؤهلهم للقيام بأعباء الحكم في منطقتهم. وتحمل الكثير من المسئوليات التي يتولاها غيرهم في منطقتهم، ثم لا يجدون منهم إلا كل إعراض وإهمال. وقد يتطاول البعض إلى اكثر من ذلك. بأن يعلن عدم تقديره لهم. مما حاولنا توضيحه في المقدمة، من بعض ما لمسناه في تجاربنا في المجال الذي تخصصنا فيه. وهو اللغة والتراث والتأريخ. فلم نجد خلال ما يزيد عن الثلاثين سنة، من المسئولين، من خارج المنطقة، إلا كل تعويق. مما وضحناه في المقدمة بصورة واضحة جلية لا تقبل الجدل.. وإننا مصرون كل الإصرار، مهما تكن العقبات. أن نقوم بواجبنا في هذا المجال الذي يدّعون الاهتمام به، في أحاديثهم، وندواتهم التي تقام لذر الرماد في العيون. ثم يعوقون العاملين فيه بكل سبيل.

لقد كانت حركة (مؤتمر البجا)، في مرحلتيها، يقظة شعب، يطالب بحقوقه المشروعة. ولكن الظروف السياسية التي تعاقبت على البلاد، شغلت الكثيرين عن القيام بالواجب في أقاليمهم، وفي وطنهم السودان. الذي كان في طليعة الدول الأفريقية التي تحررت من الاستعمار، وكان

يرجى أن يقود غيره من الدول الأفريقية وغيرها. ولكنه، وللمرة الثانية، يصبح (رجل إفريقيا المريض) الذي يحتاج إلى التدخل في شئونه، حتى تستقيم أموره، وتحل مشكلاته، في الأقاليم المختلفة ومنها الشرق.

ولكن أهل الشرق، بفضل من الله، ثم بسبب هذا الظلم والتهميش والإهمال، استيقظوا ليطالبوا بحقوقهم كاملة وسوف ينالونها إن شاء الله.

ويكفيهم أنهم يعيشون اليوم في أسوأ الظروف، وأبأسها، وأخطرها. بالرغم من كل هذه الثروات والإمكانات الموجودة في منطقتهم، والتي يشاهدونها بأعينهم، وهي تمر من أمامهم وعبر منطقتهم. ويعلمون بالأخرى التي تعج بها المنطقة، مثل ذهب آرياب. الذي ينقل بالطائرات إلى خارج السودان. وقد حيل بينهم وبينه، ليس كثروة من أكبر الثروات التي تميز المنطقة، بل إنهم محرومون من العمل فيه!! ما يجده غيرهم. شأنهم في كل المرافق الحيوية الموجودة في المنطقة. وفي مدينة بورتسودان بصفة خاصة، وعلى رأسها الميناء. فهم محرومون من العمل فيها. بينما هي مبذولة لغيرهم من السكان، ومن الوافدين. يشاهدون كل ذلك بأم أعينهم، وتأتيهم أخباره باستمرار. والأمثلة على ذلك كثيرة ممن لا يجدون العمل وهم أكفاء. فيقال لهم، ليس هناك فرص عمل! وهم يشاهدون غيرهم يوظف!! ويكون أقل منهم تأهيلا!! الأمر الذي قد يقود إلى التمرد، وإلى ما لا تحمد عقباه، للفرد والجماعة، ومن ثم، للوطن ككل. وقد كان من آثار ذلك، المباشرة، تلك الأحداث الأخيرة في مدينة بورتسودان وغيرها من مدن الشرق. والتي تنتظر التحقيق العادل المستقل حتى لا يؤدي أمثالها

إلى شر مستطير.. ولذلك فهم يطالبون أن يكون المسئولون من أبنائهم. ليس بشكل صوري، كما هو الحال اليوم. ولكن بالشكل الحقيقي الذي يعطيهم حقوقهم كاملة.

ولاشك أن عدم الاستقرار السياسي الذي مني به السودان، منذ استقلاله، كان له أسوأ الأثر على أحوال البلاد عامة. وعلى السكان بصفة خاصة. ولاسيما سكان الأطراف، في الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب. حتى لجأ الكثيرون. للنزوح إلى المركز والعاصمة. ليس طلبا لرفاه العيش، ويسره، وإنما لمجرد الحصول عليه. لأنه متعذر عندهم في الأطراف. لأن الأطراف أهملت في مجال التنمية. والشرق بصفة خاصة. حتى أن المجاعات حصدت سكانه. فبلغ عددهم اليوم نحوا من نصف مليون. بينما كان عند الاستقلال، نحوا من مليون نسمة أو يزيد. في حين أن السودان ككل تضاعف سكانه ثلاث مرات في خلال هذه الفترة. فهم اليوم ثلاثون مليون نسمة. وقد كانوا عند الاستقلال عشرة ملايين.

كل ذلك مما جعل السودان، هذا القطر الكبير، كثير الموارد، والذي استقل منذ نصف قرن من الزمان، في حالة من الصراع والحروب الداخلية. الأمر الذي جعله عرضة للتدخل الأجنبي، على المستوى الإقليمي والدولي. بينما تدعي حكومته بأنها هي الأولى بحل مشكلاته، لأنها مشكلاتها هي.

ولكن هذه الدعوى لا قيمة لها. ولا يمكن أن يسمع إليها. وهي بهذا القدر من العجز عن حل مشكلاتها. بل إنها لا ثني تشعل الحرائق. حيث أمكنها ذلك.

وخير مثال لذلك هو تلك الأحداث الأخيرة التي حدثت في مدينة بورتسودان في نهاية شهر يناير ٢٠٠٥. ثم الأسلوب الذي لجأت إليه الحكومة في معالجتها لتلك الأحداث. إذ لجأت للعنف والتقتيل للآمنين في منازلهم، فضلا عن صور الاستفزاز الأخرى.. كأنما تدعوهم إلى الثورة المسلحة!! بدلا من أن تهدئ الأحوال، وتحفظ الأمن. مما سوف يتسبب في مزيد من التدخل الأجنبي. ومزيد من الكوارث التي تقع على السودان وعلى حكومة السودان.

فقد تمكن الإعلام الخارجي من كشف الحقائق ونشرها. بالرغم من أن السلطة، ممثلة في أمنها، كانت تسعى إلى الحيلولة دون ذلك. بصور مختلفة. منها مصادرة الأفلام المصورة. ومنها منع المواطنين من الإدلاء بشهاداتهم لهذه. ثم اعتقال وتعذيب من يدلي بشيء من ذلك.

الأمر الذي فرض على المواطنين، بصفة عامة، وعلى قياداتهم بصفة خاصة. مزيدا من اليقظة والوعي. حتى لا تقضي أمثال هذه الحكومات القاصرة، على البقية الباقية من وحدة وسلام هذا الوطن الذي كاد يتفرق أيدي سبأ من جراء ذلك..

الخلاصة

اتجه شعب البجا نحو(مؤتمر البجا) في أشكاله المختلفة، وفي توجهاته المختلفة ووسائله المختلفة. حسب الظروف السياسية التي مرت بها البلاد منذ استقلالها. وهو يطلب حقوقه المشروعة في اقتسام السلطة والثروة والتنمية المتوازنة. الأمر الذي توضحه توصيات مؤتمر ١٩٥٨م وهي مطالبهم اليوم. سواء أكانوا في الداخل. يعملون بالوسائل السياسية والإعلامية المشروعة. أو كانوا في الخارج. يحملون السلاح ويتهمون، من قبل الحكومات، بالتمرد، والاتجاه إلى العنف، وتعريض البلاد لأخطار التدخل الأجنبي. هذا هو حال شعب البجا في شرق السودان.

وهناك غيرهم في المناطق الأخرى التي تشكو، هي الأخرى، ما يشكوه شعب البجا من الظلم والتهميش. وتتجه إلى ما تتجه إليه من والوسائل السلمية وغير السلمية.. وليس لكل ذلك إلا حل واحد. وهوان يحكم السودان، ككل، حكما عادلا رشيدا يعطي كل ذي حق حقه كاملا غير منقوص..

أول ما يقتضيه الحكم العادل الرشيد، في بلد واسع كالسودان مساحته مليون ميل مربع. ويتمتع بتنوع كبير في العناصر والثقافات والأديان واللغات. هوان يكون حكمه فدراليا. يتمتع كل أهل منطقة بحكم

منطقتهم. بعيدا عن الحكومات والأحزاب.. ثم تمثل هذه الولايات في الحكم المركزي بصورة عادلة وحرة أيضا. بمعنى أن يتولى أهل المنطقة، تعيين حكامهم ومسئوليهم، ومن يمثلونهم في الحكومة المركزية. وان صعب ذلك على الحكومات والأحزاب. وذلك لان شعوب السودان، في مناطقها المختلفة، قد استيقظت. وعلمت أن ذلك من حقها! ونال أبناؤها حظهم من التعليم، والخبرة، القدر الذي يؤهلهم لذلك.. فلا معنى للاستمرار في سياسة الوصاية، بعد اليوم. سواء من الحكومات، والأحزاب. وبصفة خاصة الأحزاب الطائفية، التي استغلت، ولازالت تستغل، نفوذها وخاصة في الشرق، الذي لازالت تعتبره ملكا خالصا لها. من حلايب إلى كسلا. لا يشاركها فيه أحد! تردد ذلك في كل مناسبة. حتى يستقر هذا الفهم عند أتهل الشرق، أنفسهم.. وهي تجهل انهم يسوؤهم هذا القول المتطاول، الذي يحاول القول بأنهم هم المفاوضون الحقيقيون عنه!! أكثر مما يسوؤهم استغلاله الماضي والحاضر. الذي سوف يحاربونه بكل الوسائل، أهمها، أخطرها، أن تكون سلطة الشرق لأهل الشرق.. الأمر الذي تحاربه هي.. لأنها تعلم، انهم سبق لهم ذلك في عهد السيد حامد علي شاش، الذي لم تكن تملك سلطانا عليه، وكانت تملك سلطانا على السيد اللواء/ محمد عثماني حامد كرار، الذي اختارته هي. وكانت توجهه، بصورة مباشرة، ضد رغبات ومصالح آهل الشرق! كما وضحنا ذلك. وقد تحدثنا عن الاختيار الذي يجب أن يكون حرا للحكام وغير الحكام.. وقد افترضنا أن يكون هناك مجلس مسئول عن ذلك الاختيار، في المرحلة. للحكام وغير

الحكام. ومن يمثلونهم في المركز. وان هذا المجلس هو الذي يملك أن يوجه بإعفاء من يشعر انه غير جدير بالمنصب الذي وضع فيه.

وبذلك وحده يمكن أن يكون الحكم فدراليا حقيقة.. آهل الإقليم هم الذين يختارون الحكام والمسئولين عنهم، ومن يمثلونهم في المركز. وبالصورة التي يتراضون عليها، هم. ثم يكون لهم نصيبهم الواضح في الثروة، حسب ظروفهم. ويكون لهم نصيبهم الواضح في السلطة المركزية. بل إن السلطة المركزية يجب أن تمثل، بصورة واضحة، ومحددة. كل أقاليم السودان.. وبذلك يمكن أن نتجاوز كثيرا من السلبيات التي عشناها في الماضي. والتي ذكرنا طرفا منها، ليس بقصد التشهير ببعض من مارسوها. وهم يظنون انهم كانوا في أمان من المحاسبة والسؤال! الأمر الذي شجعهم على ذلك. فتنهم كانوا يرون أهل الشرق، لا حول لهم ولا قوة. ولكن لنوضح انه : (ما حك جلدك مثل ظفرك..) وان : (الليك كان آكل لحمك ما يكسر عظمك..) وغير ذلك من الأمثال السودانية العربية التي توضح لنا السبيل.. وهناك غيرها من الأمثال السودانية غير العربية - البجأوية - التي لا تقل بلاغة، عنها في هذا المجال نذكر منها مثالا واحدا وهو:

(w?ayaay takuuk biilhay bihamiir) وهو يعني : أن قريبك لا يمرض ولا يفقر. لأنه لو مرض أو افتقر، فأنت الذي سوف تتحمل الغرم.. لذلك عليك أن تبعده من كل ذلك، لمصلحتك أنت، أولا.

ثانيا انه يوثق كل ذلك في دستور دائم للسودان. ينص على الحقوق الأساسية لكل السودانيين. على اختلاف مناطقهم، وأديانهم، وثقافاتهم،

ولغاتهم، وعناصرهما، وأجناسهم من ذكر وأنثى.. والحقوق الأساسية هي حق الحياة! وحق الحرية . ويقتضي حق الحياة، الكثير الذي نسمع توفيره في كثير من دول الغرب (المستكبر) ويعني، السكن، والمعيشة، والعلاج.. هذا بالإضافة إلى الأمن والحماية.. مما يغري الكثيرين من السودانيين وغيرهم، بالبقاء هناك.. وأما الحرية فهي، بعد التحرر من الضروريات التي يكفلها خق الحياة، هي أن يكون المواطن حرا في اعتقاده ورأيه وتنظيمه وسلوكه وفق القانون.. ويقتضي ذلك حرية الإعلام، واستقلاله، واستقلال القضاء. مما كنا نتمتع به أول عهدنا بالاستقلال. ولكنا فقدناها، ضمن ما فقدنا، مما أدخلنا في هذا التيه الذي لابد من الخروج منه. مهما كلفنا ذلك.. لنعيش الحرية، والسلام، والأمن، والرخاء، والوحدة. في وطننا السودان وطن الجميع..

فلابد مما ليس منه بد. فلابد من إصلاح الوطن. حتى يكون هو الجنة التي نطلبها جميعا. في الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب. هذا هو واجبنا وقدرنا الذي لا نملك الفكاك منه مهما تكن العقبات في سبيل ذلك. وليست هناك عقبات غير جهلنا، وتعصبنا، وقصور نظرنا، وحسباننا أننا نملك المزيد من الوقت، لنمارس المزيد من التجارب الفاشلة التي أنفقنا فيها نصف قرن من عمر هذا الشعب الكريم، الطيب في كل أنحاء السودان. في شرقه، وغربه، وشماله، وجنوبه.. المشكلة واحدة، والحل واحد. وهو أن يحكم السودان، حكما فدراليا، ديمقراطيا، اشتراكيا..

ولابد للحكم الديمقراطي من أحزاب لها مبادئ تتداول السلطة

سلميا. وهذه الأحزاب لابد أن تكون أحزابا قومية، تقبل، في إطارها، هذا التنوع الذي يتميز به السودان في أقاليمه المختلفة، وشعوبه المختلفة في عاداتها، وتقاليدها، بل ومعتقداتها.. لابد أن تستوعب كل ذلك حتى يكون الحزب، مرآة صادقة تعكس كل ذلك. ووسيلة لتحقيق الأماني والآمال للجميع، حيث كانوا.. وهذا يقتضي في المقام الأول أن يكون الحزب نفسه، ديموقراطيا. يتداول أعضاؤه القيادة بالوسائل الديموقراطية المعروفة.

بذلك يمكننا التحرر من كثير من المظاهر السلبية التي ظللنا نعيشها، مضطرين. ومن هذه المظاهر الأحزاب الإقليمية، مثل (مؤتمر البجا) وغيره في الأقاليم الأخرى، لعدم وجود ذلك النوع من الأحزاب التي وصفناها. والتي لابد أن تكون هي الوسيلة، العملية، لتحقيق الديموقراطية والاشتراكية والفدرالية على نطاق السودان.

هذا ما رأيت أن أختم به هذا البحث عن (مؤتمر البجا) لعل المسئولين وغيرهم، على ضوئه، يحدثون مراجعة للكثير من الأمور التي يظنونها صحيحة. ثم أوردت البلاد والعباد، موارد الهلاك.. والله من وراء القصد. وهو يتولى الصالحين. والحمد لله رب العالمين..

****

عهـــد وشـــوق

لقد تقدم الحديث عن الشاعر الكبير الدكتور محمد عثماني الجرتلي الذي تم نقله، في عهد عبود، إلى الجنوب، في تلك الحملة التي نفذها ذلك النظام الغاشم المستبد، ضد عدد من رموز البجا الذين ساهموا في قيام (مؤتمر البجا) في أكتوبر ١٩٥٨ فقال الدكتور قصيدته هذه التي تعتبر من روائع الشعر السوداني. والقصيدة بعنوان (عهد وشوق). رأيت أن أجعلها هدية إلى القارئ الكريم. بل هي ختام الختام. كما جعلت قصيدته عن مؤتمر البجا، ختام الختام في كتابي (من تاريخ البجا) الكتاب الأول، تقديرا لشاعرية هذا الشاعر الكبير، غير المعروف، عند الكثيرين. والذي نرجو أن يكون ديوانه، بين يدي القراء قريبا، إن شاء الله. يقول :

لم يلهني عود ولا قيثار ... كلا ولا الأوتار والأشعار

والكأس والخمر الجليلة ثرة ... كالماء للصحب الكرام تدار

واللحن والجمع المغرد صاخبا ... والبدر والنور والنوار

كلا ولا السحب المدرة والشذا ... والروض والأزهار والأشجار

عهدا كأحلام العذارى يانعا ... الشمل مجتمع به والدار

في الشاطئ الهادي الذي ... يهفو له قلبي والغرام أوار

يا ساكنين بمهد أحلامي هنا ... خل يحن وصاحب منهار

ما كنت أحسب أن يوم فراقكم ... جمر وبعدي عن حماكم نار

أنا كاليتيم معذب في مسكني ... كالسجن لاصحب به أو جار

أبكي السعادة بعد أن خلفتها ... بعدي فدمعي هاطل مدرار

أشكو لمن ؟ ظلم الحياة وعسفها ... والدهر مسعور النهى غدار

حزن وآلام وبؤس جارف ... هل للحياة على فؤادي ثأر

يا جنة عشنا بعذب رياضها ... الأنس بعدك والسعادة عار

أين السعادة من فؤاد نازف ... باك و أين الأنس والسمار

قد ناح عودي بعدكم و بكى ... معي عهد المودة و الهوى القيثار

و الكأس جفت والليالي أقفرت ... و جفا الهناء الخمر و الخمار

يا درة البحر الحبيبة لم يزل ... يرجو لقاك مدى الحياة هزار

نزعته قسرا منك أيدي قاهر ... ورمته في الآلام و هي غزار

أزداد بعدا عنك وأنت كل مطامعي ... و يعيش فيك البوم و الأشرار

ما كنت مختارا فراق أحبتي ... لكنه القدر الذي يختار

لو أنني خيرت كنت جهنما ... في الثغر قرب أحبتي أختار

ما كان أتعسني غداة تركتكم ... و الحزن باد والفؤاد شرار

سار القطار فليت قبل مسيره ... روحي و آمالي الكبيرة ساروا

و مضى يشق بنا البلاد عريضة ... فيها الجبال الشم والأشجار

ويسير من بلد ويدخل آخر ... او يضج و هو مسور موار

و يدور كالأفعى و يصرخ ماردا ... و يزلزل الآفاق لا يحتار

لم تلهه عن سيره أخدودة ... أو تعتوره مهامه و قفار

حتى أتى الخرطوم في أمسية ... قد رق فيها النور والنوار

و تـلألأت كـعروسة مجـلـوة الكون فيـهـا والبـرية حـــاروا
فيها مـراتع من صبـاي عزيـزة و الـذكريـات صغارهـا و كبـار
فيـها نهلت العلـم من ينبوعــه و زكت بهـا الآراء والأفـكــار
وقضيت فيـها حقبة كشفت بهـا سبل النهي و العلم والأســـرار
وسمت بها روحي ورقت مهجـتي ونما بها الأدراك فهـي منـــار
عـرصاتها وقصـورها مــزدانة والفـاتنات تسيـر والأزهـــار
لكن رغم مباهج الـدنيـا بـهـا والذكريـات الصيـد والأقمـــار
لـم تلهني عنكم و لم أذكر سـوى أيـامـكم لـو ينفـع التذكـــار
قـد كنت فيـها كاليتيم بقفـرة لا الـرحب يشجيني ولا الأســوار
ثم انثنيت إلى المطـار و أدمــعي تجـري وقلبـي خافـق مـــوار
وركبـت طـائرة كـأن أزيزهـــا صرخـات جـن مـارد وخــوار
في جوفها المخروط كون باهت كـمنـت بـه الالآم والأخـطـار
هي في السماء كمارد لا طائـر تخشى سـراهـا الـريح والأطيـار
فد خـلت لا وجلا ولا متهيبـا بيـد الالـه الـروح والأعـمـار
فمضت بنا نحو الجنوب سريعة لا السحـب تفزعهـا و لا الأمطـار
جل الاله أنا بجـوف غـمـامــة و تـمـور تحـتي هـذه الآثـــار
سبحان من صقل العقول وزانهـا بالعلـم فـهو الــواحــد القـهـار
الأرض تحـتي كالبســاط جميلـة خضـراء يلهـم حسنهـا الجبـــار
والسحب كالغيد الحسان كثيرة فيهـا الشباب الغـض والأبكـــار
و الشمس ترسل نورها متمهلا يختـال بين السحب أو يحتـــار

حتى بدت (واو) كروضة ساحر   للحسن فيها والجمال مطار

و(الجور) منساب يغرد للسنى   والعطر فواح الشذى معطار

والسحب تركض في السماء غريرة   والجو يعبق والزهور نضار

والأرض خضراء مطرزة الربا   القى عليها سحره آذار

لبست من الأزهار أجمل حلة   تهفو لها الألباب والأنظار

و بكل رابية هزار ساجع   ولكل شادية بها مزمار

سحر الطبيعة خالد متجدد   تعنو له الأرواح والأفكار

لكن رغم جماله و جلاله   شرقي أحب و حبه اصرار

هذا الجنوب البكر كم هو عامر   بالخير لكن ليس فيه عمار

وديانه الخضراء تبدو مصلحا   ورياضه الفيحاء والأنهار

اني لأرجو أن يصير منعما   تسمو به الأرزاق والأفكار

فاسعوا لرفعته وصونوا أهله   لا تنفع الآهات والأعذار

لا خير في وطن يعيش ممزقا   وتسوده الآفات والأضرار

هذا الجنوب أمانة في عنقكم   قد هده الباغي والاستعمار

أبقاه في ذيل الحياة محطما   يلهو به الأوغاد والفجار

فبكل ركن بائس متجهم   و بكل صدر أنة و شجار

والناس مرضى والهناء مضيع   و من الطغاة على العقول حصار

خمسون عاما تحت رق منهك   في فك أرذال علينا جاروا

سلبوا موارد رزقنا وتفننوا   في قتلنا و استكبروا و أغاروا

أغراهمو خير الجنوب فحاولوا   أن يفصلوه من البلاد فحاروا

ذهبوا بخزي جارف وأصابهم ... في العالمين مذلة وبوار

ومشوا على عكس الحياة وسيرها ... فأزالهم في سيره التيار

اني و ان جئت الجنوب محطما ... هو من بلادي فخرها والغار

أهوى و أرجوا أن أراه مكرما ... لكن أيامي به أكدار

لولا الشعو [illegible] جي لم أحتمل ... بعد الأحبة ان جنوا أو جاروا

فرض علي سأحتمله ، فموطني ... ومقدس في مهجتي و شعار

أأفر من فرض علي أداؤه ... لا يارفاقي لا يليق فرار

كيف الوصول اليكم ويذمتي ... نحو الجنوب رعاية و ذمار

وليفعل الدهر المشتت مايشا ... ولأصبرن فحكمه دوار

يا شاطئ البحر الجميل ومسرحا ... للحب فيه و للمنى أو طار

لا كان ذاك اليوم اذ فارقتكم ... وبخافقي ألم الهوى اعصار

اخلاص قلبي نحوكم لا ينتهي ... شوقي اليكم جارف كرار

ذكراكمو بالصدر تلهم شاعرا ... هو والمآسي معصم و سوار

يحيي على أمل اللقاء فليله ... ونهاره في ظلمة تكرار

نفذ القضاء فسرت رغم صبابتي ... و أقلني نحو الجنوب قطار

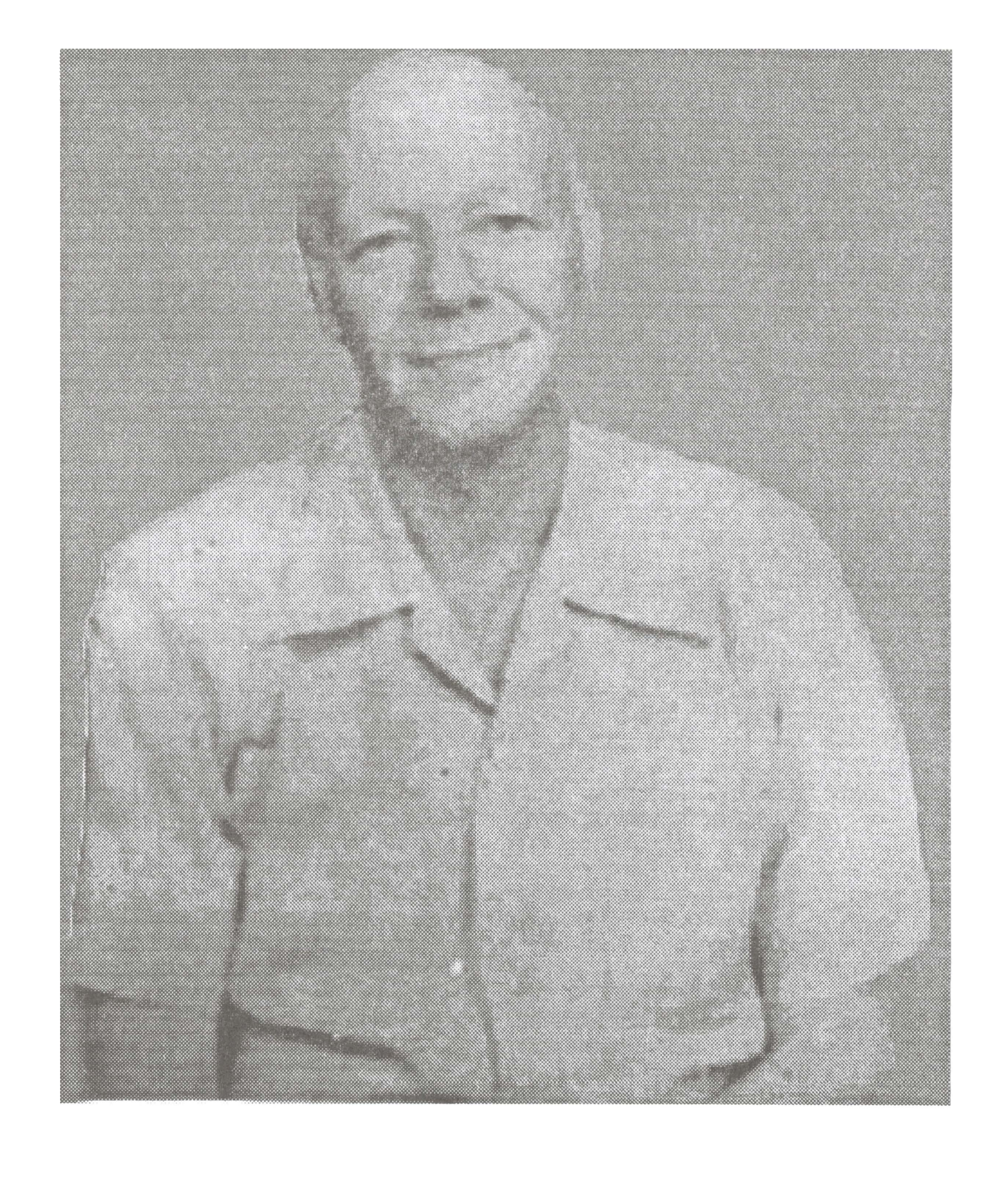
ان أظلمت ليلا فسوف ينيرها ... رغم الظلام المدلهم نهار

فأعود للشاطي وحولي اخوتي ... وأزور مهد صبابتي و أزار

قدرت اني لا أفرق شاطئي ... مهما أساء العالم الغدار

قدرت لكن ما اتعظت بقائل ... (و تقدرون فتضحك الأقدار)

****



الشاعر الكبير المرحوم الدكتور محمد عثماني الجرتلي

أهـم المراجـع

١-أحمد خير المحامي : كفاح جيل .

٢-أحمد عثماني تولناب : خواطر وإنطباعات عن مؤتمر البجا .

٣-أمين التوم : ذكريات ومواقف .

٤-د.حسن عبد الله الترابي : أضواء على المشكلة الدستورية .

٥-د. حيدر إبراهيم علي : أزمة الاسلام السياسي : الجبهة القومية الاسلامية نموذجا.

٦-د . حيدر إبراهيم علي (تحرير) : الديمقراطية في السودان . البعد التأريخي ، الوضع الراهن وآفاق المستقبل .

٧-سالم أحمد سالم : الطريق الى الدولة . تحليل الأزمة . النموذج السوداني.

٨-عبد الرحمن محمد الأمين : ساعة الصفر .

٩- عبد الرحمن مختار : خريف الفرح .

١٠- محمد أحمد محجوب : الديموقراطية في الميزان .

١١- محمد أدروب أوهاج : ١- من تراث البجا الشعبي .

٢- من تأريخ البجا- الكتاب الأول .

١٢- محمد بدري أبوهدية : دفتر أبوهدية .

١٣- محمددين أحمد اسماعيل : ١-كفاح البجا . ٢- مقبرة الأحياء .

١٤- بروفيسور محمد عمر بشير : تأريخ الحركة الوطنية في السودان(١٩٠٠- ١٩٦٩) .

١٥- محمود محمد طه : ١- أسس دستور السودان .

٢- زعيم جبهة الميثاق الإسلامي في ميزان :

أ- الثقافة الغربية . ب- الإسلام .

١٦- محي الدين أحمد عبد الله : للتأريخ ومن أجل التأريخ .

١٧- د. منصور خالد : النخبة السودانية وإدمان الفشل .

١٨- هنري رياض : موجز تأريخ السلطة التشريعية في السودانية .

١٩- الصحف اليومية : الأيام - الزمان - العلم - الصحافة .

٢٠- تجربة شخصية . وروايات شفهية .

الفهرس

دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان

